الأقلام

١٥

الجزء الثالث ـ السنة الثانية
رجب ١٣٨٥ هـ
تشرين ثاني ١٩٦٥ م

ان مواد العدد ترتب لاعتبارات فنية
لا علاقة لمكانة الكاتب او أهمية البحث فيها

الأقلام
مجلة فكرية عامة
تصدرها شهريا
وزارة الثقافة والارشاد
بغداد - العراق

المراسلات باسم : سكرتير التحرير . الاشتراكات : دينار واحد داخل العراق ، ٧٥٠ فلسا للطلبة ، دينار ونصف خارج العراق

رجع الحقيقة في قضايا الفكر العربي الإسلامي

أنور الجندي

١ ـ بين الموسيقى العربية والموسيقى الغربية
٢ ـ دورنا في القرون الوسطى

انكر أغلب الباحثين الغربيين فضل الفكر العربي الاسلامي على الموسيقى والدور الذي لعبه العرب في ابلاغها المرتبة التي بلغتها في القرون الوسطى ومهدت لظهور الموسيقى الغربية متفصلة عنها • وقد كان الرأي القائل بانكار فضل العرب هو السائد الى وقت قريب وهدفه محاولة انتقاص الفكر العربي الاسلامي في مجال له أثره البعيد في تقدير قيمة الشعوب وحضارتها وتمدنها •

غير ان بعض المنصفين من العلماء قد اعترفوا أخيرا بفضل العرب على الموسيقى وايصالها الى الدرجة العالمية التي عرفت بها ومن أبرز هؤلاء الباحثين الدكتور ادموند كوزايالويس والدكتور هنري فارمر والاب كولنجات •

أما الدكتور هنري فارمر فقد أحرز عام ١٩١٤ اجازة الدكتوراه من جامعة جلاسجو ببحثه عن تاريخ الموسيقى العربية •

ورأيه انه اذا كان من الشائع المسلم به ان أوربا مدينة للمشرق بأنواع كثيرة من آلاتها الموسيقية فانه يذهب الى أبعد من ذلك حين يقرر أن الشرق الاسلامي أثر تأثيرا عميقا في نظرية الموسيقى الاوربية وأن معظم الكتب المؤلفة باللاتينية في العصور الوسطى قد وضع كتابها نصوصهم وآراءهم على أساس النصوص العربية •

وقد اعترف فامر بأن علماء العرب لم يأخذوا بآراء من سبقوهم الا بعد ان تثبتوا منها علميا • وان ابن سينا والفارابي وغيرهم من علماء المسلمين قد زادوا على الموسيقى اليونانية وادخلوا تحسينات واضحة • وقال أن كتب الفارابي لا تقل عن الكتب اليونانية الموسيقية • واثبت أن العرب أجادوا في بحوث التموجات الكرية للصوت • وأن « زرياب » العربي زاد وترا خامسا بعد هجرته الى الاندلس وكان للعود أربعة أوتار على الصفة القديمة • وأن العرب أضافوا آلات جديدة فقد ابتكر « الفارابي » الآلة المعروفة بالقانون • وهو أول من ركبها هذا التركيب الذي لاتزال عليه حتى الآن • وهو الذي اصطنع آلة مؤلفة من عيدان يركبها ويضرب عليها

نغما ، ثم يعيد تركيبها فيضرب عليها نغما آخر ، وتختلف انغامها مرارا باختلاف تركيبها .

وأشار الى أن للعرب مؤلفات في الموسيقى بلغوا فيها الذروة وكانت ولا تزال من المصادر المفيدة جدا في تاريخ الموسيقى وتطورها ، واعتبر « مروج الذهب » للمسعودي و « الاغاني » للاصفهاني من اكثر الكتب بحثا وكتابة عن اشتغال المسلمين والعرب بالموسيقى ويرجح فارمر ان الكندي هو أول من كتب نظرية الموسيقى ، وأشار الى كتاب الايقاعات للفارابي وكتاب الموسيقى لثابت بن قرة ورسالة فن النغم لابن سينا وله رسالة الفن الثامن في كتاب الشفاء .

وقد ترجم فارمر عددا من المؤلفات العربية في الموسيقى من بينها مؤلف مغربي قديم وقد طبع كتابه عن الموسيقى العربية عام ١٩٢٩ وقدم الى مصر حيث حضر مؤتمر الموسيقى العربية عام ١٩٣٢ .

● أما الدكتور(١) ادموندو كورايالويس فقد كشف عن حقيقة آمن بها ودافع عنها في عدد من مؤلفاته ، وهي أن الموسيقى العربية هي أم الموسيقى الاسبانية وأن اسبانيا هي أم الموسيقى العالمية وكفى .

● وأعلن المستشرق خوليان ويبارا أن موسيقى القرون الوسطى ترجع الى أصل عربي وقال : اذا نحن احتجنا الى البحث في الموسيقى الكلاسيك (Classique) لجأنا الى الموسيقى العربية واتخذناها سندا .

وقد أقام الشواهد وقدم الادلة على ما ذهب اليه في كتابيه :

La musica de Das Contigas
La musica Andaluza

وعنده أن الموسيقى قديمة العهد وقد رافقت النشء الانساني لانها مظهر من مظاهر الحالات النفسية ، وقبل دخول العرب أسبانيا لم تكن هناك سوى الموسيقى المدعوة (Victa) وهي مجموعة ألحان كنيسية مأخوذة من اليونان وكان القسس يحرصون عليها جد الحرص ، فلما جاء العرب وأزدهرت حضارتهم تموجت أنغام الزجل والحجاز في افق اسبانيا . ولم تلبث أن اتصلت بها الموسيقى الشعبية واكتسبت منها روحا جديدة ، فنشأت عن ذلك الموسيقى الاسبانية ونحن ندعوها الموسيقى العربية . ويقول : ان الموسيقى الغربية مدينة بسلمها الى مغن بالاندلس اسمه عربي (Orabia) وهو مغن اندلسي كان يتغنى بازجال يكثر فيهما من كلمة (قلبي) ولو قيست مقاطع هذه الازجال لكادت تكون :

دور ره مي فا سو لا سي

ولم تكن للموسيقى العربية رسوم خطية (Notes) ولكنها كانت

(١) المقتطف (نوفمبر ١٩٢٨) ترجمة عقل الجر .

ذات روابط وضوابط • وقد كانت عند العرب عنما رياضيا ، كما هي اليوم عند فرنسا • وقد أفاض « الفارابي » العلامة العربي المشهور في شرح قواعدها • وعنه أخذ المشتغلون بالموسيقي الغربية ولو كانت الموسيقى العربية خلوا من النظام الفني لما استطاعت ان تخلف لاوربا هذه الموسيقى التي تتمتع بها الآن •

وقال (ادموندو كوزايا لويس) ان الموسيقى العربية سبع مراتب ولكل مرتبة سبع درجات فمثلا :

الاولى : يكاه • غيران • عراق • رست • دوكاه • سيكاه • جهاركاه•
الثانية: برج النوى • الحسيني • الاوج • الماهور • المحير • البرزك • الماهوران •

ثم تساءل : ماذا اخذناه من هذه الاوضاع ؟•

واجاب : اقتبسنا كل قواعدها على وجه التقريب•وتعرف ب (Gammes) مقاسات الابعاد بين كل برج وضبطها • وعدد الاهتزازات • وتقسيم الالحان وافتراقها ورجوعها بحيث ترى ان كل لحن ينتهي في برجه • ثم قلب للحن والقرار •

زد على ذلك ان التقسيمات التي نوعها الفارابي ووضع لها أسماء منها : النجاح الاعظم • الصياح الاعظم • الكمال الاعظم • نجدها في الموسيقى الغربية واتصال المراتب بعضها ببعض في الجواب والقرار وعنده أن الموسيقى العربية هي أوسع وأغنى من الموسيقى الغربية • لولا أن لها ميزة اجتماع الالحان الكثيرة في وقت واحد • فالموسيقى العربية هي الطف روحا وأشد استثارة للشعور النفسي واؤكد لك انها بلغت في عهدي خلفاء بغداد وازدهار الاندلس اقصى حدود الابداع • فقد كان كبار المغنيين يضحكون الناس ويبكونهم فجأة • وكانت الآلات تجيبهم بين أيدي العازفين الى مثل هذا التحول الغريب • بل قام بين اولئك المغنين من كان يتميز بين مئات الاوتار وعشرات العازفات نغما نشازا فيقول يا فلانه أصلحي الوتر الفلاني من عودك •

وأشار الاب كولنجات استاذ الموسيقى الشرقية في آسيا في محاضرة له بالجمعية الجغرافية بالقاهرة (مايو ١٩١٥) الى أن الموسيقى الافرنجية افترقت عن الموسيقى العربية في القرن الحادي عشر فاتجهت الموسيقى العربية طريق الشجو واتجهت الموسيقى الافرنجية في طريق المجانسة •

وقد جرت عدة مساجلات حول التفاضل بين الموسيقى العربية والغربية واتهمت الموسيقى العربية بالضعف الفني والاضطراب والقصور • وقد واجه كثير من الباحثين هذه الحملة المغرضة التي هي احدى حملات التغريب والغزو الثقافي •

وجملة الحقائق في التفاضل بين الموسيقى العربية والموسيقى الغربية(٢) هي :

اولا ـ الموسيقى العربية تجري في سبع نغمات اساسية (هي الوان الطيف) يتفرع منها ما يزيد عن السبعين نغمة • بينما الموسيقى الغربية تسجن الصوت في مقام ونصف مقام اعلى وأدنى لا يستوعب ربع الصوت وثمنه بل و١/١٦ منه • ومن هنا يظهر ايهما اصدق تعبيرا للعاطفة وادق تصويرا للمشاعر •

ثانيا ـ الموسيقى الغربية رست على الطباق والمطاوعة • وهي بهذا تكبت النبرات الدقيقة وتكتفي بنغمات معدودة • اما الموسيقى العربية فان كان ينقصها الطباق لعدم ملائمته لحريتها لاتزال اغنى باوزانها ونغماتها من الموسيقى الغربية الغنية بالصخب الفقيرة بالتنوع •

ثالثا ـ الطباق ليس من روح الطبيعة • بل من وضع فناني الغرب الذين لم يهتدوا الى الوحدة المليئة بالتنوع فاخترعوا موسيقى مبنية على المطاوعة •

رابعا ـ الفن الغربي على ما بذل فيه من جهود • لايرتكز على اساس من الموسيقى الطبيعية التي يتحلى في الانشاد العربي المنفرد •

دورنا في القرون الوسطى

جرت عبارة « القرون الوسطى » على اقلام الكتاب المتأثرين بدعوة التغريب والغزو الثقافي على أنها عبارة امتهان للعرب وللفكر العربي الاسلامي وفترة ظلام وانحطاط سبقت حركة النهضة الاوربية «الرينسانس» ويحددون وقتها بأنه من عام ٤٧٦ الى ١٤٥٣م •

والواقع ان هذه الفترة هي فترة ظلام وركود وانحطاط بالنسبة لاوربا والغرب وحده بعد سقوط الدولة الرومانية وغارة القبائل المتبربرة عليها • ثم ما وقعت فيه اوربا من تسلط الكنيسة واحراق الكتب واقامة محاكم التفتيش وقتل جاليليو والوقوف في وجه الفكر الحر •

اما بالنسبة للشرق فقد استقبلت المنطقة يقظة فكرية بظهور الاسلام بالغة المدى • وقد اتسع نطاق هذه اليقظة وامتد في خلال مائة عام حتى بلغ الصين شرقا والاندلس غربا وزحف على اوربا نفسها وكاد ان يطوقها لولا انها تجمعت على ايقافه في معركة « تورزبواتيه » المسماة بلاط الشهداء عام ٧٣٢م •

* * *

ولسنا نحن الذين نقول هذا بل يقوله الكتاب الغربيون المنصفون

(٢) فيلكس فارس : الرسالة م ١٩٣٨ •

فالمؤرخ ل. أ. سيديو يقول في كتابه تاريخ العرب : لقد كان العرب وحدهم ممثل الحضارة في « القرون الوسطى » فدحروا توحش اوربا التي زلزلتها غارات امم الشمال ولم يشتعل النور في اوربا الا بعد ثمانية قرون عندما ظهر العرب .

ويقول حيدر بامات في كتابه (مجالس الاسلام) يعود الى العرب شرف ادخالهم الى مباحثهم مناهج الترصد والتجربة التي يتألف منها اسس البحث العلمي الحديث . ولم يكونوا في هذا فقط ارقى رقيا لا حد له من علماء الغرب (في القرون الوسطى) الذين لم يعرفوا قط ان يتحرروا من ربقة الاساتذة . بل كانوا ايضا ارقى من العالم اليوناني اللاتيني في حقل العلوم .

ويقول بريس دافن في كتابه الفن العربي : انه بعد سقوط الدولة الرومانية لم يكن هناك شعب يستحق ان يعرف غير الشعب العربي .وذلك اولا لكثرة فطاحل الرجال الذين اخرجهم هذا الشعب العظيم . وثانيا لما احدثته فنون هذا الشعب وعلومه من التقدم العجيب في العالم مدة قرون عديدة .

ويقول الدكتور لويجي رينالدى « قام العرب في ظلمات بربرية القرون الوسطى باعادة نور الحضارة والمدنية الذى كان قد انطفأ في جميع بلاد الغرب والشرق حتى القسطنطينية . »

ويقول جوستاف لوبون : كان تأثير العرب في الغرب عظيما واليهم يرجع الفضل في حضارة اوربا فاذا ما رجعنا الى القرنين التاسع والعاشر للميلاد يوم كانت المدنية الاسلامية في اسبانيا زاهرة باهرة . نرى ان المراكز العلمية الوحيدة في عاصمة بلاد الغرب كانت عبارة عن ابراج يسكنها سادة نصف متوحشين . يفاخرون بانهم اميون لا يقرأون ولا يكتبون ، وكانت الطبقة العامة المستنيرة عبارة عن رهبان فقراء جهلة يقضون الوقت بالتكسب في ديارهم بنسخ كتب القدماء .

وطال عهد الجهالة في اوربا رغم تأثيره بحيث لم تعد تشعر بتوحشها ولم يبد فيها بعض الميل للعلم الا في القرن الحادي عشر ، وبعبارة اصح في القرن الثاني عشر ، ولما شعرت بعض العقول المستنيرة قليلا بالحاجة الى نفض كفن الجهل الثقيل الذى كان الناس ينوءون تحته ، طرقوا ابواب العرب يستهدونه ما يحتاجون اليه ، لانهم كانوا وحدهم سادة العلم في ذلك العصر ، ولم يدخل العلم اوربا في الحروب الصليبية كما هو الرأى الشائع ، بل دخل بواسطة الاندلس وصقلية وايطاليا . وفي سنة ١١٣٠م انشئت مدرسة للترجمة في طليطلة اخذت تترجم الى اللاتينية اشهر مؤلفي العرب وعظم نجاح هذه الترجمات وعرف الغرب عالما جديدا ولم تفتر الحركة في هذا السبيل خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر . وما

عرفت « القرون الوسطى » المدنية الا بعد ان مرت من لسان اشـــياع محمد (ص) ٠

فالى العرب والى العرب وحدهم لا الى رهبان القرون الوسطى ممن كانوا يجهلون حتى اللغة اليونانية يرجع الفضل في معرفة الاقدمين والعالم مدين لهم على وجه الدهر لانقاذهم هذا الكنز الثمين ٠

وقال الدكتور سارطون « ان بعض الغربيين الذين اعتـــادوا ان يستخفوا بما اسداه الشرق الى العمران يصرحون بان العرب المسلمـــين نقلوا العلوم القديمة ولم يضيفوا اليها شيئا ما ، هذا الرأي خطأ ، فلو كان لتوقف سير المدنية بضعة قرون ، لذلك فان العرب كانوا اعظم معلمين في العالم في القرون الثلاثة الثامن والحادي عشر والثالث عشر للميلاد » ٠

وقال الدكتور يوسف شخت : لقد تتلمذت اوربا على العرب مـدة خمسة قرون نهلت في اثنائها من حياض العلوم العربية وبهذا أعـــدت نفسها لما تنتج الان من البحوث العلمية الحديثة ٠

وقال برنارد لويس : ان اوربا في « القرون الوسطى » تحمل دينـا مزدوجا لمعاصريها من العرب ٠ فقد كان العرب هم الواسطة التي انتقل بها الى اوربا جزء كبير من ذلك الميراث الثمين ٠ كما تعلمت اوربا من العرب طريقة جديدة للبحث وضعت العقل فوق السلطة ونادت بوجوب البحث المستقل والتجربة ٠ وكان لهذين الدرسين الفضل الكبير في القضاء عـلى العصور الوسطى والايذان بعصر النهضة ٠

* * *

وليس بعد هذه الشهادات دليل على صدق ما ذهبنا اليه من ان اتهامنا بالعصور الوسطى المظلمة ليس صحيحا ٠ واننا كنا في هذه العصور منار العالم وهداه ٠



الأصالة وتطور مقومات الشعر

نعمان ماهر الكنعاني

تحت هذا العنوان ، نشرت لي الاقلام بحثا في عددها الاول من عامها الاول ، تناولت فيه الاصالة في الشعر وتطور المقومات التي اعتمدها الشعر الذي كتب له الخلود • وقد اقتصر ذلك البحث على نماذج من أوائل شعر العرب ، أعني به أوائل الفترة الجاهلية • وتكملة للبحث أرى أن أشير الى ما تلا تلك الفترة ، لنرى ما الذي طرأ على مقومات الشعر الأصيل حتى وصل الينا مرويا ومدونا مما عده النقاد ومؤرخو الادب من الشعر العربي الخالــد •

وليكن الانتقال الى فترة صدر الاسلام ، اذ أنها الفترة التي ظهرت فيها على الشعر ملامح وسمات جديدة تختلف عن ملامحه وسماته الجاهلية ، اختلافا واضحا لم يحصل للشعر الجاهلي المتأخر • أي أن تطور مقومات الشعر الجاهلي لم يكن كبـيرا خلال فتراته قبل الاســلام ، بل كان ألصق بالمحافظة وأبعد عن التطور ، الا ما كان منه في بعض بلاد الهلال الخصيب كالشام والعراق ، حيث رأينا شعراء الجاهلية الذين عاشوا في هذه الديار ، قد أخذوا بشيء من الرقة في اللفظ ، والطواعية في التعبير ، والتجديد في التشبيه ، دون الابتعاد عن المفاهيم العامة أو المقومات البارزة التي اعتمدها الشعر الجاهلي ، بصورة عامة •

فحسان بن ثابت ، الذي زار الشام في الجاهلية، وأقام لدى الغساسنة، وجد من خلال اقامته ما انعكس على شعره من سمات تبدو وكأنها جديدة على ما ألفه الشعر الجاهلي ، اذ جاء بعض شعره متأثرا بنعومة العيش في الشام، خلافا لما كان عليه شعره في الحجاز ، وذلك كما في قوله ، يمدح أولاد جفنة حكام دمشق :ـ

لله در عصـــــابة نادمتهم   يوما بجلق في الزمان الاول

(وجلق اسم دمشق) •

ومنهـــا :ـــ

ولقد شـــربت الخمر من حانوتهـــا   صــــــهباء صـــــافية كطعم الفلفل

يسعى علي بكأسها متنطف فيعلني منها ولو لم أنهل
ان التي ناولتني فرددتها قتلت ـ قتلت ـ فهاتها لم تقتل

فهذا التطور في الصياغة اللفظية ، والاستخدام للالفاظ البعيدة عن الخشونة ، هو مما لم يتعوده الشعر الجاهلي في الجزيرة العربية ، خاصة ذلك الشعر الذي لم يبرح أصحابه الجزيرة ٠

ومثل هذا يمكن القول عن عدي بن زيد العبادي ، الذي نشأ في أكناف المناذرة بالعراق ، فقد جاء شعره هو الآخر ، أرق وأخف صراحة من شعر معاصريه من شعراء جزيرة العرب ٠

قال :ـ

بكر العاذلون في وضح الصبح يقولون لي أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبدالله والقلب عندكم موثوق
لستأدري اذ أكثروا العذلفيها أعدو يلومني أم صديق
زانها حسنها وفرع عميم وأثيث صلت الجبين أنيق

فالاناقة في ألفاظ عدي واضحة ، وعرض الصورة الشعرية عرضا رقيقا عذبا ، واضح هو الآخر ٠

وهذا ما يؤيد القول بأن شعراء الجاهلية الذين تأثروا ببلاد الشام والعراق قد طوروا شعرهم أو أن شعرهم قد تطور عما دأب عليه شعراء الجزيرة من نفس الحقبة ٠

الا أن تطور مقومات الشعر الاصيل تطورا حقيقا قد بدأ بظهور الاسلام ، حيث اختفى الكثير من معالمه ، لتحل معالم أخرى جديدة ، سواء ما كان في المبنى أو المعنى ٠ فقد جرى ذلك كله مع المحافظة على الاصالة الشعرية التي بقيت مكانة الشاعر منوطة بها عبر الزمان ٠

لقد اختفت خشونة اللفظ وعنجهية المعنى وحيدان الاسلوب وكبرياء القصد وصرامة الدعوى ، ليحل محلها تهذيب اللفظ ومنطقية المعنى والتزام الاسلوب وسلامة القصد وتواضع الدعوى ، وليس من شك في أن سبب هذا كله هو الدين الاسلامي وقرآنه العظيم ٠

يقول مسكين الدارمي ـ وهو أحد شعراء فترة الانتقال الشعري هذه من الجاهلية الى الاسلام :ـ

قل للمليحة في الخمار الاسود ماذا صنعت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى وقفت له بباب المسجد
ردي عليه صلاته وصيامه لا تقتليه بحق دين محمد

فمن الواضح أن الالفاظ الجديدة في أبيات الدارمي ، كالزاهد والصلاة والمسجد والصيام ودين محمد ، هي من تأثير الدين الجديد على الشعر ، الا

أن مقومات الابيات هي ليست في الألفاظ ذاتها ، قدر ما هي في حسن التأتي في عرض الصورة الشعرية متأثرة بالبيئة الاسلامية الجديدة • فحسن التأتي الذي وفق الشاعر اليه ، وعرضه لصورته الشعرية بالألفاظ الجديدة، هو الذي أظهر اصالة الشاعر في أبياته ، فكانت الموافقة بين الاصالة والمقومات السبب الذي خلد الابيات •

فاذا واكبنا شعر تلك الفترة واستعرضنا شعراءها المبرزين ، وجدنا هذه المقومات الجديدة قد طبعت الشعر في صدر الاسلام بطابع جديد مميز يعتمد تعابير جديدة ، ومعاني جديدة ، واسلوبا اكثر حداثة منه في الشعر الجاهلي •

يقول جرير ــ وهو من شعراء فترة الانتقال الشعري هذه أيضا :ــ

يا أم عمرو جزاك الله مغفرة ... ردي علي فؤادي كالذي كانا
ألست أحسن من يمشي على قدم ... يا أملح الناس كل الناس انسانا
لا بارك الله في الدنيا اذا انقطعت ... أسباب دنياك عن اسباب دنيانا

فالمغفرة التي دعا الشاعر الله بها لحبيبته هي من معاني الاسلام ولاشك ، وقوله لا بارك الله في الدنيا ، هو الآخر تعبير اسلامي استخدمه الشاعر في شعره • ولكن جمال الابيات هو وليد هذا الاستعمال الجديد الموفق ولطف المعنى وحسن التأتي •

وهكذا نجد أغلب شعراء فترة الانتقال الشعرى هذه ، فقد شاعت التعابير الاسلامية في شعرهم ، وتأثرت معانيهم بمعاني القرآن ، وتهذب اسلوبهم باسلوب القرآن ، الى جانب أصالتهم الشعرية التي رأيناها واضحة فيما نظموا ، ولم تفقدها مكانتها وأهميتها مقومات الشعر الاخرى المتطورة •

وقد استمر تطور مقومات الشعر بعد هذه الفترة ــ فترة صدر الاسلام ــ تطورا كبيرا ، فمن بداوة الجاهلية في جزيرة العرب ، سار الشعر نحو الحضارة التي بدأ بها الاسلام وظهرت بوادرها أيام الخلفاء الراشدين بعد فتح الهلال الخصيب ، واتضحت تلك البوادر اكثر فاكثر أيام عهدبني أمية ، الذى أوردنا له في البحث نماذج هي تكملة للنماذج التي سبق ان اوردناها في أول عدد من الاقلام ، حتى اذا كان العهد العباسي بدأ الشعر يتطور بسرعة وصل معها الى مفاهيم ومقومات لها حديث يطول •

وتجدر الاشارة الى أن النماذج في شعر فترة الانتقال التي ذكرناها آنفا ، لم يكن شموله قد طبق كل آفاق الشعر أو أنه وسم جميع شعراء تلك الفترة ، اذ أننا نجد الكثير من شعراء تلك الفترة لم يأخذوا بكثير من المفاهيم الجديدة ، وشأن هؤلاء شأن المحافظين في كل زمان ، ولكننا نستطيع القول أن تلك الفترة قد أثرت في جميع الشعر والشعراء الذين عاشوها

تأثيرا يختلف ضيقا واتساعا بين شاعر وآخر ، بل يختلف ضيقا واتساعا في شعر الشاعر الواحد بين قصيدة وأخرى .

فالفرزدق ، وهو شاعر من شعراء تلك الفترة ، قد تأثر بعض شعره أكثر من البعض الآخر ، بينما نجد شعر عمر بن أبي ربيعة قد ناله تأثير أكبر .

يقول الفرزدق :ـ

واني لمن قوم بهم تتقى العـــدى ... ورأب الثـأى والجانب المتخـوف
واضياف ليـل قد نقلنا قراهــم ... اليهـم فأتلفنــا المنايـا وأتلفــوا

وهذا شعر لايبتعد في أسلوبه عن الشعر الجاهلي ، ولكن الشـــاعر نفسه يقول وفي ذات القصيدة :ـ

وبيتــان بيت الله نحـن ولاتــه ... وبيت بأعـلى ايليــاء مشـــرف

(وايلياء القدس)

فالصنعة جاهليــة والتأتي جاهلي ، وليس فيه من سمات العهـــد الشعري الجديد ـ عهد صدر الاسلام ـ غير الاشــــارة الخاطفة ، والتي تتضمن الفخر بالانتساب الى بيت الله بمكة وبيت المقدس بالقدس .

الا ان الفرزدق نفسه يقول في مدح علي زين العابدين (رضي) :ـ

هذا الذي تعرف البطحــاء وطأتــه ... والبيت يعرفه والحل والحــــرم
هذا ابن خير عبـــاد الله كلهــــم ... هــذا التقي النقي الطاهر العــلم

فالبيت (بيت الله) والحل والحرم ، ألفاظ اسلامية ذات صلة بتعابير الجاهلية ، ولكن التقي النقي الطاهر ، ألفاظ اسلامية واسلامية فقط .

فالشاعر ـ الفرزدق ـ هنا يبدو متطورا تارة وغير متطور أخرى ، فهو جاهلي موغل في أبيات ، وهو بين الجاهلية والاسلام في أبيات ، وهو اسلامي واسلامي فقط في أبيات .

وهذا ما أردته من قولي أن التمازج في شعر فترة الانتقال هذه ، لم يكن شموله قد طبق كل افاق الشعر او انه وسم جميع شعراء تلك الفترة ذلك لاننا نجد الى جانب الفرزدق شاعرا مثل ابن ابي ربيعة ، والذي هو أسن من الفرزدق قد كان أكثر تأثرا بالمفاهيم الجديدة ، فهو يقول :ـ

ليت هــندا أنجـزتنا ما تعــــد ... وشفت أنفســنا ممــا تجــد
واستبــدت مــرة واحــــدة ... انمــا العاجـز من لا يســـتبد
ولقــد قالت لجــارات لهــــا ... وتعــرت ذات يوم تبــــرد
أكمــا ينعتنــــي تبصــرنني ... عمـــركن الله أم لا يقتصـــد
فتضـــاحكن وقد قلـن لهـــا ... حســـن في كل عين من تـــود

وتأثر هذا الشعر بالفترة الجديدة هو في تركيبه وصياغته والفاظه، فقد خلا من فخامة اللفظ وخشونة الاسلوب وغلاظة السبك ٠

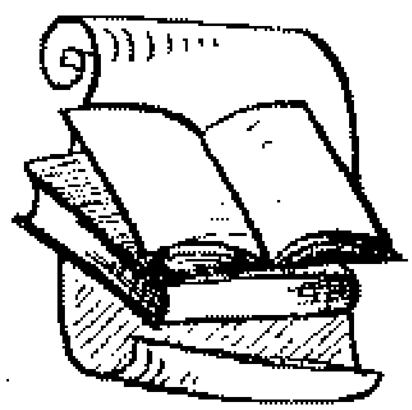
اما قوله في رائيته الشهيرة :ـ

واعجبهـــا من عيشها ظل غرفــة ـ وريان ملتــف الحدائق أخضـر
ووال كفاها كل شيء يهمهـــــا فليســت لشيء آخر الليل تسهر

فهو شعر حضري بعيد كل البعد عن الصحراء وبيت الشعر والنوق والاطلال ٠٠٠ وهذا بسبب التأثر باسلوب القرآن المهذب ٠

ولنا أن نقول ، أن تطور مقومات الشعر العربي تطورا حقيقيا قـد بدأت بظهور الاسلام ، فشمل الاسلوب والمعاني ، وسار مع الاصالة جنبا الى الجنب ، لم يستطع طمس الاصالة ولا استطاعت الاصالة أن تمنع عنه تأثره بعوامل الزمن والحياة ٠

وفي حديث قادم عن شعر ما بعد هذه الفترة نجد تطور مقومات الشعر قد ابتعد عن مفاهيم جزيرة العرب الى حد كبير وظهرت سماته وملامحه وكأنها شيء جديد ٠



هل السجن مدرسة للاجرام

« دراسة اجتماعية ـ نفسية لمجتمع السجن »

الدكتور عدنان الدوري

غالبا ما يردد بعض خصوم حركة الاصلاح في علم العقاب ان السجن مرتع خصب للجريمة ومحيط ملائم تنمو بين جدرانه الخبرة الاجرامية الجديدة ، وتتكامل وراء اسواره عناصر الخبرة الاجرامية القديمة • ويشارك هذا الرأى رجل الشارع بانطباعاته الشخصية وبديهته ، الى جانب عدد غير قليل من رجال القضاء والقانون والعاملين في بعض المؤسسات العقابية وفي حقول الخدمات الاجتماعية المختلفة • ويستطرق البعض الاخر في الحكم فيصنف السجون الحالية تصنيفا ظريفا تمشيا مع مراحل التعليم المعروفة • فالمدارس الاصلاحية التى تعد للاحداث الجانحين تقوم مقام المدارس الابتدائية • ذلك انها تهيء للنشوء الجديد من صغار الجانحين بعض المبادىء الاولية في الجريمة • ويذهب المتخرجون في تلك المدارس الاولية الى مرحلة تحضيرية اعلى تقابل مرحلة التعليم الثانوي • تلك هي اصلاحيات البالغين او ما يعرف ببعض الاقطار بـ « دور العمل » او « الحقول الزراعية الاصلاحية » • وهذه مؤسسات اصلاحية تعد لفئة خاصة من المجرمين البالغين الذين لا تتجاوز اعمارهم الثلاثين عاما • وفي مثل هذه المؤسسات الخطرة يبدأ المجرم اول مراحل تخصصه في الجريمة حيث يتلقى دروسه الاولى في الفن والاسلوب وبذلك يشرع في بناء مستقبل جديد في عالم الجريمة • وقد يعبر المجرم هذه المراحل التحضيرية الطويلة الى عالم التخصص الجامعي العالى • فخلف اسوار السجون الكبيرة ووراء ابوابها الحديدية الموصدة ، يكتسب المجرم خبرة اجرامية كاملة ويتزود باختصاص فني عالي يؤهله لحياة طويلة في عالم الاجرام السفلي(١) • وفي هذه الحالة يكون المجرم قد عبر الخط الذى يفصل بين المواطن الصالح وبين عدو المجتمع • وهنا يكون من العسير على المجرم ان يتراجع ليستعيد منزلته الاجتماعية التي سبق ان تمتع بها في المجتمع الحر الذى عاش فيه(٢) •

وبالرغم مما في مثل هذه الادعاءات والتشبيهات الظريفة من غلو في الرأي وتطرف في الحكم والتقدير ، فانها لاتخلو من بعض الحجة ولا تفتقر الى ما يدعمها من دليل اوبرهان • فالاحصائيات الجنائية في مختلف اقطار العالم تقيم الدليل العملي على أن الاغلبية العظمى من رواد السجون هـم من المجرمين العائدين الذين اجتازوا مراحل تحضيرية متعددة في مؤسسات اصلاحية او عقابية مختلفة(٣) • وتشير معظم الاحصائيات الجنائية في امريكا ان نسبة العود بين جميع السجناء الذين يطلق سراحهم في السـجون الامريكية قد تتراوح بين ٤٠٪ و٨٠٪ في بعض الحالات • كما وتشـير احصائية خاصة بسجن واشنطن العاصمة الاميركية لعام ١٩٤٩ ان ٨٣٪ من مجموع الوافدين عليه كانوا من ارباب السوابق الاجـرامية اي من المجرمين العائدين(٤) • والمعروف لدى رجال التحقيق الجنائي الذين يقومون باعمال الكشف والتحري والتحقيق في الجرائم ان الجريمة الثانية غالبـا ما تكون اكثر دقة واتقن اسلوبا واحسن تنظيما واكثر حيطة من الجريمة الاولى • ويبدو ذلك اكثر وضوحا في الجريمة الثالثة والجريمة الرابعـة والجرائم التي ترتكب بعد خبرة طويلة في الاسلوب وفن الجريمة • فهل يكون للسجن بعد هذا دوره في انتقال السلوك الاجرامي ؟ وهل يعتبـر السجن مسؤولا عن هذا العود المتواصل وهذا الاجرام المتزايد في مجتمعاتنا المعاصرة ؟ وهل حقق السجن اهدافه الاساسية في التقويم والاصـلاح ومكافحة الجريمة ؟

أما بحث العود فهو بحث عام في اسباب الجريمة يتضمن التعرض الى مختلف النظريات والمدارس الفكرية التي تزخر بها مناهج الدراسـة والبحوث المختلفة في علم الاجرام وعلم العقاب وهذا ما يعدو غرضنا الاول من هذا البحث • والذي نريده هنا هو أن نتبين مدى صحة الادعاءات التي قدمنا عرضها ، وهل تقوم على بعض الشواهد العلمية التي يقرها البحث العلمي الصحيح •

ان بحثا كهذا يتطلب ان نتناول موضوعه من جانبين : اولهما وصف وتحليل طبيعة مجتمع السجن بما فيه من مقومات وعناصر بشرية وعناصر مادية • وثانيهما تحليل طبيعة العلاقات البشرية التي تنبعث في محيـط السجن وكيف يؤثر هذا المحيط في شخصية افراده • وبعبارة اخرى كيف يمكن ان تتكون الشخصية الاجرامية ، وكيف يمكن ان تتكامل عناصرها بين جدران السجن وفي محيطه الاجتماعي الخاص •

السجن في ابسط معانيه مؤسسة اجتماعية عامة تنشئها السلطـة العامة لتحقق غرضا عقابيا او اصلاحيا تقويميا وذلك وفقا للفلسفة التي تقف من وراء انشائه • هذه المؤسسة الاجتماعية تتميز بكيان مادي خاص سواء كان ذلك من حيث الموقع او من حيث طرز البناء والعمارة • فالسجن

مؤسسة تعيش في عزلة نائية واسوار عالية وابراج مراقبة يقظة وابواب حديدية او كهربائية موصدة وحراسة متواصلة مشددة وعيون ساهرة لاتنام . واول ما يميز هذه المؤسسة انها مؤسسة تجمع بين اغراض متناقضة واهداف متباينة متنافرة . لقد كتب « جيمس بنيت » المدير العام لمكتب السجون الاتحادية في الولايات المتحدة الاميركية مرة في تقريره السنوي لسنة ١٩٤٨ يقول ما معناه « ان ادارة السجون في الوقت الحاضر تعاني صعوبة جد كبيرة في التوفيق بين فكرتين متعارضتين هما فكرة العقاب وفكرة الاصلاح »(٥) .

ويكاد يجمع الكثير من المعنيين بشؤون السجن والعاملين في ادارته على تأييد مثل هذه الظاهرة وذلك ان السجن الحالي لازال يعيش بوجهين . فالسجن من ناحية يحاول ان يحقق غرضه العقابي التقليدي في القصاص والايلام والارهاب والتخويف وذلك بما يفرضه على السجين من جو نفسي ضيق يتميز بالعزلة والضبط والحراسة المشددة . وهو من ناحية اخرى يسعى الى تحقيق غرض اصلاحي تقويمي وذلك بالعمل على تهيئة الجو الطبيعي المناسب الذي يسمح بتقوية عناصر الشخصية الانسانية ضمن اطار معين من الحرية الفردية واحترام الذات . وانظمة السجن الخاصة بالعمل عقيمة تشجع على الكسل والبطالة وهي في الغالب تزهد السجين عن القيام او الاسهام بأي عمل مجد مفيد . ومع ذلك فان ادارة السجن تسعى من ورائها الى خلق روح الابتكار وتعليم السجين حرفة نافعة تضمن له كسب عيش شريف يصرفه عن عالم الجريمة . والسجن بظروفه الحياتية التي يخضع لها السجين في مأكله وملبسه ومسكنه ومشيته وجلسته ونومه لاشك يخلق علاقات ميكانيكية آلية لاتخرج في نطاقها على تطبيق النظام تطبيقا مطلقا الامر الذي يحقق للمسؤولين الخضوع التام والطاعة المطلقة وعدم التمرد وعدم العصيان . هذا كله يضع السجين في ظروف نفسية واجتماعية غير سوية ، ومع كل هذا فقد يريد المصلحون في السجن ان يغرسوا بذور الاعتماد على النفس وتهيئة جو اجتماعي نفسي سليم يساعد على تنشئة الشخصية تنشئة سوية سليمة وتقويم السجين واعادة تأهيله واعادة بناء بعض عناصر شخصيته المفككة ومعالجة اسباب انفصامها(٦) .

والسجن مجتمع صغير يجمع بين جدرانه اشخاصا غير متجانسين انهم يختلفون في اعمارهم وفي قابلياتهم الجسمية والعقلية . وهم يتباينون في حرفهم وتحصيلهم المدرسي واحوالهم الاقتصادية وظروفهم العائلية . وهم يختلفون في عدد جرائمهم ونوعها وخطورتها ، وهم يتباينون في مدى تخصصهم في فنون الجريمة واساليب الاجرام . وهكذا يجمع السجن بين المجرم لاول مرة والمجرم المحترف والمجرم العائد ، بين ساكن الريف وبين

الحضري ساكن المدينة ، بين ذوي الدخل الكبير وبين ذوي الدخل المتوسط وبين من لا دخل له ، بين ذوي المهنة او الحرفة الثابتة وبين المتسكع والمتشرد الذي لم يعرف حرفة او مهنة طيلة حياته ، وفي مثل هذا الخليط العجيب من الاشخاص والبيئات الاجتماعية المتباينة تتعدد الشخصيات وتتباين الاتجاهات وتختلف الميول والعادات • فقد نجد في السجن رجل المال المختلس الذي قبض عليه لسوء حظ اوقعه في خطأ جره الى السجن اول مرة • وقد نجد في السجن ذلك السارق الصغير الذي اراد ان يرقى بحرفته الى سرقة البيوت والمتاجر بعد ان ضاق ذرعا بسرقة اشياء غير ذات قيمة ، وقد نجد في السجن ذلك النشال المحترف الذي عرك سر المهنة وصار علما من اعلامها ومع ذلك فقد وقع في قبضة العدالة لظرف طارئ لم يحسب له حسابا • وقد نجد في السجن ذلك المجرم السيكوباتي الجنسي المغتصب لفتاة قاصرة باكراه ، الى جانب القاتل بدافع الشرف او الكرامة ، الى جانب القاتل بالصدفة او تحت ظروف استفزازية لم يفلح في اجتنابها ، الى جانب القاتل بعمد والقاتل المحترف الذي يقتل لقاء مبلغ كبير من المال ، الى غير هذا وذاك من الشخصيات المتباينة المتغايرة التي تؤلف ذلك الخليط العجيب من العناصر البشرية • هؤلاء الاشخاص الذين يتباينون في كل شيء تجمعهم صفة واحدة وهي الجريمة • ذلك انهم جميعهم مجرمون ارتكبوا عملا خاطئا وقد ارسلهم المجتمع الى السجن ليدفعوا ثمن خطيئتهم بوجه من الوجوه •

ومجتمع السجن مجتمع يتكون جميع افراده من جنس واحد ، فهو اما مجتمع ذكور او مجتمع أناث ، ولا مجال للاختلاط بين الجنسين • ومجتمع فريد كهذا يفرض على افراده سلوكا جنسيا خاصا • ذلك ان حياة السجن تثير رغبة جامحة نحو الحب جوعا او عطشا جنسيا شديدا متواصلا • وهذا ما يؤدي في كثير من الحالات الى ظهور علاقات جنسية شاذة او سلوك جنسي محرم • واذا كان لايمنع الرجل الجائع ان يحصل على طعام ينقذ حياته مهما كان نوع هذا الطعام ومهما كان الطريق للحصول عليه فكذلك حال السجين الجائع الذي يعاني حرمانا جنسيا شديدا فهو لا يتوانى عن اختيار الطريق الشاذ لاشباع حاجته الملحة(٧) •

ويبدو ان مشكلة الشذوذ الجنسي لاتقتصر على مجتمع السجن وحده وانما نجدها في كل المجتمعات الانعزالية التي تمنع الاختلاط بين الجنسين• ومع ذلك فقد كتب « هافلوك اليس » عالم الجنس المعروف مرة يقول « وفي لحظة من لحظات تشاؤمي كنت اعتقد بأن جميع من في السجن هم من الشواذ ولكنني رجعت قليلا عن مثل هذا التطرف فاقول الان بأن السجن يضم ما يقرب من الثمانين بالمائة من الشواذ وهناك احتمال كبير ان يكون القسم الباقي عرضة للانحراف ايضا »(٨) •

اما الدكتور الاميركي « كنسي » فهو وان كان لايؤمن بصحة الاحصائيات التي ترد بشأن عدد الشواذ جنسيا في السجون والاصلاحيات الاميركية فانه يحتمل ان تتراوح نسبة الشذوذ الجنسي في مثل هذه المجتمعات بين الثلاثين والتسعين بالمائة ٠(٩)

وتعد ظاهرة الشذوذ الجنسي من الظواهر المألوفة التي لايخلو منها سجن من السجون في كل زمان وفي كل مكان ٠ فهي من اقل المشكلات ظهورا في جداول اعمال المؤتمرات الدولية والقطرية التي تعالج موضوعات الاصلاح وادارة السجون ٠ ومع ذلك فهي من اعسر المشكلات حلا حيث تأخذ بنصيب وافر من جهود العاملين في ادارة السجون على اختلاف انواعها ٠ فهي تستلزم فرض عقوبات انضباطية متواصلة واتخاذ اجراءات احتياطية خاصة قد تستلزمها ظروف الحالة كالعزل والحبس الانفرادي او غير ذلك ٠

وقد قامت بعض حكومات امريكا اللاتينية بتجارب جريئة لحل مشكلة الجنس في السجن اثارت الكثير من الجدل والخلاف حول امكانية علاج مشكلة الجنس في مجتمع السجن ٠ لقد قامت كل من حكومات المكسيك وكولومبيا والبرازيل والارجنتين بالسماح لزوجات السجناء بزيارة ازواجهن في اجنحة سكنية اعدت لهذا الغرض ٠ وقد تطرفت حكومة كولومبيا فسمحت للسجناء بمغادرة السجن بملابسهم المدنية وتحت الحراسة لزيارة زوجاتهم او حتى الاتصال بغيرهن من البغايا في بيوت خاصة اعدت لهذا الغرض ٠(١٠)

ومهما تكن الاسباب والدوافع والمبررات التي تقف وراء مثل هذه الاجراءات غير الاعتيادية فان مثل هذه التجارب لم تترك صداها في ارجاء السجون الاخرى حيث لم يكتب لها النجاح ولم تلق الترحيب الكافي لتطبيقها في المناهج الاصلاحية في ادارة السجون في مختلف اقطار العالم في الوقت الحاضر ٠ وهكذا ظلت مشكلة الجنس والسلوك الجنسي الشاذ من ابرز مشكلات السجون حيث تنتظر الحل السليم وتفتقر الى العلاج العلمي القويم ٠

ومجتمع السجن كالمجتمع الحر ينتظم افراده في جماعات وطبقات يعلو بعضها فوق بعض ويتميز افراد كل طبقة بخصائص ومميزات ٠ فهناك الطبقة العليا في السجن وهي تتكون من الزعماء او القادة وهؤلاء على نوعين احدهما القادة السياسيون وهم السجناء الذين يتصلون بادارة السجن او يعملون في مكاتب الادارة او لحسابها وذلك بسبب محسوبية أو جاه ٠ وفي الغالب لاتتمتع مثل هذه الطبقة بزعامة او قيادة حقيقية تقوم على عناصر الحب والاحترام ، انهم يمثلون تلك الاقلية التي تكرهها الاكثرية بسبب انتسابها للسلطة والادارة ٠ فالسجين انسان تغلغلت فيه

الكراهية حتى انعكست صور هذه الكراهية فيما يحيط به من اشخاص وجماعات • فهو يكره السلطة والقانون ، وهو يكره البوليس والقضاء والمحكمة والعدالة ، وهو يكره المواطن الشريف ، وهو يكره العائلة والمجتمع ، وبالتالي فهو يكره نفسه • وطبيعي ان تتبلور كراهية السجين لتنصب على تلك القوة والسلطة التي تتمثل في كل من يحملها أو ينتسب اليها من قريب او بعيد(١١) •

اما القادة الحقيقيون فهم الذين يجمعون كل صفات القيادة الحقيقية• انهم اولئك الاشخاص الذين يفرضون على زملائهم الحب والطاعةوالاحترام والاجلال دون استعمال عنف او قوة ودون استغلال جاه او نفوذ • ويتميز هؤلاء بصفات ومميزات متعددة يتعلق بعضها بشخصياتهم وخبرتهم واتجاهاتهم وميولهم ومهاراتهم ، ويتعلق البعض الاخر بقابلياتهم البدنية والعقلية • فهم في الغالب يتصفون بالكرم وحسن الحديث ، ونظافة الجسم والقوة او الجدارة البدنية • وتضيف جرائمهم السابقة ومشاركتهم في بعض الجرائم المثيرة ومدة حبسهم الى شهرتهم العريقة في عالم الجريمة ، وقد يشفع لهم اسهامهم في عصيان مسلح او تمرد حدث في احد السجون الاخرى • والى جانب تلك الخبرة الاجرامية والمهارة في الفن والاسلوب الاجرامي تقوم طائفة اخرى من المميزات الشخصية الكثيرة • فالقائد الحقيقي لاينبغي عليه ان يكره القانون ويكره السلطة والقضاء حسب ، وانما عليه ان يناصبها الكراهية والعداء وان يتربص الفرص لكسر النظام ومخالفة القانون والتمرد على السلطة والادارة • فهو معروف بين اقرانه بقابلياته الكبيرة في اغفال السلطة والاحتيال على النظام والقانون في كل ظرف ومناسبة • يخفي في حيازته تلك الاشياء الممنوعة التي تحرم السلطة حيازتها كالمواد الكحولية والكمالية والنقود ، ويقامر باعتياد ويتقن فنون هذه المهنة المحرمة • وهو متحرر في عقيدته ولا يتمسك بدين او عقيدة • وهو يتميز بقدر غير عادي من الفطنة والذكاء وبقسط وافر من التعليم • وهو لايفتقر الى تاريخ عاطفي طويل يزخر بالمغامرات الغرامية المثيرة التي لاينفك يدعمها بما يتسلمه من رسائل غرامية بين وقت وآخر(١٢) •

أما ما يقوم به هذا القائد من عمل نحو افراد جماعته فقد يكون بعضه تافها غير ذي قيمة في رأي الذين يعيشون خارج اسوار السجن او بعيدا عن حياته • فالقائد الحقيقي عضو نافع له رأي وخبرة• يقوم بالتحكيم ويحسم ما يثار من نزاع وخصام قبل ان يأخذ طريقه الى السلطة والادارة• وقد يختلس قطعة اضافية من طعام او حلوى ليهديها الى من يلذ له الحصول عليها • وقد يسرق قطعة من اللباس ليقدمها الى من يحتاج اليها • وقد

يهرب رسالة دون رقابة من الداخل او الخارج فلا ينسى له صاحبها صنيعه(١٣) .

اما الطبقة الدنيا فتلك طبقة صغار المجرمين ، صغار في جرائمهم وصغار في منزلتهم وشخصياتهم . هؤلاء الذين يرتكبون الجرائم التافهة والصغيرة لايتمتعون بمنزلة كبيرة في مجتمع السجن . وتضم هذه الطبقة الدنيا المجرمين الشواذ جنسيا او الذين يرتكبون الجرائم الجنسية وصغار السراق ومعتادى السكر والايذاء البسيط وغير ذلك من لجرائم والمخالفات المتعددة الاخرى . وتقف فئة ثالثة بين هاتين الطبقتين ولكنها لاتكون طبقة خاصة . تلك هي فئة من لا طبقة لهم . وتضم هذه الفئة المجرمين الذين حبسوا عن ديون مالية او نفقات شرعية والمجرمين السياسيين وبعض جرائم الايذاء والقتل التي ترتكب تحت تأثير استفزاز او دفاع شرعي او بدوافع الشرف والكرامة(١٤) .

ولمجتمع السجن لغة خاصة تشتمل على مفردات كلامية قد يصعب على غير السجين ان يفهم معانيها او يدرك فحواها . فلكل شيء في السجن اسم خاص ، وقد تحمل الكلمة العادية معنى آخر فوق معناها الظاهر . ومثل هذه الظاهرة لاتقتصر على مجتمع السجن وحده وانما نجدها كذلك في مختلف المجتمعات الصغيرة التي تعيش في عزلة عن المجتمع الحر .وهي ضرورة تستلزمها طبيعة العلاقات الاجتماعية التي تنشأ عن العيش في عزلة(١٥) .

ومجتمع السجن لايعرف معنى السر والسرية او حتى ما يعرف بالامور الشخصية البحت . فكل شيء في السجن مباح مشاع تلوكه الالسن بالمدح او القدح . وكل شيء في السجن يخضع للنقد او التقدير ، والخبر الواحد ينتشر انتشار النار في الهشيم . ذلك ان للسجن عيون ساهرة تحمل لافراده مختلف الانباء والاشاعات والاقاويل . والغريب ان بعض الاخبار الرسمية التي تتعلق بادارة السجن او بافراده قد تصل الى السجناء انفسهم قبل أن تصل الى علم الجهات المعنية ذات الشأن في احوال كثيرة .

وحياة السجن تخضع لاطار واضح من القواعد والمعايير والقيم الاجتماعية الخاصة التي تكون ما يعرف في مجتمع السجن بشريعة السجن(١٦) . انها تنظيم عرفي لمختلف العلاقات والمواقف والاتجاهات الاجتماعية الناشئة في محيط السجن وبسببه . وهي قانون غير مكتوب ولكنه يحرص جميع من في السجن على مراعاته واظهار اخلاصهم في تطبيقه واحترامه(١٧) .

ومن الملاحظ ان عالم السجن عالم يتصف بالكآبة والتعاسة ، بالكسل والحرمان ، بالصراع الشديد والسيطرة ، بالشك والريبة وعدم

الثقة ، بالانانية المفرطة وعدم التعاون ، بالعنف والقسوة ، بالكراهيــة والثأر والانتقام ، بالمكر والخداع ، بالكذب والتلفيق والغش والتدليس • انه عالم غريب يجمع بين المتناقضات • الكذب والغش جائز مشروع اذا اريد به طمس الحقائق وتشويه الوقائع في تحقيق تقوم به الادارة ضـــد احدهم • ولكنه جريمة نكراء اذا ما تناول موقفا خاصا وفي مجـال علاقـة السجين بزميله في السجن • والسرقة من اموال السجن لاتعد سـرقة او جريمة ، ولكن سرقة متاع يعود لاحدهم جريمة كبيرة تستفز جميع من في السجن لعقاب السارق او الايقاع به • والاخبار او الوشاية خيانة عظمى تستدعي في بعض الاحيان عقاب المخبر او الواشي عقابا صارما قد يصـل الى القتل او الايذاء الشديد • ذلك ان المخبر زميل عاق يفقد كل عطـف واحترام من جانب اقرانه • فهو يعيش بينهم غريبا ولا يكلمه احـــد • والمساعدة على الهروب من الواجبات التي قد يتعاون الكثير على تسهيله او الاسهام في اخفائه •

والادعاء بالبراءة صفة عامة يكاد يشترك فيها جميع من في السجن من مجرمين • فكل من في السجن بريء وقع ضحية خطأ في القضاء او ظلم في العدالة • ومع ذلك فهو بين اقرانه لا ينفك يتشـدق في الحـديث عـن جرائمه ووصف براعته وجرأته وشجاعته في عالم الجريمة • وكذلك الطعن في سيرة الاخرين والنيل من نزاهتهم • فكل شخص خارج السجن سارق مختلس في نظر مجتمع السجن • وهو سارق لايختلف عنهم بشيء حيث لايتوانى عن محاولة الحصول على كل مغنم بطريق غير مشروع • الا ان المجرم الذي يصل الى السجن هو الشخص الذي خانه القدر وخسر معركة الحظ فوقع في قبضة القانون • ويبقـى الاخرون خـارج السجن لفطنــة وتبصر او لحماية جاه او مال •

وهكذا يعيش السجناء في اطار هذه الفلسفة المادية الضيقة • النقود لديهم هي مادة الحياة واكسير العيش ، بها يستطيع المرء ان يبتاع ضمائر الاخرين ، وعن طريقها يستطيع الوصول الى تحقيق أي غرض من اغراض الحياة •

ويتميز مجتمع السجن بصراع متواصل شـــديد يقوم بين الادارة والسجناء في جميع الظروف والاوقات • فالادارة تمثل المجتمع الحر بكل ما فيه من قواعد الضبط الاجتماعي التي تستوجب الطاعة والخضــوع والاستسلام • والسجين يمثل النزوع اللاشعوري لشق عصا الطاعــة والرغبة الجامحة في التمرد والعصيان • الادارة تمثل القانون والضبـط والقوة والسلطة ، والسجين يكره العقاب ويكره الضبط والسلطة والقوة • وهكذا يتحدد موقف كل من الطرفين نحو الطرف الاخر •

فالادارة تنظر الى السجين نظرة تخلو من العطف والاحترام • نظرة

الى مجرم لايمكن التمانه ولا يصح استعمال اللين او الرأفة في معاملته • الشدة والعقاب هي اللغة التي يفهمها المجرم وذلك لانه انسان غير سوي يختلف اختلافا كبيرا عن الشخص العادي ، عن الرجل او المواطن الشريف غير المجرم • انه عدو المجتمع وخارج على العرف والنظام والقانون • وهو انسان بدائي متوحش يجب العمل على ترويضه وتطبيعه باستعمال كل ضروب الشدة والقسوة والارهاب • هذا هو اللون الذى تصطبغ بهمختلف الاتجاهات التي يحملها العاملون في مختلف السجون في غالبية أقطار العالم(١٨) • وللسجين من ناحية اخرى رأيه الخاص في السجن والعاملين فيه ولكنه لايجرأ في الغالب على كشفه او اظهاره في العلانية • فهو يرى ان من يختار العمل في السجون لاشك شخص غير قادر على العمل خارجه لقلة في الكفاءة وعجز في القابلية وفشل في التنافس • ويضع السجين لكل من في السجن من موظفين وصفا طريفا ساخرا • فمدير السجن ضابط شرطة مطرود لجهله وفشله ، وطبيب السجن مشعوذ دجال لايعرف شيئا عن مهنته ، وطبيب الامراض العقلية شاذ غير سوي يحتاج الى علاج نفسي ورجل الدين منجم او ساحر • اما الحراس فهم انفسهم مجرمون ، انهم يحملون نزعة سادية تقودهم الى استعمال الايلام والقسوة في كل ظرف ومناسبة • لقد وجدوا في السجن خير مجال لاشباع مافي نفوسهم من بذور الشر ونزوع نحو القسوة والايلام(١٩) •

والان وبعد ان عرضنا لتحليل مجتمع السجن بما فيه من مقومات وخصائص ومميزات ، بقي علينا ان نتناول الجانب الثاني من هذا البحث فنعرض الى تحليل طبيعة عملية التفاعل الاجتماعي بين محيط السجن او بيئته وبين شخصية السجين والعوامل التي تؤثر في عملية اكتسابه الشخصية الاجرامية •

يرى انصار البيئة والمدرسة الاجتماعية في علم الاجرام ان السلوك الاجرامي سلوك انساني يكتسبه الفرد عن طريق التقليد والتعلم وهذا يتم خلال الاختلاط المباشر بين الاشخاص في محيط اجرامي اوبيئة اجرامية(٢٠) • ويتم انصهار السجين في بوتقة السجن بعملية تعلم خاصة يدعوها البعض بعملية « تسجين »(٢١) وهي عملية تشبه عملية التنشئة الاجتماعية او التطبع الاجتماعي التي يتعلم فيها الفرد السلوك الاجتماعي العام عن طريق الاسرة والمدرسة وزمرة اللعب والمؤسسات الاجتماعية الاخرى(٢٢). ومع ذلك فقد تختلف عملية التنشئة الاجتماعية عن عملية « التسجين » هذه في ان الاولى هي عملية تعلم جديد واكتساب خبرة جديدة حسب ، بينما قد تتناول العملية الثانية ترك عادات مكتسبة وخبرات سابقة واحلال جديد بدلها • فهي عملية مزدوجة ، تجمع بين عملية تعلم سلوك جديد وبين عملية نبذ أو تبديل او تغيير او تطوير سلوك قديم •

وبوسعنا ان نتناول هذه العملية فنقسمها الى مرحلتين اساسيتين : المرحلة الاولى وتتناول عملية تعلم السجين عناصر السلوك المادى الذي تتطلبه طبيعة الحياة المعاشية في السجن ، والمرحلة الاخرى وتتناول عملية اكتساب الشخصية الاجرامية وهي التي تتعلق بالجانب المعنوي لحياة السجن . يتعلم القادم الجديد نظام الحياة في السجن دون مشقة كبيرة او عناء شديد ، فهو يبدأ بقبول منزلته الدنيا رويدا رويدا . سرعان ما يستبدل اسمه ولقبه وشهرته برقم واحد يثبت في قميصه ويعرف به . وسرعان ما يلبس لباسا مماثلا لا مجال فيه لذوق خاص او اختيار في الطرز والمادة . وسرعان ما يأكل كل يوم طعاما واحدا لاخيار له في لونه او في موعد تناوله أو في مكان تناوله . وهكذا سرعان ما يجد نفسه يسلك سلوكا آليا يخضع للجرس والاشارة والصفارة . يمشي حين يطلب اليه السير ، ويتكلم حين يؤذن له بالكلام ، ويعمل في مكان معين لا يبرحه الا في وقت وظرف معينين ، وينام في موعد معين حتى وان لم يشعر بحاجته الى النوم ، وينهض في موعد ثابت ، ويغتسل ويحلق شعر رأسه ووجهه في مواعيد ثابتة مقررة وسرعان ما يتعلم لغة السجن ويسمي الاشياء والاشخاص باسماء غريبة جديدة . وسرعان ما يعلم الكثير عن نظام السجن وقوانين العيش فيه، ويعلم الكثير عن كل فرد من الافراد العاملين فيه . وسرعان ما يتفهم معنى السلطة ويقدر قوة مدير السجن ويخاف سطوته . وسرعان ما يعرف حدود سلوكه ونطاق تصرفه فلا يتجاوزها جهرا ولا يتعداها علنا . وسرعان ما يتعلم كيف يحتال على السلطة او يغفلها وكيف يكسر النظام او يخرقه دون ان يعرض نفسه للعقاب .

وتنساب المرحلة الثانية مرحلة اكتساب الشخصية الاجرامية انسيابا هادئا وفي جو ملائم هادىء حيث يجد السجين نفسه وقد اكتسب الكثير من القيم والاتجاهات الاجرامية ، او تكاملت شخصيته بضم ما تفتقر اليه من عناصر السلوك الاجرامي . فقد يجد السجين نفسه وقد تبلورت فيه كراهية شديدة للنظام والسلطة ، وكراهية الاخرين في السجن وخارجه . وقد يجد السجين نفسه وقد تعلم المقامرة ، او اكتسب خبرة جنسية شاذة او اعتاد السلوك الجنسي الشاذ . وهنا ترتبط خيوط فلسفة اجرامية لتتكامل في نسيج خاص يتضمن مختلف القيم والاتجاهات الاجرامية الجديدة . انه يسعى الان للحصول على عمل هادىء مريح يقيه شر الوقوع في نزاع او عراك قد يفقده بعض ما يصبو اليه من راحة ومتعة او يجنبه حرمانه من بعض الحقوق والامتيازات(٢٣) .

ويبدأ السجين في تعلم طرق اجرامية جديدة او يحاول تنمية اوتطوير او تحسين ما لديه من فن وخبرة او اكمال ما ينقصه من اسلوب وخطة . وتشير بعض الدراسات الخاصة لحياة بعض المجرمين المحترفين الى اهمية

دور السجن فيما قدمه من ظروف ومناسبات ساعدت على اكتمال عناصر شخصياتهم الاجرامية وذلك عن طريق اختلاطهم المباشر بشخصيات اجرامية عريقة ساعدت على تلقينهم اصول الحرفة واتقان فنون الصنعة • فخلال الاختلاط المباشر الذي يجري بين الافراد في محيط السجن قد تتبلور عناصر الشخصية الاجرامية • هذه الشخصية تقوم على اطار فلسفي او ما تعرف بالفلسفة الاجرامية(٢٤) • وهي فلسفة حياة تزين للمجرم طريق الجريمة والضلال وتيسر له قيما ومفاهيم اجتماعية خاصة تشعره بالراحة والاستقرار النفسي • فالمجرم يعيش معركة صراع دائم مع المجتمع الحر وقيمه ومعاييره التقليدية الشائعة وهو يحتاج الى كل ما يشد ازره من وعي فلسفي ومن سلاح مادي ومعنوي يأخذ بيده الى الغلبة والنصر والنجاح •

وربما يبدو من كل ما تقدم اننا قد اضفينا على السجن صفات كثيرة ووظائف متعددة اظهرت لنا سحره العجيب وتأثيره الكبير في تغيير الشخصية او في خلق عناصر الشخصية الاجرامية • الحقيقة ان السجن كأي مجتمع صغير لا يؤثر في جميع افراده تأثيرا واحدا وعلى السواء • فهناك طائفة من العوامل الاولية الرئيسية والعوامل الثانوية التي تحد او تزيد في قابلية السجين على الانصهار في مجتمع السجن وبالتالي من قابليته على اكتساب الشخصية الاجرامية • فللسجين شخصيته السابقة التي تبلورت بشكل من الاشكال قبل دخوله السجن • وهي تشتمل على مجموعة من العلاقات والمواقف والاتجاهات والقيم والعادات التي تبلورت خلال عملية تنشئته الاجتماعية في المجتمع الحر • وهو لاجل ذلك لاينصهر انصهارا آليا اعمى في محيط السجن الا بالقدر الذي تسمح به شخصيته السابقة اي بمدى قابلية السجين على تقمص واستيعاب العناصر الحضارية الجديدة التي يتعرض لها في محيط السجن الخاص • وهذا يتوقف على عوامل طبيعية واجتماعية او حضارية متعددة • فهناك عامل العمر وعامل العنصر ومكان الاقامة والخبرة الاجرامية السابقة وجميع الخبرات النفسية والاجتماعية الشاذة • وهناك عامل عدم استقرار الشخصية بسبب بعض الاضطرابات النفسية والعصبية والعقلية • وهناك عامل طول مدة السجن او قصرها • وهناك عوامل الصدفة التي قد تهيء للسجين التعرض الى انماط سلوكية معينة بسبب اقامته الطويلة واختلاطه المباشر الطويل بشخص معين له من العادات السلوكية الشاذة نصيب غير قليل • وهذا ما يحدث في تلك السجون التي تجمع بين سجينين في زنزانة واحدة طيلة مدة حبسهما الطويل • والسجناء في الغالب على نوعين : منهم من ليس له علاقات اجتماعية متينة قد تبلورت قبل دخوله السجن وهنا يكون السجين اكثر تعرضا واسرع تقبلا لتكوين علاقات عميقة متينة مع اشخاص في السجن فيكون معهم زمرة أولية تتشابه في المواقف والاتجاهات الى حد كبير(٢٥) • اما النوع الثاني فهو على خلاف

ذلك وهنا لايعقد السجين غير علاقات سطحية ثانوية ليس لها تأثير كبير في تكييف شخصيته . وبالرغم من ان مجتمع السجن قد يؤثر في شخصيات بعض افراده في حالات معينة وتحت تأثير عوامل خاصة فان مثل هذا التغيير لايمكن ان يكون تغييرا جوهريا وانما هو تحول عام قد يتعرض له السجين خلال اقامته الطويلة في السجن وهذا له اثره في قابليته على الانسجام والتكيف الاجتماعي المطلوب عند خروجه طليقا الى المجتمع الحر . ومعنى هذا ان مجتمع السجن بوجه عام لايخلق الشخصية الاجرامية وانما قد يساعد على تنمية شخصية اجرامية سابقة وذلك بما ييسر لها من عناصر التطور والنماء في حالات معينة ، وغالبا ما تلعب الصدفة دورا كبيرا في عملية انصهار السجين في حياة السجن .

والخلاصة ان السجن مجال حضاري خاص قد يعمل في اتجاهين احدهما نحو تنمية عناصر الشخصية الاجرامية وتطويرها ، والاخر نحو تقويم الشخصية الاجرامية واصلاحها . ويعمل السجن كأي مجتمع حر خلال عملية تنشئة اجتماعية او عملية تعلم قد ندعوها بعملية « تسجين » . وهي عملية لاتؤثر في جميع الاشخاص على نحو متشابه او بقدر واحد . فهناك طائفة كبيرة من العوامل الشخصية والبيئية قد تعمل على رجحان كفة احد هذين الاتجاهين على الاخرى .

وهكذا قد يكون السجن اداة تقويم او اصلاح اذا ما افلح في تهيئة الظروف والمواقف التي تساعد على منع قيام الشخصية الاجرامية الجديدة او تقويم او اصلاح او علاج ما فسد من عناصر الشخصية القديمة التي يحملها السجين عند دخوله اليه . وهنا تقع المسؤولية الكبرى على ما يقدمه السجن من مناهج التقويم والاصلاح المختلفة التي تحقق هدفها الانساني الكبير . وقد يخفق السجين في تحقيق هذا الهدف الانساني الكبير وذلك حين يفقد قدرته على الاستقامة والاصلاح والوقاية والعلاج ، مثله في ذلك حين يخفق الطبيب المعالج في عمله فيفقد القدرة على تهيئة اسباب الوقاية او العلاج وعند ذلك يقوى المرض ويشتد اثره وقد تنتشر عدواه الى الغير من الاصحاء او من ذوي الاستعداد الكامن للاصابة به . وتتوقف قدرة الطبيب في علاج الحالة على ما يعتمد عليه من الوسائل والامكانات وما يهيئه من ظروف وقائية وطرق علاجية . وكذلك السجن الحديث في تكوينه المادي والمعنوي لاشك يهدف الى تهيئة مثل هذه الوسائل الوقائية العلاجية ليقوم بدوره الانساني الكبير . الا ان الوسائل التي يلجأ اليها الان لازالت وسائل في مراحلها التجريبية حيث لم يكتب لها التثبت والاستقرار العلمي النظري والتطبيقي الذي وصلت اليه علوم الطبيعة . فاذا ما اخفق السجن في مسعاه ولا زال يخفق في حالات كثيرة فهو لانه يعمل في مجال انساني معقد لايمكن ان يخضع لظروف التجربة العلمية البحتة او قد لايحقق اهداف البحث العلمي الصحيح من ادراك وتنبؤ

وتحكم • وهذه ليست مشكلة السجن وحده وانما هي مشكلة عامة تتعلق بمستقبل البحث العلمي في علوم الانسان بوجه عام وعلم الاجرام بوجه خاص •

واذا كان خصوم الاصلاح في علم الاجرام وعلم العقاب لايرجون اليوم خيرا كبيرا من وراء مناهج السجن الحالى وذلك لفشل السجن فيعملية التقويم والاصلاح ، فقد رأى تاريخ العلوم خصوصا للطب وعلوم الطبيعة والكون ناصبوها العداء قرونا طويلة حتى اضطرهم الواقع الى الايمان بها بعد ان نالت من الحجة والدليل العلمي السليم ما قضى على كل شك او ريبة • واذا كان السجن قد فشل في اصلاح كل مجرم دخل اليه فحسبه تلك القلة القليلة التي افادت منه فقدمت لنا الدليل الواضح على ان الباب لازال مفتوحا والطريق لازال ميسورا امام علم السلوك وعلم الاجرام وجميع علوم الانسان الاخرى لبحث السلوك الانساني بوجه عام ومشكلة السلوك الاجرامي بوجه خاص بحثا علميا صحيحا اسوة بتلك العلوم الطبيعية التي بلغت نجاحا ملموسا في مجال دراسة الظواهر الطبيعية المختلفة •

---

(١) انظر كتاب « آفاق جديدة في علم الاجرام »

Barnes and Teeters, "New Horizon in Criminology", New York, 1951, pp. 433-434.

أما العالم السفلي فهو الذي يشار اليه ب "Under World" له عن العالم العلوي الحر •

(٢) وهذا ما ينطبق بوجه خاص على المجرم المحترف "Professional"

(٣) العود "Recidivism" و ارتكاب الجريمة أكثر من مرة • وتنص المادة (٦٧) من قانون العقوبات البغدادي في الفقرة الاولى « يعتبر المجرم عائدا : أولا ــ من حكم عليه بالاشغال الشاقة أو الحبس لمدة تزيد عن ثلاث سنين وثبت ارتكابه بعد ذلك جناية أو جنحة في خلال المدة التي تبتدىء من وقت صدور ذلك الحكم وتنتهي بعد انقضائه بعشر سنين » • أما الاتجاه الحديث في علم الاجرام فهو اعتبار العود مجرد ارتكاب جريمة ثانية حتى وان اوقف تنفيذ العقوبة أو وضع تحت مراقبة السلوك •

(٤) انظر مقال دونالد كليمر مدير سجون واشنطن الحالي

"Observations on Imprisonmen As a Source of Criminality", Journal of Criminal Law and Griminology, Vol. 41 Sept.-Oct. 1950, pp. 311-319.

(٥) انظر التقرير السنوي للمكتب الاتحادي للسجون الاميركية

Federal Bureau of Prisons, The Annual Report, 1948, pp. 5.

(٦) انظر كتاب « آفاق جديدة في علم الاجرام » المصدر نفسه :

A rational Approach to the Treatment of Criminals, pp. 813-817.

(٧) انظر كتاب فكتور نلسون :

Victor Nelson "Prison Days and Nights"

في فصل خاص حول مشكلة الجنس في السجن الحديث

The Sex Problem in Modern Prison, 1932, pp. 143.

(٨) انظر كتاب « الجنس في السجن »

Joseph Fulling Fishman, "Sex in Prison" New York, 1934.

(٩) انظر كتاب كنسي في السلوك الجنسي للذكور :

Kinsey, Pomeroy, Martin, "Sexual Behavior in the Human Male", 1948, pp. 611-612.

(١٠) انظر كتاب :

Negley Teeters, "Penology from Panama to Cape Horn", 1946, pp. 33-34.

(١١) ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة في السجون العراقية والسجن المركزي ببغداد حيث دأبت ادارة السجن على اختيار بعض الاشخاص الذين يقومون بالعمل في مكاتبها أو للاشراف على شؤون السجناء في قلاعهم وردهاتهم ويعرف رئيسي القلعة بلغة السجن بـ « السرهيد » وهو سجين تختاره الادارة ليكون حلقة الاتصال بينها وبين السجناء من جهة وليقوم بواجبات الضبط والاشراف والاخبار عن المخالفات والاحداث التي تستدعي علم الادارة بها ٠

(١٢) انظر مقال دونالد كليمر « ظاهرة القيادة في مجتمع السجن »

Donald Clemmer, "Leadership Phenomenon in a Prison Community", Journal of Criminal Law and Criminology, March-April, 1938, pp. 863-867.

(١٣) انظر مقال كليرنس شراك

Clearence Schrag, "Leadership Among Prison Inmates", American Sociological Review, Feb. 1954, pp. 37-42.

(١٤) وقد نجد ما يشبه هذه الطبقية في سجون العراق الحالية ٠ فالطبقة الخاصة تتمتع بحقوق وإمتيازات ومركز حسن وتضم بعض من لهم علاقة بأعمال الادارة أو الذين يعملون لحسابها وطبقـــة المجرمين الذين يقضون محكوميات طويلة عن جرائم القتـــل أو الجنايات الخطيرة ٠ والطبقة الدنيا تضم صغار المجرمين ممن يرتكبون الجرائم المخلة بالشرف أو الجرائم الجنسية وجرائم السكر والمخدرات وغيرها من الجرائم غير المهمة ٠ وتقف طبقة وسطى لاتخضع لمعيار معين وغالبا ما تضم طبقة المجرمين السياسيين وجرائم الشرف والافلاس وغيرهم ٠

(١٥) وهذه ظاهرة اخرى يلمسها كل من درس مجتمع السجن عن كثب ٠ وقد قام أحد الباحثـــين في السجون الاميركية بجمع بضعة آلاف من مفردات اللغة المتداولة في بعض السجون الاميركية ووضعها في معجم فريد ٠

(١٦) وهذا ما يشار اليه بـ "Prison Code"

(١٧) انظر مقال هينس رايمر

Hans Riemer, "Socialization in the Prison Community", Proceedings of the American Association, 1937, pp. 151-155.

(١٨) انظر مقال كرسون وايبزغ

S. Kirson Weinberg, "Aspects of the Prison's Social Structure,", American Journal of Sociology, March 1942, pp. 717-726.

(١٩) المصدر السابق نفسه ٠

(٢٠) انظر كتاب سذرلاند « اصول علم الاجرام »

Edwin H. Sutherland, "Principles of Criminology", 5th Edit. 1955, pp. 74-82.

(٢١) ويعد « دونالد كليمر » مدير سجون مقاطعة كولومبيا في واشنطن العاصمة الاميركية أول من وصف هذه العملية بهـــذا المعنى فسماها "Prisonization" ونحن لم نجد في العربية ما يقابل هذا المعنى غير استعمالنا لكلمة « تسجين » ونقصد بها عملية انصهار السجين في حياة السجن واكتسابه لشخصية السجين .

(٢٢) وهذه العملية تعرف في علم الاجتماع وعلم النفس ألاجتماعي بـ "Socialization"

(٢٣) ومن خلال اشتغالي في بعض السجون الاميركية الكبيرة ومن خلال دراساتي ومقابلاتي الشخصية لبعض كبار المجرمين أو ما يمكن وصفهم بالمجرمين المحترفين وهم الذين لا يعرفون غير الجريمة موردا للرزق وغير الاجرام حرفة أو مهنة ، فقد لمست ان مثل هؤلاء المجرمين المحترفين ينظرون الى السجن نظرة خاصة ، ان مدة الحبس لدى هؤلاء هي جزء من عملهم الاجرامي المعتاد ونتيجة محتملة قد يتعرض اليها المجرم كما يتعرض التاجر الى خسارة محتملة نتيجة عمله . ولاجل ذلك فهم يحرصون كل الحرص ألا تطول مدة الحبس بسبب مشكلة أو مخالفة . وتجد أحدهم وهو يظهر بمظهر « السجين المثالي » الذي يحترم الآخرين ويحترم النظام ويحترم العاملين على تطبيقه . ويندر أن تجد بين هؤلاء من يثير نزاعا أو عراكا أو يحاول الهرب أو يشارك في تمرد أو عصيان أو يرتكب أي مخالفة تستوجب العقاب . وهؤلاء في الغالب موضع تقدير الادارة وموضع احترام رجال السلطة في السجن . أما ما يضمرون من شعور عميق بالكراهية والحقد الدفين نحو السلطة والقـــانون فذلك جزء من فلسفتهم الاجرامية العريقة التي تغلغلت في نفوسهم . انهم في الواقع أشخاص يمثلون دور السجين المثالي على مسرح الحياة في السجن وهم يجيدون تمثيل هذا الدور خير اجادة واتقان .

(٢٤) وهي ما يشار اليها بـ Criminal Philosophy أو ما يعرفها البعض الآخر بفلسفة « شيء لقاء لا شيء » أي "Something for nothing philosephy"

(٢٥) الزمرة الاوليـــة هي الجماعة الصـــغيرة التي تعرف بجماعة الوجـــه للوجـــه "face to face group" يقصد بها تلك العلاقات المتينة التي تقوم على تشابه الاذواق والعادات والمواقف والاتجاهات . وتمثل هذه الجماعة تأثير كبير في أعضائها ومن هذه الزمر العائلة وبعض الزمر البدائية التي تعيش في عزلة تامة .

مصادر البحث :

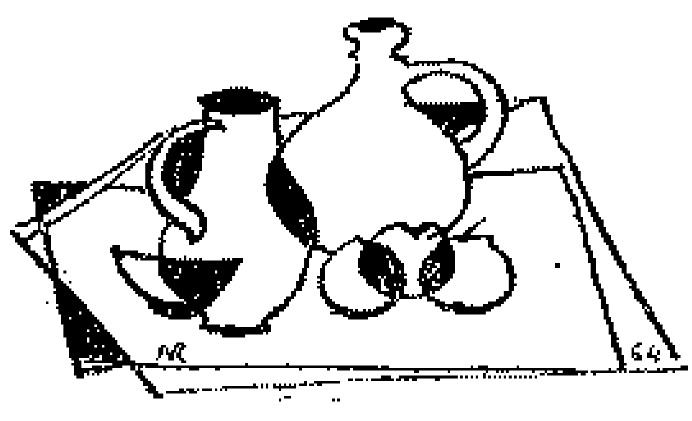
(أ) الكتب : — A. *Books*:

1. Barnes, Harry Elmer and Teeters, Negley K., "New Horizon in Criminology" 2nd Edit. New York, 1951.
2. Clemmer, Donald, "The Prison Community", Boston, 1940
3. Federal Bureau of Prison, The Annual Report, 1948.
4. Fishman, Joseph Fulling, "Sex in Prison", New York, 1934.
5. Kinsey, Pomeroy, Martin, "Sexual Behavior in the Human Male", Philadelphia and London, 1948.
6. Nelson, Victor, "Prison Days and Nights", Boston, 1932.

7. Sutherland, Edwin H., Revised by Donald R. Cressey, 5th Edith. Chicago, Philadelphia, New York, 1955", Principles of Criminology".
8. Taft, Donald R., "Criminology", New York, 1956.
9. Vedder, Koenig, Clark, "Criminology" A Book of Readings, New York, 1953.

B. *Articles* : (ب) المقالات :

1. "Observation on Imprisonment As a Source of Criminality" Journal of Criminal Law and Crimialogy, Vol. 41 Sept. 1950.
2. "Leadership Phenomenon in a Prison Community" By Donald Clemmer, Journal of Criminal Law and Criminology", March, 1938.
3. "Leadership Among Prison Inmates, American Sociological Review, Feb. 1954.
4. "Socialization in the Prison Comunity", Proceedings of the American Association, By Hans Riemer, 1937.
5. "Aspect of the Prison's Social Structure", American Journal of Sociology, March 1942.



أغنية إلى ردفان

محمد جميل شلش

ردفان
يا قاهرة الطغيان
يا شمسا في غدنا الاروع
قسما بالثورة لن تخضع
ردفان
يا قاهرة القرصان
يا ملغم كبريت في أعماق الامه
سنموت لتبلغ ثورتنا مجد القمة
ردفان
يا ملحمة الانسان
يا أروع سطر مكتوب بالدم
في تاريخ العرب الاعظم
يا ملحمة الامة
يا ملحمة الثورة
قسما بعروبتنا الحرة
قسما بالشعب الصاعد في درب القمة
قسما بالدم
المجد لنا .. وسنبلغه بالطوفان الاعظم

ردفان

يا مشعل ايمان

للعرب الشجعان

يا أغنية الانسان الثائر في كل مكان

يا ساحرتي

يا ملهمتي ..

صبرا صبرا يا جباره

يا حملا ينحر جزاره

يا بلدي يا وطني الاصغر

يا فجر غدي

يا فجر جميع العرب

لا تكتئبي

لاتكتئبي .. ما مات أبي

ما مات ، ففي يدك الخنجر

يا ردفان

سيموت الفرصان الاحمر

فالنصر لنا

والمجد لنا

والثورة في وطني الاكبر

يا ردفان

يا ملحمة الانسان

الثقافة والمرأة العربية

علية الكبارة

لا شك فى ان المرأة عامل من اعظم العوامل المؤثرة فى بناء المدنيسة الحديثة ولم تكن المرأة فى العصور القديمة أقل أثرا منها فى العصور المتأخرة فالقبائل البدائية ولا سيما البدو الرحل والجماعات الذين عاشوا على الصيد والضرب فى مناكب الحياة يدينون بالكثير لجهود المرأة · ان المرأة والرجل صنوان متعاونان في مجالات الحياة وفي بحثنا هذا نتناول المرأة المسلمة وأثرها فى الثقافة ·

ان التعليم بين النساء لم يكن منتشرا انتشاره بين الرجال وكانت نسبة المتعلمات من النساء أقل بكثير من نسبة المتعلمين من الرجال ، ويسأل المرء نفسه ما الذى دعا الى هذه النتيجة مع ان الدين الاسلامى لم يجعل الجنس عائقا للمرأة دون تلقى العلم ؟ واعتقد ان الذى عاق النساء المسلمات عن مجاراة الرجال في التعلم انما هو الصعوبات التي كان يستهدف لها طلاب العلم فقد كانت الرحلات والحرمان والتقشف شارات الطالب المسلم، وكان العرب يضعون المرأة فى مكانة اسمى ومنزلة اعلى فلا يسمحون لها بأن تتعرض لنصب العيش وشظف الحياة ، وقد عبر الشاعر العربي عن هذا بقوله :

كتب القتل والقتـال علينـا وعلى الغانيـات جـر الـذيول

وعلى هذا هبطت نسبة المتعلمات من النساء غير انه يجدر بنا ان نذكر الكثيرات من المسلمات اللواتى تغلبن على هذه الصعوبات فحصلن على جانب من الثقافة التى يمكن ان توصف بانها عميقة ومتنوعة وهذا ما لم تنله معاصراتها الاوربيات ·

وقبل ان نعطي نماذج توضح ثقافة المرأة وعمقها وتنوعها يجدر بنا ان نحقق قضية هامة هى : اين كانت تتعلم الفتاة ؟ هل التحقت بالكتاب صغيرة ؟ وانضمت الى حلقات الرجال شابة ؟ أو كان لها مؤدب خاص ولم تختلط بالصبيان والرجال ؟

يقول الدكتور فؤاد الاهواني في كتابه : (التعليم عند القابيسي) ص ٨٧ « ان البنات كن يتعلمن في الكتاتيب » ولكن الدكتور الاهواني يرجع عن رأيه هذا الى الرأي الذي نعتقده صوابا فيقر : « ان العادة قد جرت على تعليم البنات داخل الدور » • وقد تعرض لهذا الموضوع ايضا الدكتور خليل طوطح في كتابه « التربية والتعليم عند العرب » فذكر تحت عنوان « البنت والمكتب » ص ٦٩ :

« ومما يذكر في كتاب الاغاني تردد البنات الى المكتب في القـــرن الثاني للهجرة » • ثم أورد بعض الاقتباسات غير الكاملة من الاغاني مما يؤيد هذا القول فمن الاغاني ص ١٤ : ٤٩ ، ٢١ : ٤٨ النص الآتي :ـ

« حدثني القطراني المغني عن محمد بن حسن قال : « كان خليل المعلم يلقب خليلان وكان يؤدب الصبيان ويعلم الجواري الغناء في موضع واحد وبالرغم من الكثير من النصوص والاشارات لم تكن هذا النوع من الثقافة للبنت الحرة ولكنها تتعلق بتهذيب الجواري ، ولهذا لا يمكن ان نأخذ منها حكما عاما على ان البنت تعلمت بالمكتب مع الاولاد ، لان تعليم الجواري بالمكتب لا يدل بحال من الاحوال على تعليم الحرائر به ، ولم يكن المراد بتعليم الجواري هو الثقافة بقدر ما كان يراد رفع اثمانهن بتعليمهن الكتابة أو الغناء أو الصناعات اليدوية السهلة ، اما بالنسبة للحرائر فقد كان الغالب ان تتعلم بالمنزل عن طريق احد اقاربها أو بمؤدب يدعى لها • يروى البلاذري في فتوح البلدان ص ٤٥٨ « انه عند مجيء الاسلام كان هناك خمس من نساء العرب يقرأن ويكتبن وهن : حفصة بنت عمر ، وأم كلثوم بنت عقبة ، وعائشة بنت سعد ، وكريمة بنت المقداد ، والشفا بنت عبدالله العدوية ، التي كانت تعلم حفصة • وقد طلب الرسول (ص) منهـا ان تستمر في تعليمها لحفصة حتى بعد زواج الرسول منها • ويروي البخاري[٢] : ان النساء قلن للنبي (ص) « غلبنا عليك الرجال فأجعل لنا يوما من نفســك فعين لهن يوما يلقاهن فيه ويعلمهن » •

وقد ثقف الاعشى ابنته وعلمها حتى اصبحت أديبة ناقدة ، ويروى ان الاعشى كان اذا قال القصيدة عرضها عليها ثم يقول لها : « عدي لي المخزيات » فتعددها •

وكان عيسى بن مسكين (٢٧٥هـ) يجلس للطلبة الى العصر فاذا كان بعد العصر دعا ابنته وبنات اخيه وحفيداته ليعلمهن القرآن والعلم • وكذلك علم اسد بن الفرات ابنته اسماء ، والامام سحنون ابنته خديجة • كما كان يدعى مؤدبون خاصون لتعليم البنات في بيوت اهل الثراء وقصور الامراء •

فبالرغم من الامثـــلة الكثيرة لتعليم المرأة العربيـــة كانت نسبـــة المتعلمات في النساء اقل كثيرا من نسبة عـــدد المتعلمين الى الرجـــال ذلك هو ان الطريق الى تعليم المرأة كان عن طريق أحد من ذويها ، أو يقوم

به معلم خاص . وهـــذا لا يتيسر للجمهرة العظمي من النساء في حين ان الوسيلة لتعليم الصبيان سهلة فهم يلتحقون بالكتاب صبيانا وينضمون الى الحلقات بالمساجد اذا شبوا وتنمت ثقافتهم .

وعلى كل حال فقد أنتج التعليم الخاص مجموعة من النساء اللائي كانت ثقافتهن لا تقل عن ثقافة الرجال بل ربما فاقتها في كثير من الاحوال. والمرأة المسلمة كثيرا ما برهنت على أنها متزودة لا بالثقافة الاسلامية فحسب ولكن بالاخلاق الاسلامية والنبل في أرفع صوره ، وفي هذا المجال تحفل كتب التاريخ والادب بصورة رائعة زاهية ، وعندنا مثال على ذلك من كتـــاب « ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ٧ : ٤١٥ ـ ٤١٦ دمشق ١٣٢٤هـ ـ وابن الاثير ٤ : ١٤٧ :

« لبث عبدالله بن الزبير على امرة المؤمنين ثماني سنوات ودانت لـه العراق والحجاز واليمن ، ثم بدأ ينهزم أمام جيوش عبدالملك بن مروان التي يقودها الحجاج بن يوسف ، حتى لم يبق له الا مكة المحاصرة بجند الحجاج، والتي كانت هدفا للمجانيق والحجارة ، فقل أصحابه وكثر عدوه ، والحجاج من حين الى آخر يمنيه بالامارة في ظل الأمويين لو أغمد سيفه وبسط يده للبيعة . دخل عبـــدالله حينذاك على امه أسماء بنت أبي بكر فدار بينهما الحوار الآتي :

يا اماه ، خذلني الناس حتى أهلي وولدي ، ولم يبق معي الا اليسير وما لا دفع له أكثر من صبر ساعة من النهار ، وقد أعطاني القوم مما أردت من الدنيا فما رأيك ؟

أجابت أسماء : الله الله يا بني !! ان كنت تعلم انك على حق تدعو اليه فامض عليه ، وان كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك ومن معك ، وان قلت انك كنت على حق فلما وهن أصحابك ضعفت فليس هذا فعل الأحرار . كم خلودك في الدنيا ؟ القتل أحسن ما يقع بك يا ابن الزبير ، والله لضربة بالسيف في عز أحب الي من ضربة بالسوط في ذل .

فأجابهـــا : يا اماه ، أخاف ان قتلني أهل الشـــام أن يمثلوا بي ويصلبوني .

أجابت أسماء : يا بني ان الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح ، امض غير متردد ولا هياب . »

والآن فلنتحدث عن ثقافة المرأة التي وصفناها بأنها كانت عميقـــة ومتنوعة ، وهذا الوصف حقيقة لا مبالغة فيها ، فقد تصدت المرأة لموضوعات ثقافية متعددة فبرزت في جميعها ، وكانت في كل منها تضارع الرجال ، وتدل على مقدرة ممتازة وكفاءة طيبة ، وفيما يأتي حديث موجز عن الموضوعات التي زاولتها :

« روي عن عائشة انها قالت : نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن

الحياء أن يتفقهن في الدين ، وقد كانت عائشة نفسها واسطة العقد بين نساء هذا الجيل فقد ورد عن الرسول (ص) قوله : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء ، ومما يذكر لها انها روت عن الرسول ألف حديث رواية مباشرة وهذا لم يتوفر لسواها • وأقبلت النساء على رواية الحديث اقبالا عظيما ، وقد عقد محمد بن سعد جزءا من كتاب الطبقات الكبيرة لرواية الأحاديث عن النساء أتى فيه على أكثر من سبعمائة امرأة عن الرسول أو عن الثقات من أصحابه ، وعنهن روى أعلام الدين وأئمة المسلمين وترجم ابن حجر حياة (١٥٤٣) محدثة وقال عنهن أنهن كن ثقات عالمات ، ولقد ورد عن النواوي في كتابه الأسماء والخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد والسخاوي في الضوء اللامع حيزا كبيرا للحديث عن النساء اللاتي كانت لهن ثقافة عالية ولا سيما في العلوم الدينية ورواية الحديث • وفيما يأتي بعضهن :

نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي : وكانت راوية محدثة من خيرة المحدثات في عصرها ، وكان يجلس في حلقتها مشاهير العلماء والمجتهدين ، ولما دخل الامام الشافعي مصر حضر اليها وسمع عنها الحديث • وذلك عن كتاب ابن خلكان وفيات الاعيان ٢:٢٥١ •

الشيخة شهدة وكانت تلقب « فخر النساء » وكانت تحاضر للجماهير في مسجد بغداد فيجلس للاستماع منها جمهور عظيم من الطلاب وكانت تحاضر بالاضافة الى العلوم الدينية — في الادب والبلاغة والشعر وقد استطاعت بثقافتها وفصاحتها أن تأخذ مكانتها بين مشاهير العلماء وفطاحل المدرسين) وهذا عن كتب :

The Spirit of Islam By Sayid Ameer Ali London 1940 pp. 255.

روح الاسلام •

زينب بنت عبدالرحمن الشعري : كانت عالمة وأدركت جماعة من أعيان العلماء وأخذت عنهم رواية واجازة • سمعت من محمد بن أبي القاسم ابن أبي بكر النيسابوري وأبي المظفر القشيري وغيرهما ، وأجاز لها الحافظ أبو الحسن الفارسي والعلامة أبو القاسم الزمخشري صاحب الكشاف وغيرهما من السادات الحفاظ • وقد أجازت ابن خلكان سنة ٦١٠ وهو طفل جريا على العادة التي كانت متبعة آنذاك من اجازة الاطفال الذين ينبتون في بيوت العلم تشجيعا لهم عندما يشبون ، وأملا في نجاحهم في المستقبل) •

أما عنيدة جدة أبي الخير التيناني الأقطع فقد كانت عالمة فاضلة تجلس للتدريس فيجلس أمامها خمسمائة تلميذ من الرجال والنساء) • وهذا القول عن ابن خلكان •

ولابد لنا أن نشير الى فضليات النساء اللائي يدين لهن كثير من عظماء الرجال ومشاهيرهم :

فالخطيب البغدادي قرأ صحيح البخاري على كريمة بنت أحمد المرزوي، وقد أسهمت بنصيب كبير في تكوين هذا العالم الكبير) .

وقد عد ابن عساكر أساتذته وشيوخه الذين تلقى عنهم العلم ، وكان من بينهم احدى وثمانون امرأة) . وذلك عن ياقوت معجم الادباء ٥ : ١٤٠.

الأدب :

تحفل كتب الادب العربي بالحديث عن كثيرات من الاديبات والبليغات والشاعرات اللائي كن في كثير من الحالات نظيرات للرجال المعاصرين لهن ، وربما كان لهن التفوق عليهم ، وفيما يأتي أمثلة موجزة لبعضهن :

كانت زوجة الفرزدق أديبة ناقدة يحتكم لها شعراء العصر وادباؤه وقد حكمها الفرزدق بينه وبين جرير فقالت : « انه قد غلبك في حلوه وشاركك في مره » وهذا عن كتاب الجاحظ البيان والتبين (٢ : ٩٣) .

أما رابعة العدوية فأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة ، وكانت شاعرة أديبة متصوفة تستعمل في مناجاتها لله أسلوبا مملوءا بالرقة والعذوبة والصفاء ، ومن ذلك قولها : الهي ، أتحرق بالنار قلبا يحبك ؟

زبيدة ام جعفر زوجة هارون الرشيد :ــ كانت تنظم الشعر وتناظر الرجال في شتى نواحي الثقافة والفكر ، وكانت في شعرها دقيقة مجيدة ، وكثيرا ما كانت تبعث برسائلها الفياضة أبياتا شعرية الى زوجها الرشيد ، ولما قتل محمد الأمين في الحرب بينه وبين أخيه المأمون أرسلت زبيدة الابيات الآتية الى المأمون :

لخير امام قام من خــيــر عنصـــــر	وأفضل راق فوق أعـــــواد منبر
ووارث علم الاولـــين وفخـــــرهم	وللملك المأمون مــن أم جعفـــــر
كتبت وعيني تستهل دموعهــــــا	اليك ابن عمي من جفوني ومحجري
أصبت بأدنى الناس منك قرابــــة	ومن زال عن كبدي فقل تصبري

ولما قتل ولدها الامين رثته بقصائد رائعة منها :

أودى بالفــين من لم يترك الناسا	فامنح فؤادك عن مقتولك اليأسا
لما رأيت المنـــايا قد قصــدن له	أصبن منـــه ســواد القلب والراسا
فبت من شجني أرعى النجوم له	أخال سنته في الليـــــل قرطاسا
والمـــوت كان به والهـــم قارنه	حتى سقاه التي أودى بها الكاسا
رزئتـــه حين باهيت الرجـال به	وقد بنيت به للدهر آســـاسا

حمدة بنت زياد المؤدب وأختها زينب : يقول عنهما لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة في أخبار غرناطة (١:٣١٦) :

شاعرتان أديبتان ، من أهل الجمال والمال والمعارف والصون ، الا أن

حب الادب كان يحملهما على مخالطة أهله مع صيانة مشهورة ونزاهة موثوق بها • ويقول ياقوت في معجم الادباء (٤:١٤٤) ان حمدة كانت تلقب بخنساء المغرب ، وشاعرة الأندلس •

مريم بنت أبي يعقوب الانصاري : أديبة شاعرة ، كانت تعلم النساء الادب وعمرت عمرا طويلا ومن شعرها وقد كبرت :

« وما يرتجي من بنت سبعين حجة   وسبع كنسج العنكبوت المهلهل »
تدب دبيب الطفل تسعى الى العصا   ويمشى بها مشي الأسـير المكبل

عن المقري ــ نفح الطيب ص : ١١٤٣

بدانية مولاة أبي المطرف عبدالرحمن بن غلبون : أخذت عن مولاها النحو واللغة ولكنها فاقته في ذلك وبرعت في العروض ، وكانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر للقالي وتشرحهما • قال أبو داود سليمان بن نجاح : « قرأت عليها الكتابين وأخذت عنها العروض » (عن المقري ــ نفح الطيب ص ١٠٧٨) •

حفصة بنت الحاج الركوني : يقول عنها لسان الدين بن الخطيب في كتابه الاحاطة في أخبار غرناطة (٣١٦:١) انها كانت فريدة الزمان في الحسن والظرف والادب واللوذعية ، أديبة نبيلة جيـدة البديهة سريعة الشعر ويضيف (ياقوت في معجم الادباء ٤ : ١١٩ــ١٢٢) انهـا كانت مشهورة بالحسب والادب والجمال ، استاذة وليت تعليم النساء في دار المنصور أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي •

وللسيوطي مؤلف قيم عنوانه « نزهة الجلساء في أشعار النساء » وهو لا زال مخطوطا بالمكتبة الظاهرية بدمشق ويحوي تراجم سبع وثلاثين شاعرة مع نماذج رائعة من أشعارهن ، وفيما يلي بعض ما كتبه السيوطي عن واحدة من هؤلاء :

تقية ام علي بنت أبي الفرج : كانت أديبة فاضلة وشاعرة ممتازة ، لها شعر وقصائد ومقطوعات • ومن شعرها :

نأيت وما قلبي عن النأي بالراضي   فلا تغترر مني بصـدي واعراضي
واني لمشتاق اليهـم متيـم   وقـد طعنوا قلبي بأسمر عراض
اذا ما تذكـرت الشـأم وأهله   بكيت دما حزنا على الزمن الماضي
أبيت اراعي النجم والنجم راكـد   وقد حجبوا عن مقلتي طيب اغماضي
فهل طارق منهم يلم بنـاظري   فان لقـاء الطيف أكبر أغراضي

أما في الموسيقى والغناء فقد حفلت حياة العربي بالموسيقى عن المهد الى اللحد ، سمعها منذ كان طفلا يهدهد بالغناء والموسيقى ، وظل يسمعها طوال عمره حتى عزفت الألحان تفجعه وترثيه • وكان لـكل مناسبة من

المناسبات التي تمر بالعربي موسيقاها الخاصة ، وكان هناك عدد ضخم من الموسيقيين والموسيقيات والمغنين والمغنيات الذين كانت تنبعث ألحانهم وأنغامهم في العالم الاسلامي من أقصاه الى أقصاه ، ويكفي أن يذكر كتاب الاغاني ليستعرض الانسان في خاطره هذه المكانة السامية التي نعم بها فن الموسيقى وفن الغناء ، وليدرك ان طوائف متعددة أسهمت في الرقي بهذين الفنين الجميلين فقد نشط الموسيقيون والمغنون والموسيقيات والمغنيات للاستجابة لنداء العصر وبذل الخلفاء والأثرياء من أموالهم لهؤلاء واولئك ما شجعهم على الاجادة والابداع ، كما نشط المؤلفون يدونون وينشرون على الملأ ما يكتبون • وكتاب الأغاني خير مرجع لنا في ذلك الموضوع ويجيء بعده نهاية الارب للنويري ونفح الطيب للمقري ، ومن هذه المصادر نسوق الحديث عن عدد قليل ممن برزن في هذه الصناعة :

جميلة مولاة بني سليم : يروي الأصفهاني ، انها أصل من اصول الغناء ، وعنها أخذ معبد وابن عائشة وحبابة وسلامة وعقيلة العقيقية والسماسيتان : خليدة وربيحة ، وكانت أعلم خلق الله بالغناء ، وكان معبد يقول : أصل الغناء جميلة وفرعه نحن ، ولولا جميلة لم نكن نحن مغنين • وكان يقصد لها الناس ويجلسون للتعلم ، كما كان يقصدها مشهورو المغنين ليحتكموا لها ، فكانت تفصل بينهم وكان حكمها دائما موضع القبول والرضا ، وكانت تعتز بفنها اعتزازا كبيرا حتى انها آلت على نفسها ألا تغني أحدا الا في منزلها ، ومن أجل هذا كان يسعى لمنزلها سادة الدولة وعظماؤها لينعموا بصوتها الساحر ، وليسعدوا بغنائها الحنون ، وكان عناء الانتقال لها لا يعدل اللذة التي ينعمون بها والمتعة التي يحصلون عليها •

دنانير : كانت مولاة يحيى بن خالد ، اشتهرت بحسنها وأدبها وصنعتها الغنائية ، وكان الرشيد لشغفه بصوتها يكثر السير الى مولاها يسمعها ويقول الاصفهاني انه كان لها كتاب مشهور في الاغاني •

علية بنت المهدي : اخت هارون الرشيد وهي من الحرائر اللائي فقن الجواري في الغناء ، وكانت من أحسن الناس وأظرفهم ، تقول الشعر الجيد وتصوغ فيه الالحان الحسنة ، ويقول عبدالله بن العباس بن الفضل بن الربيع انه ما اجتمع في الاسلام قط أخ واخت أحسن غناء من ابراهيم بن المهدي واخته علية ، وكانت تقدم عليه ومن شعرها الذي غنته فأبدعت فيه قولها :

تام عـــذالي ولــم أنم ... واشتفى الواشون من سقمي
واذا ما قلــت بي ألــم ... شــك من أهــواه في ألمي

متيم الهاشمية : نشأت بالبصرة وفيها تأدبت وغنت ، واخذت عن اسحق وعن ابيه من قبله ، وكانت من احسن الناس وجها وغناء وادبا •

عنيده الطنبورية : امرأة فاتنة الجمال عالية الاخلاق موفورة الذكاء ، وكانت تجيد العزف على الآلة الموسيقية بالطنبور ، ومنها اخذت عنيده لقب الطنبورية ثم كان صوتها غاية في الرقة والعذوبة ٠

الطب

ان النساء المسلمات قمن في الحروب الاسلامية بالدور الذي تقوم به في العهد الحاضر منظمات الصليب الاحمر ٠ فيروى ان امية قيس الغفارية قالت « اتيت رسول الله في نسوة من بني غفار فقلنا : يا رسول الله ، قد اردنا ان نخرج معك الى وجهك هذا ـ وهو يسير الى خيبر ـ فنداوي الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا ٠ فقال : على بركة الله ٠ وتقول الربيع بنت معوذ : كنا نغزو مع رسول الله (صلعم) فنسقي القوم ونخدمهم ونداوي الجرحى ٠ ونرد القتلى والجرحى الى المدينة ٠ » ذلك عن ابن حجر: الاصابة ٤ : ٥٧٥ »

وبالاضافة الى هذا فان عندنا نساء برعن في الطب وكانت لهن شهرة عظيمة بين الاطباء ، وقد ترجم ابن ابي اصيبعه لبعضهن في مؤلفه طبقات الاطباء كما ورد ذكر بعضهن في تاريخ الحكماء للقفطي وفي الاحاطة للسان الدين ابن الخطيب وفيما يأتي نماذج قصيرة لبعضهن :

زينب طبيبة بني اود : كانت عارفة بالاعمال الطبية خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات ، مشهورة بين العرب بذلك ٠

ام الحسن بنت القاضي ابي جعفر الطنجالي : كانت امرأة واسعة الاطلاع كثيرة المعارف اجادت عدة علوم مع الطب ، ولكنها في الطب كانت ابرز واشهر ٠

اخت الحفيد بن زهر وابنتها : كانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة ولهما خبرة جيدة فيما يتعلق بمداواة النساء ، وكانتا تدخلان الى نساء المنصور ولا يقبل لمداواة اهل المنصور سواهما وذلك عن (ابن ابي اصيبعه ٢ : ٧٠) ٠

الشؤون الحربية

نبغت في ظل الاسلام عدد كبير من النساء المحاربات ، وقد قامت نسيبة زوجة زيد بن عاصم بدور هام في موقعة احد ، اذ أنه لما قامت قريش بالهجوم على جيوش المسلمين المنهزمة قبيل نهاية المعركة حاربت نسيبة بشجاعة نادرة وجرحت بسيفها احد عشر محاربا وكانت من الاسباب التي عطلت تقدم جيوش قريش ٠

وقاتل يوم اليرموك نساء من نساء المسلمين قتالا شديدا ، وجعلت

هند بنت عتبة تقول : عضدوا الرجال بسيوفكم وكانت جويرية بنت أبي سفيان مع زوجها في حومة الوغى • وفي موقعة صفين كان يتميز جمل احمر تركبه الزرقاء بنت عدي الهمدانية وهي توقد الحرب وتحض شيعة علي على القتال قائلة : « ايها الناس ان المصباح لايضيء مع الشمس ولا تنير الكواكب مع القمر ، ولا يقطع الحديد الا الحديد •• ايها في الحرب قدما غير ناكصين ولا متشاكسين • وفي المعركة نفسها كانت عكرشة بنت الاطرش متقلدة حمائل السيف تقاتل اهل الشام وتحث قومها على الجهاد والنضال وفي سنة ١٣٩ هـ غزا صالح بن علي والعباس بن محمد بلاد الروم ووغلا فيها وغزا مع صالح اختاه ام عيسى ولبابة •

وهناك اعمال أخرى اسهمت فيها المرأة المسلمة ، فقد اهلتها ثقافتها الى ان تشتغل بالسياسة وشؤون الحكم او ان تكون مصلحة اجتماعية ممتازة او ان تشغل بعض المناصب العامة ذات الاهمية الكبرى • فقد كان للخيزران نصيب كبير في ادارة شؤون الدولة وكانت تتدخل في شؤون السياسة تدخلا سافرا في عهد زوجها الخليفة المهدي ، وعهد ولديها الخليفتين الهادي والرشيد •

وهناك سيدة اخرى هي زبيدة زوجة الرشيد وقد تدخلت في السياسة ولكن بفطنة وتؤدة ، يروى انه كان لها في السياسة رأي تسمو به الى التدخل في امور الدولة كافطن من يكون من الرجال •

ولكن زبيدة مصلحة اجتماعية كانت ابرز منها سياسية ، يقول المسعودي : « وكان احسن الناس فعلا في أيام الرشيد ام جعفر بنت المنصور لما احدثته من بناء دور السبيل بمكة واتخاذ المصانع بها ، وما احدثته من دور للتسبيل بالثغر الشامي وطرسوس ، وما اوقفت على ذلك من الوقوف • ومن اروع آثارها الخالدة حفرها العين المعروفة بعين المشاش بالحجاز •

وفي قرطبة كانت لبانة تشغل وظيفة قل ان شغلتها امرأة تلك انها كانت سكرتيرة لاسيما للخليفة الحكم •

شجرة الدر : تسطع في تاريخ مصر الاسلامية شخصية نسوية تكاد تغشي بروعتها وبهائها كل شخصية نسوية اخرى في تاريخنا • تلك هي شخصية شجرة الدر أول وآخر ملكة جلست على عرش مصر الاسلامية وحكمت مصر حينا لم يطل أمده ، ولكنه خلد في تاريخنا مثلا فريدا يثير اعجاب الاجيال • وقد لاتتفوق شجرة الدر في خلالها او شخصيتها على شخصيات نسوية كثيرة تبوأت مكانتها في قصور الخلفاء او السلاطين • وكان لها احيانا أثرها البارز في توجيه سياسة الملك ولكن من وراء الستار ، ولكن شجرة الدر تمتاز على هذه الشخصيات جميعا بما هيأه القدر من الجلوس على عرش الخلفاء والسلاطين ، وتخليد مكانتها بذلك في سجل الملوكية الرسمي • (٣٥٩ – ٤١٤ هـ) ، (٩٧٠ – ١٠٢٣م) • على ان مصر

الاسلامية قد عرفت غير شجرة الدر شخصيات نسوية اخرى كان لها اعظم نفوذ في توجيه سياستها ومصايرها • وفي طليعة هذه الشخصيات الاميرة ست الملك الفاطمية ابنة الخليفة العزيز بالله ، وأخت ولده الخليفة الحاكم بامر الله ، وقد ولدت هذه الاميرة النابهة سنة ٣٥٩هـ (٩٧٠م) بعد الفتح الفاطمي لمصر ، وكانت ست الملك منذ نشأتها أميرة عاقلة حازمة ، وافرة التحفظ والجد ، تعتني بالجليل من الامور ، وكان والدها العزيز يحبها حبا جما ، فلما كبرت وترعرعت غدت موضع ثقة يستشيرها في كثير من الامور • وكان لآرائها وتوجيهها بلا ريب اكبر الاثر في تعزيز سياسة التسامح •

على ضوء هذه الامثلة الرائعة لاعمال النساء • نحن نرى ان التعليم والتربية في حد ذاته حاجة من حاجات الحياة الانسانية وهو الان من الحاجات الاولى في كل مجتمع دخلت فيه المدنية •

واصبح العلم هو الغاية الشريفة التي يسعى اليها كل شخص يريد ان يحصل على سعادته المادية والروحية ، ذلك لان العلم هو الوسيلة الوحيدة التي يرتفع بها شأن الانسان من منازل الضعة والانحطاط الى مراقي الكرامة والشرف • ولكل نفس حق طبيعي في تنمية ملكاتها الغريزية الى اقصى حد ترمي اليه باستعدادها • وقد جاءت الشرائع الالهية والقوانين الوضعية تخاطب النساء كما تخاطب الرجال ، والفنون الجميلة والصنائع والمخترعات والفلسفة العالية كل ذلك يستلفت من المرأة مثل ما استلفته من الرجل ، فاي نفس عالية لاتشتاق الى مطالعتها والتمتع بكنوزها طلبا للحقيقة وللسعادة في الدنيا والآخرة ؟ واي فرق بين الرجل والمرأة في هذا المضمار ؟

والامر الذي يلزم أن تلتفت اليه كل أمة لاتغفل عن مصالحها الحقيقية هو وجود النظام في العائلات وعلى الاخص الاهتمام في تقدم الامة وتأخرها •

المرأة ميزان العائلة ، فأن كانت منحطة احتقرها زوجها واهلها واولادها وعاشوا جميعا منحلين لايرتبط بعضهم ببعض ولا يعرفون نظاما ولا ترتيبا في معيشتهم فتفسد آدابهم وعوائدهم •

اما وان كانت المرأة على جانب من العقل والأدب هذبت جميع العائلة واحترمها افرادها واحترموا انفسهم وعاش الجميع في نظام تام تحت لواء صحبتها متضامنين أقوياء باتحادهم وهذه الصفات التي تشاهد في العائلة هي الصفات التي تشاهد في الامة ، اذ كلا منا يسلك في امته مسلكه في عائلته • ومن المحال ان يكون للانسان من الصفات والاخلاق في أمته ما ليس له نموذج في منزله ، وان يعامل مواطنيه بأخلاق غير التي يعامل بها افراد عائلته • فأن كان حسن الاخلاق في عائلته كان كذلك في أمته وان كان سيء الاخلاق في عائلته ساءت اخلاقه في امته ايضا • ومن هذا يتبين مقدار دور المرأة في تقدم الامم وتأخرها • وجملة فان ارتقاء الامم يحتاج الى عوامل مختلفة متنوعة من أهمها ارتقاء المرأة ، لهذا اصبحت تربية المرأة وثقافتها

وعملها ليس من الامور الكمالية فبمجرد ما حل العقل محل القوة وحلت الحرية محل الاستبداد رأى العالم ان في المرأة اسرارا لم تعرفها الجاهلية الاولى وأنها تصلح لوظائف سامية ، فعلى المرأة العربية ان تعمل لان الاسلام طالب بالعمل كل قادر عليه وقرر ان لكل « نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت » فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، وان ليس للانسان الا ما سعى . صدق الله العظيم .

● ● ●

مصادر البحث العامة

1. Encyclopedia of Islam By H.A.R. Gibb and J.H. Kramers. Leiden E.J. Brill, 1953.
2. A short History of Women By John Longdom The Royal Society, 1937.
3. The Arab Women By Matiel Mugannam London, 1940.
4. By Syid Ameer Ali "The Spirit of Islam" London, 1940.

٥ ــ ابن خلكان « وفيات الاعيان » القاهرة مكتبة النهضة المصرية . حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد محي الدين عبدالحميد ١٣٦٧هـ ــ ١٩٤٨م .

٦ ــ ياقوت معجم الادباء مصر ، مطبوعات دار المأمون ١٣٥٥ هـ ــ ١٩٣٦م

٧ ــ ابو فرج الاصفهاني (الاغاني) طبعة مطبعة التقدم مصر ، طبع الكتاب الحاج ساسي المغربي قوبل على نسخة قديمة بالكتبخانة الخديوية .

٨ ــ ابن الاثير (الكامل في التاريخ) المتوفى سنة ٦٣٠ هـ عنيت بنشره لاول مرة سنة ١٣٤٨ هـ ادارة الطباعة لصاحبها محمد منير الدمشقي . صححه وكساه الملاحظات المؤرخ الاستاذ الشيخ عبدالوهاب النجار بقسم التخصص في الازهر .

٩ ــ محمد عبدالله عنان (تراجم اسلامية شرقية اندلسية) الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٩٤٧م ١٣٦٦هـ ص ص ــ ٣٥ ــ ٥٢ ــ ٦١ ــ ٩٠

المسرحية العربية في العراق

الدكتور علي الزبيدي

سبق ان نشرنا في الجزء التاسع من السنة الاولى من هذه المجلة مقالا بعنوان (المسرحية العربيـــة في العـراق في العهد العثماني) • وننشر في هـــذا العدد الجزء الثاني منــه كمـا سننشــر في الاعـداد القادمة تتمـة البحـث

أشرنا في الجزء الاول من هذا البحث الى ان مسرحية (فتح مصـــر) التي قدمت في الموصل عام ١٩٢٤ قد ضاع نصها فتعذر علينا انجاز موضوعها وبيان خصائصها الفنية العامة • وقلنا اننا نستطيع ان نستنتج انها مـن طراز (فتح عمورية) أي انها اقتبست موضوعها من التاريخ العربـــي مستهدفة التأكيد على الفضائل العربية ومستندة على حادث واحد أو عدد من الحوادث التاريخية ولعلها اعتمدت قصة الشاب القبطي الذي اعتدى عليه ابن عمرو بن العاص فشكا ذلك الى عمر بن الخطاب (رضي) فكان ما كان من أمر الخليفة بان يصفع الشاب القبطي ابن عمرو بن العاص ليقتص لنفسه منه • وقد رددت كتب الادب والاخبار هـــذه القصة مع القصص الكثيرة الدالة على عدل عمر بن الخطاب خاصة وعدالة المسلمين عامة •

أما مسرحية فتح الاندلس التي قام بتمثيلها اعضاء دار التمثيل فلم تكن من تأليف اعضاء النادي بل هي بلا شك مسرحية المرحوم مصطفى كامل التي ألفها عام ١٨٩٣ وهي تتفق مع الخط القومي التوجيهي الذي اتبعته دار التمثيل العربي • يقول الدكتور محمد يوسف النجم عن هذه المسرحية : نفذ مصطفى كامل ، من الحوادث السياسية المعاصرة التي كانت تحيط به من كل جانب ، وتملأ افكار نفسه ، فتملك عليه شعوره وتستأثر بتفكيره الى فترة زاهية من تاريخ العرب ، وجد فيها متنفسا لاحاسيسه وعواطفـه ورأى فيها خير دليل على عزة الاســـلام والمسلمين ، حين كانوا متحدين يعملون على نشر دينهم بعزيمة واخلاص ، متيقظين لدسائس الدخـــلاء ، حريصين على ان يرفعوا لواء الدين عاليا ، وينشروا كلمـــة الله في كل مكـــان •

ومسرحية مصطفى كامل (فتح الاندلس) معروفة في العراق فقد مثلت في اماكن مختلفة وعلى مسارح مدرسية وغير مدرسية متعددة وموجزها ان (عباد) وزير موسى بن نصير الرومي الاصل يتعاون مع فتاة رومية اسمها (مريم) جاءت من بلادها مع رجل اسمه (نسيم) لتدبير مؤامرة تدفع موسى بن نصير الى العدول عن فتح الاندلس • وتعتمد مؤامراتهم على الادعاء بان طارق بن زياد قد قتل لكي يضطرب موسى ويأمر بعودة الحملة • ولكن موسى ، وان حزن على طارق عندما سمع الخبر لا يتراجع بل يقرر الذهاب بنفسه لقيادة الحملة • وقبل ان بذلك تنكشف المؤامرة اذ يصل رسول طارق ليبشر موسى بالفتح الجديد • ويسرع موسى الى السفر الى الاندلس للقاء طارق فيخبره بتفاصيل المؤامرة ثم ينزل العقاب بالمتآمرين •

هذا هو موجز المسرحية « وقد عمد المؤلف فيها الى ايراد الحوادث التي تساعد على تطور المسرحية نحو النتيجة بسرعة ، وتدفـــع الحـــركة المسرحية بقوة والحاح ، متجنبا الحشو والاطالة ، وكل ما من شأنه اعاقة سير الحوادث نحو النتيجة •

ومع هذا لم تخل المسرحية من اخطاء كبيرة ، فبالرغم من السرعة التي توالت فيها الحوادث ، مما يلائم الجو الحماسي الذي كان يحيط بها ، فقد أضعف الكاتب عنصر التشويق والتطلع ، وقضى على لذة المماطلة بكشفه سر المؤامرة في وقت سابق غير مناسب ، وبادخاله شخصية (عارف) في معظم فصول المسرحية • فاطلع الجمهور على السر وكشف له خوافي الصياغة المسرحية ، فأتاح له التنبؤ بالنتيجة المحتومة قبل وقوعها • والشخصيات بسيطة التركيب ، مبهمة الملامح ، وألوانها متضاربة مختلطة • وقد مسها المؤلف مسا رقيقا ، وتركها تتحرك من خلال واقعها التاريخي دون ان يبعث فيها شيئا من الحياة • وكثيرا ما يسفر المؤلف عن نفسه ، ويطل بوجهه ليقف مع طريق تعبير الشخصية عن نفسها بحرية وانطلاق »(١) •

ويبدو ان السلطات الرسمية قد تضايقت من نشاط دار التمثيـــل ومن الروح القومية والوطنية العالية التي كانت تصطخب في نفوس اعضائه ، وتظهر واضحة من نشاطهم المسرحي ، فبادرت الى تجميد نشاطه عن طريق نقل اعضائه النشطين وكان معظمهم من المعلمين والموظفين ، الى المدن الاخرى البعيدة عن الموصل ، فتعثر سير العمل التمثيلي أولا ثم توقف بعد ســـفر عدد من اعضائه النشطين الباقين الى بغداد لاكمال دراساتهم فيها •

ولكن شباب الموصل سرعان ما اندفع لاقامة دار التمثيل من عثرتها فقام السيد عبدالعزيز القصاب بتشكيل فرقة جديدة من شبان اخرين ، ونقل المسرح الى مكان اخر حيث مثلوا عدة مسرحيات منها :

١ ــ حرب البسوس من تأليف محمد عبدالمطلب ومحمد عبدالمعطى التي

ظهرت سنة ١٩١١ وهي مسرحية تفتقر الى كثير من العناصر والشروط الفنية ٠

٢ ـ ابو عبدالله الصغير اخر ملوك بني الاحمر ولم نستطع معرفة هذه المسرحية ولا اسم مؤلفها ولعلها كانت من تأليف احد اعضاء النادي ٠

٣ ـ مسرحية عنترة العبسي ولعلها المسرحية التي ألفها ومثلها سليمان القرداحي في القاهرة سنة ١٨٨٦ وكانت من تأليفه(٢) ٠

ثم اضطر نادي التمثيل بعد تمثيل هذه المسرحيات الى ايقاف نشاطه في أوائل سنة ١٩٢٥ لاسباب يطول شرحها(٣) ٠

وبتوقف نادي التمثيل العربي توقف النشاط المسرحي المنظم في الموصل وانحصر في المدارس ولا سيما المدارس المسيحية ٠ وكان هذا الرجوع من الشارع الى المدرسة نكسة كبرى في تاريخ الحركة المسرحية في الموصل ولو بقيت دار التمثيل العربي تعمل لكان للمسرح العربي في الموصل عمر أطول وتاريخ أغنى ولتمكن من ايجاد حركة مسيحية محترفة في العراق ٠

لقد كانت الفترة بين سنين ١٩٢١ـ١٩٢٥ زاهرة في تاريخ الحركة المسرحية في الموصل خاصة وفي العراق عامة ٠ ولم تشهد الموصل نشاطا يشبه ذلك النشاط من حيث دوامه وثباته وغزارة انتاجه ومثابرة العاملين فيه ٠ ولعل اكثر ما يدفعنا الى الاعجاب بتلك الحركة المحاولات النشطة التي قام بها اعضاء نادي التمثيل لتأليف المسرحيات ولاسيما التاريخية ولم تكن المكتبة العربية غنية بالمسرحيات العربية والمترجمة كما هي اليوم ٠٠ ولم يكن لدى اولئك الشباب أي اعـداد فنـي سـابق مـن الناحيتيـن النظرية والعملية ٠٠ كان كل ما عندهم ارواح وثابة وعزائم قوية واستعداد للتضحية بالغالي والرخيص في سبيل خلق حركة مسرحية حاولت ان تجمع بين الفن والتوجيه القومي والخلقي ٠ واذا كانت هذه الحركة قد استفادت من الخبرات السابقة التي جاءتها عن طريق نشاط المدارس المسيحية وعن طريق الشام وحلب فلاريب في انها قد مهدت السبيل لقيام حركة مسرحية في بغـداد عندما انتقل اليها كثير من الشباب الذين عملوا في هذا الحقل في الموصل فضموا طاقاتهم وخبراتهم الى طاقات وجهود زملائهم واخوانهم البغداديين فمهدوا السبيل لقيام فن جديد استطاع ان يجد لنفسه مكانا واضحا في تاريخ ادابنا الحاضرة وفنوننا المعاصرة ٠

اما المدارس المسيحية ولاسيما المدرسـة الاكليركية التي اشـرنا الى نشاطها في الفصل السابق فقد استمرت على عنايتها بالفن المسرحي في الاطار المدرسي ٠ فكان طلابها يقدمون المسرحيات الدينية والدنيوية بين الفينـة والفينة ٠ وكان رهبانها يقدمون المسرحيات التي يؤلفها زملاؤهم اللبنانيون في مدارس بيروت ، ويؤلفون هم انفسهم بعض المسرحيات ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ٠ وطبيعي ان يتأثروا بالاتجاه الذي سار عليه اولئك المؤلفون

وبالاسس الفنية والادبية التي بنوا عليها انتاجهم المسرحي ، وتاريخ المسرحية العربية في مصر والشام يبين لنا ظهور المسرحية العربية التاريخية وتقدمها على سائر الانواع الاخرى منذ النفاثة مارون النقاش رائد المسرح العربي الى تراثنا العربي ولاسيما القصصي يوم وضع مسرحية هارون الرشيد .

وقد « اتجهت عواطف بعض الكتاب ، في القرن الماضي ومطلع هذا القرن نحو التاريخ العربي يستوحونه بعض المواقف القومية التي تدعو الى الفخر والاعتزاز وتثير في النفوس الحمية والانفة ، وذلك لاسباب قومية وسياسية واجتماعية ، منها استفحال ظلم العثمانيين في بعض البلدان العربية ، وطغيان المستعمرين في البعض الاخر ، ثم تأخر الشعوب العربية عامة عن موكب الحضارة الحديثة . وقد اتجه الكتاب في موقفهم من التاريخ اتجاهات شتى ، منها ذكر النوابغ والابطال ، وعرض امجادهم ومآثرهم ، والاشادة بمفاخرهم وبطولاتهم . ومنها التعرض للمأثور من وقائع العرب واخبارهم ، وابرازها ناصعة مشرقة .

هذا الالتفات العام نحو التاريخ الذي كان من بواعثه حالة التدهور التي تردى فيها العرب في عهد الحكم العثماني وفي عهود الاحتلال ، كان وسيلة من الوسائل التي اصطنعها بعض الكتاب ، لبعث الامجاد واستنهاض الهمم وتخفيف الشعور بالذل والضعة الذي كان يمـــلأ نفوس العرب في مختلف أقطارهم(٤) وهذا العمل ، شعوريا كان أو غير شعوري ، ساعد على خلق أدب جديد ، ونتج من ظله شعر كثير وقصص تاريخية »(٥) .

ولعل من المفيد ان نشير الى عامل اخر دفع الكتاب المسرحيين العرب الاوائل الى المسرح التاريخي الموجه وهو اعتماد المسرح الاوربي حتى اواسط القرن التاسع عشر على استقاء الموضوعات الدرامية من التاريخ .

لقد كان اكبر جانب من التراث المسرحي الاوربي متمثلا في المسرح الكلاسيكي الذي قدم افخم انتاجاته من القرن السابع عشر - وكان هذا المسرح الكلاسيكي يعتمد على تاريخ اليونان والرومان ويأخذ منه موضوعات مسرحياته ، ولم يتغير هذا الاتجاه في القرن الثامن عشر بل وسع الكتاب المسرحيون وفي مقدمتهم فولتير الدائرة التاريخية التي يعتمدون عليها فشرع فولتير ومعاصروه يستقون موضوعاتهم من تواريخ الامم الاخرى .

وفي القرن التاسع عشر اتجه الاقتباس من التاريخ وجهة قومية فكان الكتاب المسرحيون في هذا القرن الذين اتجهوا نحو الرومانتيكية وعـــلى رأسهم فكتور هوجو يميلون الى اقتباس القصص المسرحية من تاريخ امتهم القومي . ولم يكن هذا الامر غريبا فقد كان النصف الاول من القرن التاسع عشر عصر ظهور القوميات والنزعات القومية في السياسة والادب والفن .

ولم يضعف او يزول هذا الاتجاه نحو التاريخ عندما اتجـــه الكتاب

المسرحيون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الى المجتمع نفسه فانتجوا ما سمي بالمسرح الاجتماعي كما فعل الكاتبان الفرنسيان اميل اوجيه واسكندر دوماس الابن في فرنسا · اذ بقي اكثر الكتاب يعتمدون على التاريخ القومي او العالمي في كثير من الموضوعات المسرحية التي عالجوها ·

ولما كان رواد المسرح العربي الاوائل قد اطلعوا على المسرح ودرسوه في اوربا فقد تأثروا بهذا الاتجاه نحو التاريخ فقد كان هو الاتجاه السائد على التراث الادبي المسرحي الذي يدرس في المدارس الاوربية ويعرض على المسارح في امهات العواصم الاوربية ·

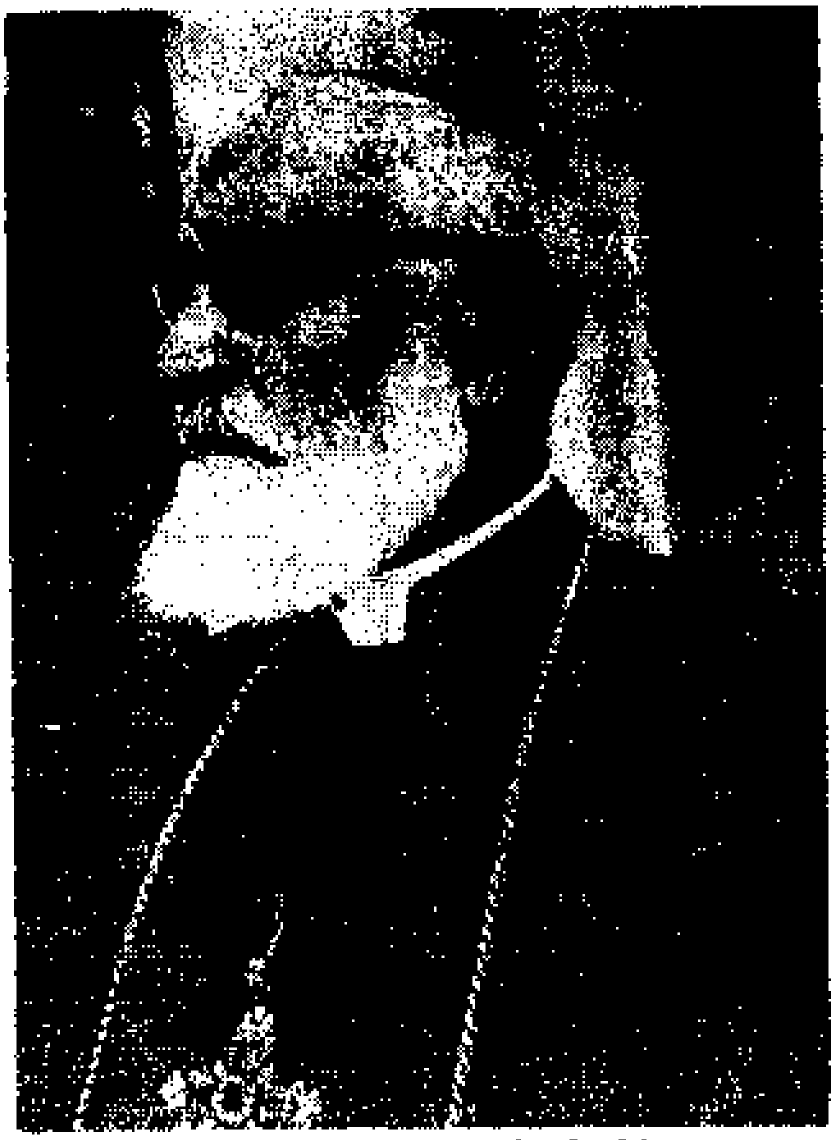
ووجد هذا الاتجاه في البلاد العربية التي كانت تحتاج أول ما تحتاج الى أدب يدفع الامة العربية الى التحرر والاستقلال والنهوض ·· أقول وجد مرتعا خصبا وتأييدا جماهيريا قويا فاندفع اكثر الكتاب نحو التاريخ العربي والاسلامي يستقون منه موضوعات المسرحيات التي كانوا يؤلفونها ·

ولم تكن الحالة في العراق في أواخر العهد العثماني ثم في عهد الاحتلال البريطاني تختلف عن الحالة في شقيقاتها العربية فرأينا الكتاب العراقيين الاوائل في الموصل ثم في بغداد يتجهون الى التاريخ العربي كما رأينا في انتاجات اعضاء النادي الادبي ودار التمثيل العربي في الموصل · فقد كانت الحاجة ماسة الى مسرح ينبه الغافلين ويقوي العزائم والهمم ويشيع في العراقيين روح العزة القومية والغيرة الوطنية · وكان هذا الشعور عاما في المجتمع العربي سواء في ذلك المسلمون والمسيحيون ولهذا كانت المدارس المسيحية في الموصل تسير في الطريق نفسه فكان مدرسوها وطلابها يمثلون على مسارح مدارسهم المسرحيات التاريخية التي كانت تقدم في المدارس المسيحية في سوريا ولبنان ·

وكما كان من ثمرات هذا الاتجاه ظهور كتاب من بين المسلمين يكتبون المسرحيات العربية التاريخية ويقدمونها على المسارح المدرسية او في النادي الادبي أو في دار التمثيل العربي كان من ثمراته ايضا ظهور بعض الكتاب بين الرهبان العرب المسيحيين في الموصل · وكانت ثقافة هؤلاء الادبية العربية تسهم مع اطلاعهم على اللغات الاجنبية وآدابهم في تزويدهم بالعناصر والاسس اللازمة للتأليف المسرحي فظهر من بين اولئك الرهبان كتاب جربوا التأليف المسرحي ايام العثمانيين وفي اثناء الانتداب البريطاني وكان ابرز هؤلاء الكتاب واكثرهم نشاطا ونجاحا في ميدان التأليف المسرحي بعد قيام الحكم الوطني في العراق هو القس سليمان صائغ رئيس تحرير مجلة النجم العربية التي كان يصدرها كلدان الموصل ويسهم في تحريرها كثير من كتاب العراق ·

* * *

مسرحيات سليمان صائغ
(١٨٨٦ – ١٩٦١م)



المطران المرحوم سليمان صائغ

ولد القس سليمان صائغ (المطران بعد ذلك) في مدينة الموصل سنة ١٨٨٦ . وأكمل دراساته اللاهوتية والفلسفية في معهدها الدينية . واشتغل بالتعليم وادارة المدارس الابتدائية ثم اشغل مديرية المدرسة الاعدادية الكلدانية في الموصل فترة من الزمن ثم أصبح عضوا في مجلس المدارس الابتدائية وعضوا في لجنة فحص المكاتب الاجنبية . وترأس تحرير جريدة الموصل خلال الاحتلال البريطاني ، ثم اصبح عضوا عاملا في لجنة الدفاع الوطني عن قضية الموصل .

ان المطران سليمان صائغ من ادباء العراق البارزين ومن المتضلعين في الشؤون التاريخية الشرقية . ونشاطه في التعليم وتحريره العديد من المقالات الادبية والتاريخية في مجلة النجم تشهد بثقافته الواسعة ونشاطه الجم .

وكان القس سليمان صائغ من المولعين بالادب المسرحي ولعل معرفته اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية واطلاعه على آدابهما المسرحية وغير المسرحية كانت من طليعة العوامل التي زودته بخبرة مسرحية ادبية حتى صار واحدا من رواد التأليف المسرحي في تاريخنا الادبي العربي الحديث . وقد نشر في مجلة النجم حلقات متسلسلة من مسرحياته بين عامي ١٩٣٠ – ١٩٣٨(٦) ثم طبع ثلاثا منها سنة ١٩٣١ و١٩٣٣ و١٩٣٧ . وكانت أحسن مسرحياته التي كتبها باللغة العربية الفصيحة :

١ – الزباء(٧)

٢ – الامير الحمداني(٨)

٣ ــ يمامة نينوى(٩)
٤ ــ مشاهد الفضيلة او يوسف الصديق(١٠)

كما ترجم الى العربية مأساة (هوراس) للكاتب الفرنسي الكلاسيكي الشهير بيير كورنيه(١١) ٠

وقد غلبت على مسرحياته النزعة العربية التاريخية التي أشرنا اليها قبل قليل ذكرنا اسبابها الاسلام ودوافعها بايجاز فهو اذن من جملة المؤلفين العرب الذين يمثلون هذا الاتجاه في تاريخ المسرحية العربية الحديث ٠ فمسرحية الزباء والامير الحمداني اخذتا موضوعيهما من التاريخ العربي قبل الاسلام وبعده و (يمامة نينوى و شميراما ــ سميراميس) اقتبس موضوعها من القصص التاريخي العراقي القديم ٠ أما مشاهد الفضيلة فقد اخذ قصتها من القصص الديني كما هو واضح من اسمها ٠ ويقول المتصلون به انه ألف مسرحيات اخرى قصيرة باللغة الدارجة ومسرحيات دينية مسيحية باللغة الفصحى ولكن هذه المسرحيات ضاعت ولم نستطع العثور على مخطوطاتها ٠ ولهذا سنقتصر على دراسة مسرحياته المطبوعة في شيء من التفصيل للاطلاع على الخصائص العامة لهذا الانتاج المسرحي لما له من اهمية كبيرة في تاريخ المسرحية العربية في العراق ٠

* * *

الزبــاء

نشرها سليمان صائغ تباعا في مجلة النجم ثم طبعهـا سنة ١٩٣٣م بالمطبعة الكلدانية بالموصل ٠ والمرجح انه شرع بتأليفها قبل عام ١٩٣٠ لانها مثلت مرتين في الموصل قبل طبعها على مسرح مدرسة شمعون الصفا كما قام بتمثيلها جماعة من شبان الطائفة الكلدانية في دمشق قبل طبعها أيضا ٠

وقد صدر المؤلف المسرحية بمقدمة تاريخية نفيسة تناول فيها قصة الزباء كما وردتها المصادر العربية والاجنبية قال فيها : نوطيء هذه الرواية بمقدمة تاريخية نسرد فيها الآراء المتضاربة في الزباء او زينب ملكة تدمر على أن الاختلاف بين بين ما رواه فيها مؤرخو العرب القدماء وبين ما يستقيه المحققون العصريون من آثار تدمر الشهيرة ٠٠ الخ ٠

ثم قال في المقدمة نفسها « وقد آثرنا اختيار الآراء العربية اساسـا لروايتنا التمثيلية رغبة في وقائعها الغريبة »(١٢) ٠

والمسرحية مأساة تاريخية حسنة تختار بموضوعها المؤثر وحوادثها المثيرة وحسن سبكها من الناحية الدرامية وطلاوة اسلوبها وتوالي الحركةوقلة السرد والحوار الفردي (المونولوج) ، وقد ارتفع فيها المؤلف الى مستوى وضعه في جملة المؤلفين العرب الذين طرقوا تأليف المسرحيات العربيـة

التاريخية . وقد بذل القس صائغ مجهودا كبيرا يدل على تفهم واضح لطبيعة الفصل المسرحي وعلى موهبة فنية لا يمكن التغاضي عنها .

واشتملت المسرحية على خمسة فصول كبيرة كما هي الحال في التراجيديات الكلاسيكية . وتألف كل فصل من عدد من المشاهد لا تقل عن ستة من اصغر فصولها (الفصل الاول) . وتوالت فيها الاحداث بانسجام وتواتر الى انتهت بفجيعة مزدوجة تمثلت في مقتل خديجة اولا ثم في انتحار الزباء قبل الشروع في قتلها ثانيا .

وشخصيات المسرحية كثيرة ابرزها شخصيات قصير والزباء وعمرو بن عدي وخديجة وسطيح الكاهن وابن هومز وزير الزباء وطريفة الكاهنة . وقد كانت خلائق هذه الشخصيات وطبائعها وطرز تفكيرها مختلفة تدل على احساس المؤلف بضرورة تباين الشخصيات وتمثيلها نماذج انسانية مختلفة ولكنه لم يستطع سبك هذا الاختلاف والاستفادة منه في احكام الصراع الذي كان ضعفه واضحا في المسرحية رغم ملائمة الظروف وصلاحية الاحداث لاضرامه وتحريكه بين التوتر الشديد والسكون الموحى بالانفجار كما هي الحال في المآسي الجيدة .

وتتناول المسرحية الخصومات السياسية التي اشتدت بين (جذيمة) ملك الحيرة (والزباء) ملكة تدمر . وقد تمكنت الزباء من اعتقال عمرو بن عدي ساعد جذيمةالايمن بواسطة عصابة من اللصوص تركوه فيها مقيدا تمهيدا للاجهاز عليه . ولكن قصير استطاع العثور عليه وانقاذه بعد مباغتة اللصوص والقضاء عليهم في المغارة نفسها في مشهد مثير .

ويفرح جذيمة بخلاص عمرو ولحبه اياه وحاجة الامارة الى شجاعته وبأسه .

ولكن متاعب جذيمة لم تكن مقتصرة على نزاعه السياسي مع الزباء بل كان لعاطفة الحب دور رئيسي فيها لان جذيمة يعشق الزباء ويطمح في الزواج منها . وكانت الزباء نقطة ضعفه هذه . فاستغلتها للايقاع مرسلة اليه رسالة خاصة مع وزيرها الداهية ابن هومز الذي حمل الرسالة متنكرا في زي رسول . وتظاهرت الزباء في رسالتها بحب جذيمة واحترامه واعربت عن رغبتها في الزواج منه لتتحد الامارتان . وقد دعته لزيارتها لهذا الغرض . ويشك جذيمة في حقيقة نوايا الزباء ولكن عواطفه تتغلب على دهائه السياسي ويعارض قصير وسطيح لوثوقهما بانها مكيدة بارعة من الزباء للتخلص من جذيمة . ويميل عمرو الى رأيهما ولكنه يساير رغبة جذيمة وينصح بأن يذهب على فرسه الشهيرة (العصا) وان يكون حذرا ليفر عليها اذا شعر بالخطر . ويسافر جذيمة فتغدر به الزباء وتقتله كما توقع قصير وتثور ثائرة عمرو وقومه ويحزن قصير ولكنه يصمم على تدبير مكيدة لقتل الزباء فيجدع أنفه ويدع قومه يمزقون جسده بالسياط ثم يذهب الى الزباء

مستنجيرا بها مدعيا ان عمرو قد جدع انفه وجلده متهما اياه بالتآمر مع الزباء • وتنطلي حيلة قصير على الزباء وخاصة عندما زعم لها أن الاحوال سيئة في الحيرة وان عمرو منصرف الى اللهو والمجون • ويقترح على الزباء أن ترسله الى الحيرة ليجلب لها مزيدا من الاخبار ، ولكن ابن هومز وزير الزباء لا يثق بقصة قصير ويعتقد انها مكيدة فيطلق المثل الشهير (لأمر ما جدع قصير أنفه) ولكن الزباء تنخدع فتصدق بقصة قصير الا انها تبقى قلقة خائفة من تسلل عمرو بن عدي الى مدينتها ولهذا ترسل الى الحيرة رساما يرجع ومعه صور مختلفة لعمرو توزعها الزباء على رجالها لكي يتعرفوا على عمرو اذا ما تسلل الى تدمر •

ويعود قصير من الحيرة الى تدمر ، ومعه الف جمل مثقلة بالاحمال ، يزعم انها هدايا ثمينة جلبها الى الزباء من الحيرة • والحقيقة انه اخفى فيها الف فارس شجاع من فرسان الحيرة ، استطاع ادخالهم الى القصر بهذه الحيلة • ويحمل قصير الى غرفة الزباء صندوقا كبيرا خبأ فيه عمرو بن عدي زاعما ان فيه هدايا ثمينة خاصة بها • وطريفة الكاهنة ذات الاصل الحيري تدرك الحيلة ولكنها لا تكشفها مدفوعة بحبها لعمرو بن عدي لانها كانت حاضنته ومربيته •

ويصور المؤلف الزباء في حالة قلق واضطراب وتشاؤم وتوقع خفي بوقوع الشر ولكن قصير يطمئنها ويبدد مخاوفها اولا حتى اذا اختلى بها في جناحها فتح الصندوق واندفع منه عمرو بن عدي من هلع الزباء وارتقابها من المفاجأة • ويعطي قصير الاشارة الى الرجال في الوقت نفسه فيحتلون القصر ويهب عمرو لقتل الزباء ولكنها تكون اسبق منه فتضع في فمها خاتمها المسموم وتسقط جثة هامدة قبل ان يمسها عمرو بسوء •

هذا هو موجز المسرحية التي كتبها سليمان صائغ بلغة عربية فصيحة جمعت بين النثر والشعر • وقد اقتبس قسما من الاشعار الواردة فيها من دواوين الشعر العربي ونظم بعض هذه الاشعار كما يظهر من اسلوب نظمه الضعيف من الناحية الشعرية • وقد جاءت المسرحية في خمسة فصول كبيرة احتلت اثنتين وخمسين صفحة من القطع الكبير وختمت بنشيد سماه المؤلف نشيد الختام تنشده جوقة مستترة يظهر انه كان من جملة ما نظمه مسن اشعار في المسرحية • والحق ان المسرحية كانت جيدة على العموم اذا فكرنا في الفترة التي نظمت فيها ولعل للقصة التاريخية التي روتها المصادر في هذا الموضوع الفضل الاول في نجاحها • ومن معالم ضعفها اعتمادها على السرد في مواطن كثيرة وكثرة الوعظ والارشاد فيها والحشو الذي ظهر في اقحام الاشعار في مناسبات كثيرة • ولا ندري اذا كان المؤلف قد اطلع على مسرحية مكتوبة بنى عليها مسرحيته هذه فالمعلوم كما يذكر الدكتور محمد يوسف النجم ان فرقة سليمان القرداحي (١٨٨٢ ــ ١٩٠٩) قد مثلت في جملة

ما قدمته على مسرح البوليتياما في الاسكندرية مسرحية باسم (زنوبيا) سنة ١٨٨٥م(١٣) . وقدمتها في القاهرة سنة ١٨٩٧ كما قدمت جمعيـــة العروة الوثقى في الاسكندرية مسرحية باسم (الزباء) في تشرين الاول سنة ١٨٩٢(١٤) .

كما قدمت فرقة الشيخ سلامة حجازي في دار التمثيل الذي اسسته في القاهرة (زنوبيا) سنة ١٩٠٥(١٥) .

مسرحية الامير الحمداني

تتألف هذه الدراما التاريخية من ثلاثة فصول كبيرة لا ادري لمـــاذا سماها المؤلف أقساما ! وتجرى حوادثها في القرن الرابع الهجري . وقد دارت حول المشاكل التي كان يعانيها ناصر الدولة، مؤسس الدولة الحمدانية في الموصل والجزيرة وحلب ، بعد وفاة أخيه القوي الامير سيف الدولة ، وتعرض الحمدانيين في الموصل الى المؤامرات والدسائس التي يدبرها ابن رائق لحساب البويهيين في بغداد وبالتعاون مع جند الديلم ثم نزاع ابناء ناصر الدولة عندما هرم واضعفته متاعب الشيخوخة .

نرى في المسرحية ناصر الدولة يظهر ثقته واعتماده على ولده حمدان وجفوته وغضبه على ولديه الاخرين ابن تغلب وابي البركات لانصرافهما الى اللهو والقصف والكيد لوالدهما واخيهما حمدان . ويكافىء ناصر الدولة هذا الاخير باعطائه الجزيرة وماردين ثم يرتب عملية زواج ابنته الاميرة جميلة من أبي المنصور ولي عهد خليفة بغداد (المتقي) ليقوي مركزه بمصاهرة الخليفة ويساعد هذا على مقاومة تسلط البويهيين وصد هجمات البريدي الذي كان يهدد بغداد بجنود الديلم . ويستغل ناصر الدولة فرصة قدوم ابن رائق برفقة ابن الخليفة لزف العروس الى بغداد فيأسره ليحبط خططه الرامية الى التآمر مع ولديه ابي تغلب وابي البركات ليتخلصا من والدهما واخيهمـــا حمدان ويستوليان على الامارة . ولكن ابا تغلب بمعونة والدته زينب واخيه ابي البركات وبعض الخونة يتمكن من القبض على والده ناصر الدولة وسجنه في احد سراديب القلعة وقد ساعده على تنفيذ مؤامراته غياب أخيه حمدان وتغافل والده عنه مدفوعا بعواطفه الابوية واعتلال صحته مع أنه علم بتآمر ولديه عليه اذ كشفها له خادمه الامين (حناتا) .

ويثور الشعب في الموصل عندما يفتقد اميره ناصر الدولة ويهجم على دار الامارة اذ كان ابناؤه يكرهون ابا تغلب واخـــاه وجماعتهما لفسقهم ومجونهم وافتقارهم الى المقدرة والكفاءة والعدل .

ويعود حمدان في هذه الاثناء فيستطيع بالتعاون مع اخته جميلة وخادمه ناصر الدولة الامين (حناتا) من انقاذ ابيه من سجنه وقتــــــل ابى تغلب والقضاء على المتآمرين .

هذا هو موجز المسرحية ، وقد توزعت احداثها على ثلاثة فصول أو اقسام كما سماها المؤلف • وانقسم كل فصل الى عدد كبير من المشـــاهد وقد ساعد تعدد هذه المشاهد وتنوعها على بث الحركـة والحيوية فتوالت الاحداث وتعددت اوقات واماكن حدوثها وارتبطت ببعضها باتقان واضح • ومع اني لم اشهد هذه المسرحية على المسرح ، ولكني تصورت حوادثها ماثلة امامي ، فلم اتمالك نفسي من الاعجاب بهذا المؤلف المسرحي الذي طـــواه النسيان • وكان اسلوبه الذي مزج النثر بالشعر كعادته واقحامه عددا من المشاهد الثانوية دون الابتعاد كثيرا عن الموضوع الاساس وادخاله الفكاهة الخفيفة في بعض المشاهد من جملة الشواهد على حسن التأليف • وعندي ان هذه الدراما التاريخية من خيرة ما ألفه الكتاب المسرحيون العراقيون ، فقـد امتازت بالاضافة الى تكامـــل أحداثها وترابطها بموضوعها الدرامي القوي • فعقوق الابناء وغدرهم بالآباء كثيرا ما طرقـــه الكتاب المسرحيون لاثارته العواطف الانسانية واحتكاكه الشديد بالقيم الخلقية والاجتماعية ، وصلاحه اذا احسن المؤلف معالجته وعرضه ، تحريك انواع والوان مختلفة من الصراع النفسي الفردي والاجتماعي •

وقد أحسن المؤلف أيضا تصوير الشخصيات فأعطى لكل شخصية طابعها الخاص وصفاتها وخلائقها التي تميزها عـــن الشخصية الاخرى • فكان من الطبيعي أن يولد احتكاك هذه الشخصيات واصطدام نوازعها واغراضها المختلفة ، الى توليد الازمة التي تثير الاهتمـــام وتمـــد الاحداث بالحيوية والنشاط • هذه الاسباب هي التي جعلتني أفضلها على (الزباء) لان العقدة أو الحبـكة كانت تعتمـــد على دسيســة سياســية حتى بـــدت عاطفـــة الحب لدى عمرو بن عدي وكأنها مقحمة اقحاما في الموضوع • اما (الامير الحمداني) فقد دخلت فيها المشاكل والمصالح السياسية ولكن موضـــوع (عقوق الابناء) بقي الموضوع الاساس وطغى على كل موضوع اخر •

* * *

يمامة نينوى او شميراما

بدأ القس سليمان صائغ بتاليف هذه المسرحية عام ١٩٤٩ وربما قبل ذلك ، وأكملها في الموصل سنة ١٩٥٠ ، كما يدل التاريخ الذي كتبه بخطه على الصفحة الاولى • ومازال هذه المأساة المسرحية مخطوطة بخط المؤلف ، وقد تفضل ابن اخيه سمير فتوحي صائغ باعارتي اياها • وعنوانها كما كتبه المرحوم صائغ : مأساة يمامة نينوى •

ذات خمسة فصول ، جرت حوادثها في العاصمة الآشورية نينوى على دجلة ، في عهد نينيب بنحو الفي سنة قبل التاريخ الميلادي • والمسرحية من النوع التراجيدي كماتدل حوادثها الخطيرة وقتـــل بعض شخصياتها

ونهاية بطلتها الفجيعة ، وعدم وجود اية نبرة من نبرات الهزل فيها .
وبطلتها (شميراما) او سميراميس كما تسميها المصادر الغربية ، وهي ملكة آشور التي خلد التاريخ اسمها ، وتناولتها القصص والاساطير الشعبية .

وابرز شخصياتها :
شميراما : ملكة آشور
فولوك : قائد جيوش آشور ومغتصب شميراما
نينيب : ملك آشور وزوج شميراما
سيماس : الشيخ الحكيم الذي ربى شميراما
خليا : راعي شاب كان حبيب شميراما وخطيبها قبل ان يقتله فولوك
فروداك : ضابط الحرس الآشوري .

موجز المأساة :

شميراما طفلة يتيمة التقطها الراعي الشيخ سيماس واعتنى بتربيتها وتهذيبها ، حتى اصبحت فتاة رائعة الجمال فائقة الذكاء ، وأحب الراعي الشاب (خليا) شميراما وأحبته وامتاز حبهما بما يتصف به حب الرعاة من عفة وعذرية ، فاتفقا على الزواج . ولكن سيماس كان متشائما متطيرا فقد انبأته النجوم بأن خليا سيموت وان شميراما ستصبح ملكـــة بعد حوادث تصطبغ بالدم .

وتتحقق النبوءة اذ يمر فولوك قائد جيوش آشور فيرى الفتاة ويعشقها ثم يخطفها اختطافا بعد ان يقتل جنوده خليا الذي هرع للدفاع عن الفتاة .
ويتزوج فولوك شميراما رغما عنها ، ولكنها لا تمكنه من نفسها بل تعيش في قصره حزينة دائمة البكاء على حبيبها القتيل ، وعلى الشيخ سيماس الذي مات هو أيضا حزنا على فراقها .

وتنشب في تلك الاثناء حرب بين آشور ومملكة بكتريانا المجـــاورة فيسير فولوك بجيوشه آخذا معه شميراما متنكرة بزي الجنود . وتتعرف شميراما عند أسوار بكتريانا المحاصرة بالملك نينيب ثم تقوم بعمل بطولي يؤدي الى افتتاح المدينة . ويحبها نينيب ويحاول فولوك ابعادها عن الملك ولكن هذه تنتهز الفرصة وتخبر الملك بان فولوك قد اختطفها عنوة بعد ان قتل حبيبها وتسبب في موت والدها بالتبني . وتثور ثائرة فولوك وينتهي به الامر الى الانتحار فيتزوج نينيب شميراما ويجعلها ملكة آشور ، فتساعده في حكم المملكة وتجتذب قلوب الشعب بجمالها وذكائها وعدالتها .
وعاش الزوجان سعيدين ، ولكن قوى الشر تتدخل لتحطيم هـــذه السعادة ، اذ يتمكن نبريال زعيم المجوس من تدبير دسيسة بارعة تقنـــع شميراما بأن زوجها نينيب يخونها مع (تيمور) احدى وصائف القصر التي

سبق ان انفذت شميراما حياتها : وخلاصة الدسيسة ان نبريال وجد عبدا يشبه الملك فأمره بمطارحة نيمور الغرام في حديقـــة القصر ثـم دس الى شميراما رسالة يخبرها بالامر فتهرع الى الحديقة حيث ترى زوجها كما ظنت يخونها مع نيمور • وتستبد الغيرة الهوجاء بعقل شميراما وقلبها فتنقلب الملكة الذكية الوديعة الى شيطان أشر ، فتستقبل زوجها عند عودته باسمة ثم تسقيه سما فيموت امامها • ولكن الحقيقة لا تلبث ان تظهر لها بسرعة فهالها ما جنت يداها فتقتل نفسها فوق جثة زوجها وحبيبها •

هذا موجز المأساة التي أبدع في تأليفها سليمان صائغ الذي يبدو ان تأليفه يتحسن بعد كل مسرحية يؤلفها ، فشميراما أحسن من الزباء والأمير الحمداني اذ امتازت بالتركيز على الاحداث والشخصيات الرئيسية ، كما امتازت بخفة الحوار واقتضابه وحسن توزيعه ومجانبة الاطالة والاستطراد في الحوار الفردي (المونولوج) خاصة •

وموضوعها كما هو واضح ، يدور حول المتاعب التي تتعرض لها فتاة رائعة الجمال وملكة عالية المكانة محبوبة ، وما يولده الصراع للاستحواذ على جسدها وقلبها من خطايا وآثام وما تحوكه الدسائس حولها من خيانة وغدر واثارة للغرائز الشريرة في نفس المرأة •

وفكرتها الاساسية اذا تركنا الحوادث الثانوية جانبا : أن الغيرة العمياء في غير تبصر والاندفاع وراءها في غير تروى يؤدي الى افظـــع النتائـــج والفواجع • فمأساة يمامة نينوى ، من هذه الناحية تشبه مأساة عطيـــل لشكسبير بصرف النظر عن كون البطلة في الاولى امرأة وفي الثانية رجل • فالاثنان راحا ضحية الغيرة الهوجاء والتهور والتسرع المميت •

هذه نبذة او دراسة موجزة لمسرحيات المطران سليمان صائغ • وهي تدل دلالة بينة على أهمية انتاج هذا الرجل في تاريخ ادبنا المسرحي المعاصر ، كما تدل على تفهمه لهذا الادب وخدمته للمسرح العربي في العراق • ولا نرى موجبا للعودة الى التأكيد على ان هذا النتاج كان منسجما او سائرا في الخط العام الذي سارت عليه المسرحية العربية التاريخية بصورة عامة • فقد اتجهت هذه الضروب من المسرحيات الى التاريخ العربي والتاريخ القديم • كما اختارت موضوعاتها من حياة الملوك والامراء بحثا وراء الامجاد والمثـــل السياسية والاخلاقية العليا • فهي من هذه الناحية اشـبه بالمسرحيات الكلاسيكية الاوربية من حيث نظرتها الى المسرح والمسرحية كميدان للتأكيد على العواطف الكريمة والاخلاق الحميدة • واذا كان هذا الاتجاه قد أكسبها نوعـا من التأثير واجتذاب الجماهير فهو نفسه قد جلب اليها هذا الضعف أو هذه المغالاة في الوعظ والارشاد وتكديس النصائح والعظات في الحوار • ولا جدال في انه اذا كان لابد من النصح والارشاد فيجب ان يأتي عن طريق الاحداث وان يندس في المسرحية اندساسا لا يحس به • وكثيرا ما يؤدي

ولا يفوتنا ونحن نوشك أن نضع القلم جانبا من الاشارة الى المقدمة النفيسة التي قدم بها الكتاب الدكتور صالح أحمد العلي عميد معهد الدراسات الاسلامية العليا تلك المقدمة العميقة التي جلا فيها أهمية ظهور الاسلام للعرب وكيف استطاع الدين الحنيف من الانتشار في اصقاع الارض وما صحبه من انتشار العربية مع الفاتحين و (ما افادها في انتشارها غناها بالمفردات ، وخاصة ما يتعلق بالحياة الانسانية منها ، ومرونتها وقابليتها على الاشتقاق(٣) .

وخلص من ذلك الى الكلام على التاليف لدى العرب والمسلمين وما خلفوه من كنوز في حقول المعرفة واومىء الى اهمية المخطوطات المكنوزة وضرورة فهرستها مشيرا الى اولئك النفر الذين جمعوا المخطوطات أو نشروا فهارس لها والضنى الذي يحتاجه مفهرس المخطوطات وعرج وهو ينهي مقدمته الى القول (... والسيد عبدالله الجبوري من الباحثين الدؤبين ملأ الله قلبه بالايمان بقيمة التراث العربي والاسلامي فاندفع متحمسا لخدمة وتيسير العمل للباحثين وكان له من صبره واناته وسعة اطلاعه وامانته خير معين على انجاز هذا العمل الذي اعتقد ان كل من يطلع عليه سيطرى صاحبه وسيشكره) .

وبعد : فان الحديث عن أهمية الكتاب لا يقدره الا كل مشتغل بهذا الفن عارف بمقدار الجهد الذي يبذل في سبيل تأليفه وتبويبه فأحر بالمحققين والقومة على هذا التراث تشجيع أولى الكفاءة والاخذ بناصرهم ليبدعوا وينتجوا والى المجمع العلمي العراقي الذي ساعد على طبع الكتاب خالص التهنئة على مساعدة امثال هذه الكتب القيمة المفيدة .

شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه

بقلم : سامي مكي العاني

من آن لآخر يطلع علينا رجال العلم والفن والادب بآخر ما دبجته يراعاتهم وتفتقت عنه أذهانهم ، وسمت اليه خيالاتهم ، فينيرون لنا سبل المعرفة ، ويفتحون مغاليق أبوابها .

ومن كتب الموسم الجديرة بالاهتمام ، الحرية بالمطالعة كتاب « شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه » للسيد يحيى الجبوري .

وتكمن أهمية هذا الكتاب في أكثر من جانب ، ومن هذه الجوانب :

١ ــ قدسية الفترة التي يبحث فيها ، وشرفها بالنسبة لنا ــ معشر

الاهتمام الزائد بالوعظ الى ارباك الشخصيات المسرحية فشميراما والشيخ سيماس وحبيبها خليا بل زوجها ملك آشور كانوا اشـبه بالشخصيات المسيحية وكأن المؤلف اراد ان يجعل من الشيخ سيماس اشبه بالقديس او بالحكيم الذي اكتشف اديان قومه وشعائرهم الباطلة وراح يتنبأ بدين جديد ويتصرف باسلوب يشبه اساليب ابطال الدين الجديد ٠ مهما يكن فان مثل هذه الظاهرة متوقعة في انتاج رجل اتجه في حياتـه الى الـــدين المسيحي ٠٠ او نذر نفسه اليه ٠ ولم يكن هـذا عيب مسرحيات سليمان صائغ وحدها بل كان عاما يمكن ملاحظته في المسرحيات العربية التاريخية عـامة ٠



(١) الدكتور النجم ، المسرحية ٢١٢ ــ ٢١٣

(٢) المسرحية العربية ص ١٠٩

(٣) اسرار الكفاح الوطني في الموصل ٢٠٦

(٤) انظر : انيس المقدسي : الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ١٣٥ــ١٥٢

(٥) المسرحية في الادب العربي الحديث ٢٩٣

(٦) انظر اعداد المجلة المذكورة التي ظهرت في الفترة المذكورة

(٧) مطبوعة ، المطبعة الكلدانية بالموصل ١٩٣٣

(٨) مطبوعة ، مطبعة النجم بالموصل ١٩٣٧

(٩) يسامة نينوى ـ مخطوطة

(١٠) مطبوعة ، المطبعة الكلدانية ١٩٣١

(١١) مطبوعة (بلا تاريخ) وقد مثلت عام ١٩٤٥ على مسرح مدرسة شمعون الصفا بالموصل والمرجح انها طبعت في السنة نفسها ٠

(١٢) الزباء ص ٤ ٠

(١٣) المسرحية في الادب العربي الحديث ١٠٩ ٠

(١٤) المصدر نفسه ١٨٣ ٠

(١٥) المصدر نفسه ١٣٨ ٠

الأحلام وصلتها بالحياة الواقعية

ضياء الدين ابو الحب

... لقد احتلت الاحلام مركز الصدارة من اهتمام الانسان في كافة عصوره وظل يحاول معرفة اسرارها وخفاياها ويؤولها بحسب ما يتراءى له من خير او شر ويجمع اشتاتها ليتفهم ما توحي له من فكر في شق حياته او التنبؤ عن مستقبله . فكان الملوك والقادة في العصور الموغلة في القدم يعلقون اهمية خاصة على تفسير الاحلام التي يرونها في نومهم فيستفسرون عما تخبئه لهم تلك الاحلام من معاني في حرز الغيب ، فقد كان الاسكندر الكبير مثلا يجمع في ركابه حينما سار عددا من اولئك الذين اشتهروا بتفسير الرؤيا يصاحبونه في غزواته وعندما القى الحصار على مدينة صور رأى حلما عن احد المنكتين وهو يرقص فرحا فأوله اتباعه من المفسرين بانه دليل على الانتصار والاستيلاء على تلك المدينة فاصدر اوامره بالهجوم عليها فسقطت المدينة جاثية بين يديه مثلما اخبره المنجمون ومفسرو الاحلام بذلك .(١)

واقدم نظريات الحلم التي كانت تسود العقل البدائي في الانسان الى ان عالم الحلم يمثل جانبا آخر من الحقيقة والواقع منفصلا عن الحقيقة في عالم اليقظة ولكنه مساو له في كونه حقيقة واقعية .

وقد اشار الفيلسوف اليوناني (هيراكليتوس ـ Heraclitus) في معرض حديثه عن الاحلام بقوله « يوجد عالم واحد لاولئك الذين هم في حالة اليقظة وفي خلال النوم يعود كل شخص الى عالمه الخاص » .(٢) . كما جاء في احد المؤلفات القديمة في موضوع الاحلام والذي وضعه الفيلسوف اليوناني (ارتيميد وراس Artemidorus) قوله « ان الحلم يحدث في تلك اللحظة التي تكون فيها النزعات الوجدانية على درجة كبيرة من القوة بحيث انها تطغي على الذهن خلال وقت النوم وتتلاقى مع الارواح الاكثر ترقبا ووعيا » . وهو يرى ان للحلم علاقة بظروف الجسد وحياة الواقع في قوله « ان الشخص الذي يصوم طول نهاره عن الطعام يحلم في الليل بانه يطعم . او الظمىء طول نهاره يرى في النوم بانه يشرب الماء » .(٣)

ويعتقد الفيلسوف العربي ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي « ان الرؤيا هي استعمال النفس الفكر ورفع استعمال الحواس من جهتها فاما من الاثر نفسه فهي انطباع صور كل ما وقع عليه الفكر من ذي صورة في

النفس بالقوة المصورة لترك النفس استعمال الحواس ولزومها استعمال الفكر »(٤) .

وقد وصف ابن سيرين الاحلام بقوله انها « بخار لطيف يخرج من القلب يؤثر في المخ ويحمله على العمل دون ارادة النائم » .

وقد قال « اناتول فرانس » انني مقتنع تماما ان قوة الحلم اكبر من الواقع »(٥) . وهو هنا يتكلم بالطبع عن القوة أو التأثير الدافع للحلم على خيال العبقرية . كما يعبر عنها من خبراته الشخصية الخاصة فالحلم ينبغي حينئذ ان يكون حافزا اعظم من الخبرات الحسية في حالة اليقظة والتي نطلق عليها اسم الحقيقة والواقع .

هذا واننا مدينون في معارفنا الحديثة عن الاحلام الى عبقرية العلامة النمساوي فرويد الطبيب العقلي ومؤسس مدرسة التحليل النفسي الذي اشار الى أن « الحلم هو حياة العقل أثناء النوم » والذي كرر ما سبق ان اشار اليه الفيلسوف الكندي عن الحلم او ربما سبقهما ارسطو فيما ابان عنه حول طبيعة الاحلام . وقد اشار الى ان الحلم نافذة تطل على اعماق النفس يترامى منها البصر الى آفاق تصل الى طفولة الانسان لا بل الى فجر تاريخ البشرية ومراحل تطورها جميعا(٦) . وقد اعتمد فرويد قول هيلد برانت الذي اشار فيه الى « ان الحلم ايا كان ما يعرض فيه ـ يستمد مادته من الواقع ومن الحياة الذهنية التي تدور حول الواقع . ومهما اغرب الحلم فهو في الحقيقة لايستطيع على الاطلاق التخلص من العالم الواقعي وهو دائما في اسمى تراكيبه كما في اجلبها للضحك يستعير بالضرورة مادته الاساسية سواء ما عرض لاعيننا في عالم الحواس او خطر بين افكارنا ونحن ايقاظ اي ـ بعبارة أخرى ـ مما سبقت لنا به خبرة : خارجية كانت أو باطنية »(٧) .

والنظرية النفسية للاحلام والتي بشر بها فرويد هي انها عبارة عن تحقيق رغبات الحالم اما بصورة مكشوفة او خفية او قد تكون تلك الرغبات مكبوتة لانها لا علاقة لها بالرغبات الشعورية التي يحس بها الشخص في حياته اليومية وانما تعكس رغبات مطمورة في اعماق اللاشعور يرفض الحالم الاعتراف بها في حياته اليومية الواقعية وذلك لانها تظل غير متلاءمة مع المستويات الشعورية من الاخلاق الفاضلة والافكار الرفيعة التي تعارف عليها المجتمع وقبلها دستورا لايمكن التفريط فيه باي وجه من الوجوه . فمثل تلك الرغبات اللاشعورية تعتبر غالبا مقبولة في حياة الطفولة الاولى ولكنها لم تعد تناسبه مع حياة الرجولة لانها تصطرع مع المستويات التي تقبلها العقل الواعي للشخص الحالم فتجد لها تعبيرا غير مباشر خلال النوم اذ انها ينبغي ان تبقى خفية ومكتومة قبل ان يمكن السماح لها بالبروز والانبثاق ولهذا السبب فان احلامنا غالبا ما تبدو سخيفة او تافهة وغير معقولة . فعلينا اذن ان تميز بين المحتوى الظاهري للحلم وهو ما نتذكره منه

وبين المحتوى الكامن او الخفي للحلم • والعملية التي تتحول بها الافكار الحقيقية والرغبات الاصيلة الكامنة في الحلم الى المحتوى الظاهري للحلم كما نراه ونتذكره تسمى (عمل الحلم) • ومع ان عمل الحلم عمل فكري فانه يختلف عن التفكير اليومي الاعتيادي للعقل الواعي في كونه يتمرد على المنطق ولا يخضع للعقل •

اما عملية تفسير الحلم فتتألف من ترجمة المحتوى الظاهري للحلم اي الافكار الاصلية الكامنة للحلم • وقد ذكر فرويد انك اذا استطعت ان تعرف الرموز التي تظهر في الحلم وما تثار من الافكار حولها في ذهن الحالم والذكريات التي تسنح له مرتبطة بحوادث الحلم واشخاصه ورموزه وذلك بالتداعي الحر الذي نسأله ان يدلي لنا به بعد ان يرى الحلم مباشرة فاننا نستطيع بهذه الطريقة ان نفسر المعنى الذي يشير اليه ذلك الحلم •

فقد حلمت فتاة شابة « ان زرافا كان يرقص في دائرة فأتت قطة في طريقه فركلها بعيدا عنه» فقد يبدو هذا الحلم سخيفا لاول وهلة ولكن فرويد سأل الفتاة عن الافكار التي تساورها عند ذكر الزراف او التفكير فيه فأجابت للزراف رقبة طويلة وهذا يذكرني بشخص لطيف جدا له رقبة طويلة ولكنه متزوج بامرأة اشبه ما تكون بالقطة » • فلاحظ كلمة (ولكن) هنا فان الشخص المذكور لو لم يكن متزوجا لكان في مركز يمكنه ان يتقدم فيه اليها او يقدم (دائرة) او دبلة او خاتم الخطوبة وهكذا بدا للحلم معنى بعد ان كان يبدو مجرد هراء • ولكن الفتاة لم تكن لتعرف بواقع الحال وتكره ان تتصور نفسها مدفوعة اليه(٩) •

فالقاعدة الاولى في الحلم هي تبسيط محتوياته الى رؤوس اقلام في كلمات قليلة وهذا حلم آخر يبين الى اي مدى يمكن بالتداعي اكتشاف دوافع الحلم ومعانيه • فهذا محام عمره ٣٥ عاما افاد انه رأى الحلم التالي « لقد كنت مع اختي باهرة وقد افادت بان اخت زوجها « ليس » تعمد الى قتلها في يوم الاحد القادم ١٢ آذار • انها لاتبدو مذعورة وهذا ما جعلني اعجب بشجاعتها • والسبب ان اخت زوجها تريد اغتيالها هي لانها تحب اخاها حبا جما وتشعر ان زواجه بباهرة لم يكن موفقا » •

ففي هذا الحلم نجد حب الاخت لاخيها المتزوج هو الدافع الى القتل المتعمد وعلى اعتبار ان الزواج بباهرة لم يكن موفقا • وتاريخ ١٢ آذار يبدو سخيفا وانه لايصادف يوم الاحد بل يوم الخميس وعندما يسأل المريض عن المستدعيات الذهنية التي تثار في ذهنه عن هذا التاريخ • انه اليوم الذي واجه فيه خطيبته « ليس » وقضى معها وقتا ممتعا وكان يوم الاحد وقد أمكن عن طريق هذا الحلم ومن أحلام أخرى ان نرى ارتباط هذا المريض ارتباطا قويا بمحبة اخته باهرة اذ ان باهرة سوف تصبح اخت زوج ليس • وتفسح لنا هذه الحقيقة المجال لفهم معنى « القتل » في الحلم اذ ان ليس

سوف تقتل صوريا الحب الذى يشعر به المريض نحو اخته باحتلال اهتمامه كله فيها • وهنذا اوصلنا في النهاية الى فهم جذر الصراع النفسى العصابي المعترك في نفس الحالم بين حبه الحقيقي لخطيبته ليس وحبه المرضي لاخته باهرة انه خائف من فقدان اخته بالزواج من خطيبته ولهذا فانه يواجــه مشاكل في حياته الحقيقية • ومثل هذا الحلم وتفسيره الناجح يعطينا فكرة واضحة عن الدور الذى يلعبه التداعي في مساعدة المحلل النفسي في عملــه فى تفسير الاحلام(١٠) •

فبالنظر لسيطرة الاعراف والتقاليد السائدة في المجتمع والمثل الخلقية الشائعة بين الناس فان الامور التي يحرمها المجتمع ولا يقبلها تبقى دفينـة في اعماق النفس يمنعها عامل نفسي يطلق عليه اسم « الرقيب » من الظهور الى الحياة الواعية ولكن في أثناء النوم حيث لا يظـــل الرقيب في موقـــف الحراسة ضد هذه الافكار الخطرة فان ظهور اية فكرة من هذا النوع مــن الاعماق الى الشعور يستدعى ان يعمل الرقيب في اللحظة الحرجة عـــلى ايقاظ النائم من نومه وانقطاع سلسلة الحلم الذى تنكره النفس الواعية ••

(١) Dudley, Geophry. *How to Understand Your Dreams*: WilshireBooks Co., Hollywood, Cal. 1957. P. 10.

(٢) Stekel, Wilhelm. *The Meaning and Psychology of Dreams* Bard Books, New York, 1951, P. 2.

(٣) Dudley, G. Ibid. P. 10.

(٤) رسالة الكندي في النوم والرؤيا • انظر رسائل الكندي الفلسفية تحقيق عبدالهادي أبو ريده ص (٣٠٠) •

(٥) Stekel, W. Ibid, P. 3.

(٦) مصطفى زيور في تصدير كتاب تفسير الاحلام لفرويد ترجمة مصطفى صفوان دار المعارف بمصر ص (١١) •

(٧) فرويد تفسير الاحلام ترجمة مصطفى صفوان ص (٥٠) •

(٨) Dudley, G. Ibid, Pp. 11, 13.

(٩) الاحلام المزعجة مترى أمين • مطبعة منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٦١ ص١٤ •

(١٠) Gutheil, Emil. *What Your Dreams Mean?*: A premier Book, New York, 1957, Pp. (88-89).

من النثر الايقاعي

أنا كارهة

السوناتا الخامسة والاربعون بعد المائة

وليم شكسبير

ترجمة

الدكتور صفاء خلوصي

هذه محاولة لترجمة مقطوعة لشكسبير بهذا الاسلوب الايقاعي الذي لا تسمع فيه غير جرس تفعيلة واحدة هي « متفاعلن » مضمرة وغير مضمرة . انها ليست موزونة ولا مقفاة ولكنها ايقاعية اذ تشعر بتكرار التفعيلة التي تنتظم المقطوعة من مستهلها الى منتهاها كخيط ارجواني رفيع ، وقصارى ما في هذا الاسلوب من فضائل انه يحافظ على المعنى الاصلي للشعر المترجم بامانة ، وأنا لا اسميه شعرا حرا ولا غير حر ، انما اسميه نثرا ايقاعيا لان النثر في نظرى اشرف من الشعر اذ به نزل اشرف كتاب ... هو القرآن !..

ص . خ .

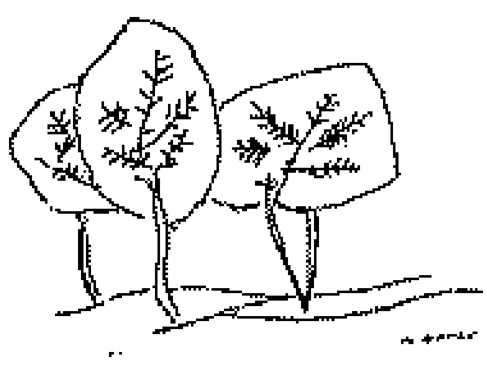
شفتاك هاتان اللتان أراهما
بيد المحبة صيغتا
تتباعدان هنيهة لترددا : « انا كارهة » !
أيقال لي قول كهذا ؟
أيقال لي ؟ لتيم مثلي يرى
دوما مشوقا مدنفا ؟

× × ×

لما رأت وضعي الكئيب المؤلما
نبض الفؤاد برحمة متوددا
وموبخا للسانها ذاك الذي
يقضي بكل عذوبة بالموت او سوء المصير !
ومعلما اياه خير تحية ،
لتقول في لحن رقيق هاتف :
« انا كارهة » !
بنهاية كنهاية الليل البهيم
من بعده الصبح المبين

× × ×

كاللعنة السوداء
اذ ترمى من الفردوس في نار الجحيم :
« انا كارهة » !
واعادت القول البغيض وانما
قد انقذت مني الحياة بقولها
اذ تمتمت :
« للكل الاك !! »



قصة الموت الفجائي

الدكتور فيصل دبدوب

لاشك بان لكل عصر من عصور التاريخ صفة او اكثر يمتاز بها عن ما سبقه من عصور ، ولا شك كذلك بان لعصرنا هذا الذي نعيش فيه طابعه الخاص به ، فهو يمتاز بالسرعة والاشتراكية والتيسير ، لانه عصر العلم ، عصر الديمقراطية ، عصر المساواة ، وتيسير العلم وتبسيطه من أهم ما تصبو اليه الحكومات الناهضة المتطلعة الى تطوير مجتمعاتها الى مجتمعات أرقى وأفضل • فالعلم — في هذا العصر — ليكون ناجحا يجب ان ينزل من ارستقراطيته لكي يزيد الانتاج ويغير المجتمع ويلغي الفاقة وينير العقول ويكسر قيود الخرافات ، فهو في عصرنا يعد من اعظم القوى المحررة من الخوف والفقر والمرض والجهل ، وبحثي هذا الذي بين يديك له صلة وثقى بكل ما يتعلق بالموت الفجائي ، جعلته سهل العبارة واضح الاسلوب ليدخل كل فكر بلا استئذان •

لئن رعت الحكومات الخبز لانه زاد المعدة فالعلم الذي هو زاد الفكر اولى بالرعاية واولى بان يكون كافة للعالمين •

* * *

في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الخميس المصادف ١٩٦٥/٤/٢٩ بينما كنت أقوم بفحص احد المرضى في عيادتي اذ بجرس التلفون يرن رنينا متواصلا ، واذ بصوت امرأة تناديني مستغيثة ان احضر حالا دار السيد (ب • م) لفحصه وانقاذه من الحالة التي اصابته فجأة ففقد على اثرها الوعي •

تركت مريضي في غرفة المعاينة مضطجعا على سرير الفحص وهرولت مسرعا الى سيارتي ، فوصلت الدار بعد بضع دقائق رغم بعد المسافة وازدحام الشوارع ، وقبل ان اصل بهنيهة سمعت جلبة ولما دنوت رأيت كبكبة على الباب ، سألت احدهم أين المريض ؟ فبرزت من بين الجمع المحتشد امرأة تلوح على محياها امارات الهلع واللوعة ، قالت : انا طلبتك يا دكتور ، لتنقذ جارنا وصديقك فلان ، قلت أين هو ؟ قالت هو في الطريق الى المستشفى ، وقد حضر قبلك ثلاثة اطباء اجروا عليه

الفحوص الطبية اللازمة ولكن .... وهنا خنقتها اللوعة واخفى معالـــم وجهها الدمع المنهمر من عينيها ، قلت لعلهم لم يتمكنوا من انقاذه ؟ ، قالت نعم واخرجت من جيبها منديلا تمسح به عن وجهها واردفت تقول ، وقد رأت امه واخواته ان ينقل الى المستشفى فنقل بعد استدعائك ، ولا ادرى لعله قد فارق الحياة قبل ان تصل به السيارة الى المستشفى حيث كـان حين نقله بحالة لا وعي مع زرقة في الوجه والاطراف تنذر بالموت ، وهنا توقفت الجارة الملتاعة عن الحديث اذ حبس هول المصاب لسانها فلم تتمكن ان تتم كلامها وعادت الدموع ثانية تعبر عن ما يختلج في فؤادها مـــن لواعج ، هدأت من روعها ودعوت له بالشفاء وعدت ادراجي وانا متالـــم اشد الالم على هذا الشاب الذى تربطني به روابط الصداقة والمهنة ، وما ان وصلت عيادتي الا وجرس التلفون يدق ، رفعته واذ بالسيدة ذاتهـــا تقول لي بصوت خافت حزين ، لقد مات جارنا ، وغدا تشييع جنازته الى مقره الاخير ، رميت السماعة وانا في شبه ذهول من هول المصاب ، ثـــم حوقلت وقلت (كل نفس ذائقة الموت) رحمك الله ايها الصديق والهـــم امك الثكلى واخواتك المفجوعات جميل الصبر والسلوان .

كان سبب الوفاة السكتة القلبية حسب تقرير الاطباء وليست ميتة هذا الصديق الفجائية هي الحادثة الوحيدة في هذا الشهر فقد مـــات بالسكتة سواه من الناس كثير . فما هو سبب السكتة القلبيـــة ؟ وكيف تحدث ؟ وهل الى الوقاية من نشوبها من سبيل ؟... اسئلة تخطر عـلى بالي وبالك وعلى خاطر كل انسان ونتشوق نحن جميعا الى ســــماع الاجوبة العلمية عنها يدفعنا الى ذلك حب الحياة والخوف من الموت .

لهذه الاسباب مجتمعة ولسواها مما لا يحضرني الآن تذكـــره سأتولى الاجابة باسلوب بعيد عن التعقيد العلمي ليفهمه جل الناس ان لم يكن كلهم فنحن في عصر السرعة والتيسير واشاعة اشتراكية الفكـــر والمعرفة بين الناس كما نوهنا من قبل .

قلنا في مطلع حديثنا ــ كما تتذكر ايها القارىء الكريم ــ ان وفـــاة صاحبي (ب . م) كانت من السكتة القلبية فما هي السكتة القلبيـــة يا ترى ؟ هي في حقيقة الامر (الانسداد المفاجيء في الشريان التاجي) ولا يفوتني ان اذكر بان في كل قلب من قلوبنا ، انا وانت وجميع الناس مهما اختلفت الواننا واجناسنا ، شريانين تاجيين أيمن وأيسر ، وهما ينقسمان عدة مرات الى فروع ــ أصغر فاصغر حتى تصل هذه الفروع في النهايـة الى كل ركن من اركان القلب ، يمدان انسجته بالدم ويحيطان به احاطة التاج المعقود او يكادان .

كان الرجل في الثانية والثلاثين سنة انقطع مدد الدم عن قلبـــه بغتة ، في حين ان اكثر من تؤدى بحياتهم علة الشرايين التاجية تكـــون

اعمارهم بين الاربعين والخامسة والستين ، وهذه العلة تزداد نسبة حدوثها عند الذكور وتنخفض انخفاضا ملحوظا عند الاناث .

ان الخطر الاكبر من هذه العلة يكمن في النوبه الاولى والذين لا تميتهم قد تميتهم النوبات التالية بيد ان الوفا من المرضى بهذه العلة يحيون الآن حياة زاخرة بالوان الحيوية وانواع النشاط وسبب نجاتهم هو نجاحهم هم واطباؤهم في توقي النوبات التالية ، واهم مشكلة في هذا الداء هي الخلاص من النوبة الاولى والافلات من ضررها .

لقد كان الاعتقاد الشائع فيما مضى ان زيادة وفيات الرجال بعلة الشرايين التاجية نسبة الى النساء مرجعه ثقل مسئوليات الرجل وكثرة المتاعب والمشاق التي يتعرض لها في حياته ، والهموم والمتاعب النفسية التي تنتابه نتيجة ذلك . ولكن ثمة رأى جديد في تعليل حدوث الانسداد المفاجيء في الشريان التاجي جلاه واوضحه الفحص المجهرى (المكروسكوبي) للشرايين التاجية في كثير من الناس من رجال ونساء ماتوا بهذه العلة . فقد اشار الفحص المجهرى الى عاملين اثنين ان اجتمعا فقد حدثت علة الشرايين التاجية ، هما تركيب الشرايين التاجية المساعد على حدوث هذا الداء ونوع الاغذية التي يتناولها الانسان . لذا كان السعي الناصب والكد الدائب والتوتر النفسي المستمر أقل أثراً في حدوث الاصابة من هذين العاملين .

لا نبتعد عن الحقيقة — ايها القاريء العزيز — اذا نحن شبهنا بطانة الشرايين التاجية بالاطار الباطن في عجلة سيارتك او اى سيارة اخرى تسيرها عجلات ذات اطارين ، فكما تحيط العجلة اطارها الباطن باسطوانة تحيط الشرايين بطانتها باسطوانة من نسيج عضلي مطاطي كذلك .

ان بطانة الشرايين التاجية أسمك من أى بطانة في اى شريان آخر في جسم الانسان يماثلها في الاتساع ، وهو في الذكور أسمك منها في الاناث في الاعم الأغلب ، حتى في اول يوم من اعمارنا — وتزداد سمكاً كلما تقدم العمر وتكون الزيادة اكثر واسرع ، ومن الملاحظ ان هذه الزيادة تكون في جوف الشريان كانها طبقة الصداء في باطن انبوب الماء ولذلك يقل مقدار الدم الجارى في الشرايين الى القلب شيئا فشيئا كلما ضاقت السعة داخل الشريان الخاص بتغذية القلب شيئا فشيئا .

قلنا بان بطانة جدر الشرايين التاجية سميكة وانها تتضخم كلما تقدم العمر ، وكثيراً ما يهيء هذا التضخم هجوم الشحم على سطح الغشاء ، وقد تجلى من الابحاث الحديثة ان العامل — الجوهرى في حدوث هذا النوع من آفات الشرايين هو الطعام الذى نتغذى به ، ذلك ان في دمائنا تسري مادة تشبه الشمع تسمى (كولسترول Cholesterol وقد

عربها بعضهم فسماها (شمع المرة) ، تتسرب الى الشرايين التاجيسة وتتوضع فيها بشكل حبيبات ، ومن خصائص هذه المادة سهولة تغلغلها في الاغشية السميكة وترجيح هذه الاغشية على الاغشية الرقيقة ، فتشكل نتيجة لتوضعها على جدار الشريان ركاماً من الشحم تدق رؤيته على العيـــن المجردة • واذا زاد حجم هذا الركام حدث الالتهاب في باطن الغشاء وبعـد مدة من الزمن تطول او تقصر يلتئم الالتهاب الحادث في باطن الغشاء فيترك وراءه ندوبا تسمى (الاورام الهلامية) Atheroma

ان هذه التغييرات التي ذكرناها قد تدوم بضعة اشهر وقد تمتـــد عشرات السنين فيضيق مجرى الشريان المغذي للقلب رويدا رويدا ويقل بذلك ارواء القلب وتغذيته رويدا رويداً ايضا •

هذا وقد يحدث مع مرور الزمن وتقدم المرض ان تنفصل يوما مـــا قطعة من النسيج المتغير المخشوشن في بطانة الشريان وتتكون مكانها علقة من الدم تملأ الفراغ الذي تركه ذلك الانفصال فينسد الشريان بهــذه (الخثرة) او (الجلطة) كما يسميها معظمهم ، وقد يفضي هذا الانسداد الى الموت في الحال ما لم يقم فرع آخر من فروع الشرايين التاجية العديدة التي تشبه الشبكة بوظيفة الشريان المسدود ، فاذا تم ذلك وقام احـد الفروع مقام الشريان المسدود فغذى القلب ورواه بالدم فقد نجا المريض من الموت ، الا ان سيف الموت يبقى مصلتا على عنقه يهدده بنوبة او نوب ـ اخرى ، بيد ان الوفا من المرضى بهذه العلة ـ كما نوهنا من قبل ـ يحيون حياة زاخرة بالنشاط مليئة بالحيوية بعد ان توقوا النوبة الاولى والنوبات التاليـــة •

قلنا بان الوفاة قد لا تحدث اذا قام احد الفروع مقام الشـــريان المسدود ، ولكن تنتاب المريض آلام حادة هائلة تبدأ عادة فوق القصــــ وتنتشر الى منطقة المعدة والكتفين وخاصة الكتف اليسرى ويصحبهـــا ضيق شديد في الصدر حتى ليشعر المريض ان روحه تكاد ان تزهق ، وقد يكون الالم كله مركزا في منطقة المعدة فيضل الطبيب غير المجرب ولا يعي على خطئه الا بعد فوات الاوان غالب الاحيان • ولكن هناك علامات مميزة ترشدنا الى الطريق الصواب كاصفرار وجه المريض ـ وشعوره بالضيق والتعرق الغزير وصعوبة التنفس والشعور بدنو الاجل ثم اخيرا وليس آخرا هبوط الضغط الدموي وهذه الاعراض او العلامات المميزة سردناها هنا بايجاز وسنعود اليها ثانية ونتحدث عنها بوضـــوح واسهـــاب ان شاء الله •

مهما يكن من امر فقد بينا العلامات المميزة وقد يحدث ان لا تظهر هذه العلامات بل تنحصر شكاية المريض في اعراض معدية جانبية : غثيان وقيء وانتفاخ باطن ـ وهذا مما يزيد الامر تعقيداً ، فيحاول المريض طرد

الغازات فلا يقدر وقد يلجأ الى عمل حقن شرجية ليريح نفسه وقد يخرج السر الالهي خلال هذه المحاولات قبل ان تخرج الغازات . هذا وقـــــد لا ينفصل الورم الهلامي من بطانة الشريان التاجي ولكن مجرى الشريان ينسد تدريجا من نمو الترسبات الحاوية على مادة الكولسترول المتوضعة على بطانة الشريان كما ينسد عنق ابريق الشاى من ترسبات الكالسيوم الموجود في بعض المياه ، او كما ينسد أنبوب الماء من زيادة الصــــــدأ ، فيؤدي الضيق التدريجي الى حبس الدم السارى الى عضلة القلب شيئا فشيئا ، فاذا اصاب المريض ما ازعجه وكدر عليه صفو نفسه واخرجها من هدوئها بصورة مفاجئة ، أو اذا انتابه من اعماله تعب شديد ورهق فترة من الزمن بعجل فقد ينتابه الم مبرح من الذبحة الصدرية .

ان للقلب شريانين تاجيين اثنين لا غيرهما كما قلنا ، ولكن بينهما شبكة عجيبة من العروق الدموية المشتركة تصل ما بينهما حيثما يضيق احدهما أو كلاهما معا بتضخم البطانة وربما انسد احـــد الشـــريانين انسدادا تاما فلا يصحبه نذير الموت في بعض الحالات ذلك لورود الدم الى ناحية الشريان المسدود من العروق الصغيرة التى تشكل شبكة كما بينا من قبل . هذا وقد تبين من تشريح جثث الوف الموتى من الصينيين بأن علة الشرايين التاجية نادرة بينهم ندرة تبعث على الدهشة ، ذلك لان قوام طعام الملايين في الصين(٢) الرز ثم الدخن ، ما المخ وشحم الحيوان ودهنه والزبد والبيض فتكاد ان تكون من المأكولات النادرة بينهم لا نها مـــن اطعمة المترفين . ومستوى كولسترول الدم بين الصينيين لا يزيد الا قليلا على نصف ما في ابدان الامريكيين . وان مما يدعو للعجب ارتفاع معدل الوفيات بعلة الشرايين التاجية بين الجنود الامريكيين (لا سيما صغـــار السن) في معسكرات ـ التدريب حيث ترتفع متوسط ما يتناولونه مـــن البيض والزبد والشحم عما كانوا يتناولونه في بيوتهم قبل التحاقهـــم بخدمة الجيش . لذلك يبدو ان ثمة علاقة بين وفرة الكولسترول والموت بعلة الشريان التاجي فلنتحدث قليلا عن الكولسترول اتماما للفائدة فنقول بانه مادة تشبه الشمع توجد في دمائنا بنسب تختلف بين شخص وآخر ، وهو يكثر في المواد الدهنية التي هى من اصل حيواني فيمتصها الجســـم مع المواد الغذائية المهضومة وهكذا يدخل الدورة الدموية .

لقد وجد Block في امريكا و Lynen في المانيا ان هذه المادة اذا لـــم تدخل مع الغذاء فان الجسم يبنيها من مواد اخرى . وقد استطاع العالمان السابقان ان يكتبا كل المعادلات الكيمياوية لبناء تلك المادة داخل جســـم الانسان . ونظرا لاهمية ابحاث العالمين السابقين فقد نالا جائزة نوبـــل للســـــــلام .

وعلى ما يبدو لنا ان جسم الانسان يبني هذه المادة لانه يحولها الى

مواد اخرى ضرورية للحياة مثل الحـــاثات (الهورمونات Hormones) خاصة الجنسية منها واملاح الصفراء التي هي ضرورية في هضم وامتصاص الطعام ٠

قلنا بان الكولسترول يكثر في الدهن الحيواني وتضيف على ذلك بانه يوجد بكميات وافرة ايضا في المخ والكبد والكلى وصفار البيض والدم والغدة فوق الكلية (الكظر) ٠

ان الكولسترول عنصر جوهري من عناصر الدم يصنع في الكبد وهو لا يوجد في الفاكهة والخضر والبقول والنقل (المكسرات او الجزر) ٠ اما اللحم الاحمر ولحوم الاسماك (البحرية او النهرية) فيحويان مقدارا قليلا منه ومقدارا عظيما من المواد الزلالية التي يبدو انها تمنح الجسم قدرة على أن يستهلك ما يزيد عن حاجته من كولسترول الدم ٠

ان قدرة الجسم على مقاومة هذه العلة (الجلطة الدموية) المؤدية الى الموت بالسكتة القلبية او الى النوبة القلبية قدرة موروثة مردها مقدار ما يرثه المرء من سمك بطانة هذه الشرايين ويختلف حظ الناس في التخلص من حدوث الجلطة اختلافا كبيرا في مراحل العمر المختلفة ٠ بيد ان سرعة تضخم هذه البطانة وتخشنها هو أخطر سبب يهيء المرء لاعتلال الشرايين التاجية ٠ وفي وسعنا نحن جميعا تقليل هذه السرعة في كثير من الاحيان بتنظيم الطعام الذي نتناوله ٠

هذا والناس ليسوا على حد سواء في قدرة ابدانهم على تدبير أمر الكولسترول بل هم على تباين واختـــلاف بين فكثير منهـــم لايتجاوز الكولسترول في دمائهم حده المأمون حتى لو عاشوا على طعام غني به ، أما البعض الآخر فيطغي الكولسترول في دمهم طغيانا هائلا قاتلا وان كان طعامهم كله يكاد ان يكون خاليا منه ٠

ان حاجة الناس الى الطعام — أيها القارىء الكريم — تختلف اختلافا بينا ذلك لان تغذية الانسان المعقدة تدعو للعجب ، فبعض الاسر افرادها يعمرون ويصل بعضهم سن الشيخوخة وهم يأكلون البيض ودهن الاغنام (السمن) وشحوم الحيوانات والقشدة ، وآخرون سواهم لايأكلون هذه المواد الغذائية الا لماما وبمقدار قليل تمشيا مع توصيات اطبائهم أو نتيجة للعوز والفاقه ومع ذلك فاننا نلاحظ بأن الموت يلتقط من بينهم الواحد تلو الاخر فكيف نعلل هذه الظاهرة ؟ بالحقيقة ليس لدينا ما نركن اليه لتعليل هذه الظاهرة الا القول بان مرد طول عمر الفئة الاولى يعود الى توافق نادر الحدوث بين بطانة رقيقة في الشرايين التاجية كانت لهم منذ ولدوا وطريقة موروثة لاستهلاك فضول الكولسترول ومدد واف من المواد الزلالية في الطعام الذي يتناولونه وما هكذا الحال في الفئة الثانية التي يخترم الموت بعض افرادها بالسكتة ٠ هذا وليكن معلوما لدينا جميعا بان

أكثرنا على درجة وسطى بين شدة المقاومة لمرض الشرايين التاجية وبين سرعة القبول لهذا الداء • ولعل خير طريق نسلكه فيبعدنا عن خطر الموت الفجائي بالجلطة الدموية هو تحاشي الاسراف في أكل الاطعمة الغنية بالكولسترول ولا يتحقق لنا ذلك الا بالقصد قدر المستطاع في تناول هـــذه المواد ، ولا يخفى على القارىء بأن القصد والاعتدال في كل سبب من أسباب الحياة هو من ضروريات الحياة لمن اراد العيش بصحة متزنة ونفس مطمئنة وهدوء وســـلام •

لا ندري لعل ان يجد العلم يوما ما حلا للغز انسداد الشرايين التاجية، فالى أن ياتى ذلك اليوم يبدو أن خير درع تقينا شر ما ورثه بعضنا من سماكة في جدر الشرايين التاجية او ضيق في مجراها الباطن هو التدقيق الشديد ووضع الحقائق أمام أعيننا عند أختيارنا اصناف الطعام •

ولا بد لي قبل ان اغلق هذا الباب من أن اذكر بعض الآراء الحديثة التي نشرت مؤخرا في هذا الصدد فاقول بانه عقد في أواسط عام ١٩٥٧ مؤتمر ضم زمرة مختارة من علماء في التغذية وفي أمراض الشرايين وكان الموضوع الرئيسي الذي عقد المؤتمر من أجله (البحث في الموت الفجائي بالجلطة الدموية) وقد وصلوا في أبحاثهم الى نتيجة هامة هي أن تصلب الشرايين التاجية لا يرجع العامل المسبب الى سبب واحد فقط وأنما الى أسباب عديدة تتضافر فيتكون المرض منها وأهمها : الوراثة ، الغذاء ، تكوين جدر الاوعية الدموية ، ضغط الدم الشرياني ، نسبة المواد الدهنية في الدم ، والزوج أو (الجنس) ، وليس هناك دليل قوى على أن ثمة رابطة بين الغذاء من جهة (خاصة نسبة الدهن في الغذاء) وبين تصلب الشرايين وأمراض القلب التاجية من جهة أخرى •

ان هناك شيئا واحدا أكيدا وهو أن تصلب الشرايين وأمراض الشرايين التاجية تحدث كثيرا عند الاصابة بامراض معينة مثـــل الداء السكري Diabetes والوذمة المخاطية Myxedema (والوذمة المخاطية مرض يصيب الغدة الدرقية) وفي هذين المرضين يزداد عادة مستوى الكولسترول في الدم • وهذه الحقيقة تشير على وجود رابطة بين المستويات العالية من الكولسترول وبين تصلب الشرايين ولكنها لاتقرر وجود اية رابطة بين نسبة الدهن في ما يتناوله المرء وبين نسبة الكولسترول في الدم •

هذا ويقول الدكتور كنسلي (بان أغلى النسب للكولسترول في الدم تاتي عندما يكون الغذاء محتويا على أكبر كمية من الدهنيـــات المشبعة كالدهن الموجود في الزبد واللبن والقشدة والجبن والشحم فاذا استبدلنا هذه الدهنيات بأخرى من الدهنيات غير المشبعة كدهن بذر القطن أو الفول (الباقلاء) أو الذرة فأن مستويات كولسترول الدم تهبط في جميع الحالات تقريبا • والواقع أن الدهنيات غير المشبعة اصبحت تضاف الان

الى الاغذية الخاصة بالمرضى المصابين بأرتفاع غير طبيعي في مستويات كولسترول الدم .

ويقول الدكتور (هيليبو) المدير العام لصحة نيويورك (باننا يجب أن نقوي ابحاثنا لا عن الدهنيات فقط بل عن تخثر الدم Blood Clotting والتريض والاجهاد بنوعيه العقلي والنفسي ويجدر بنا كذلك أن نرفع دراسات أمراض الكولسترول والقلب الى مستوى دولي فالبحوث التي تجريها في بلادنا تحتاج الى توثيق علاقاتها بما يجري في البلاد الاخرى . ومعنى هذا تطبيق علم الاوبئة في العالم أجمع وتنسيقه مع بحوث أمراض القلب وهو الخطوة التالية) .

أما الدكتور (ايرفين بيك) فقوله الموجز الذي نضعه أمامك الآن يكاد يكون الخلاصة الواقية لبحثنـــا المسهب عن أثر المـــواد الدهنيـة والكولسترول بصورة خاصة على حدوث تصلب الشرايين التاجية والجلطة الدموية . قال (ايرفين بيك) : « اذا كان هناك ما يدل على أستعداد وراثي لتصلب الشرايين في جسمك وقلبك خاصـــة واذا كانت نســبة كولسترول دمك مرتفعة فمن المستحسن ان تخفض من كمية المواد الدهنية الصلبة التي هي من منشأ حيواني بالنسبة الى الدهنيات النباتية السائلة في غذائك » .

ويقول (جيمس وات) (مدير المعهد الاهلي للقلب) في باريلاند « ان العلم ما زال يستحث الخطى في سبيل البحث عن أســباب الموت الفجائي بالجلطة الدموية بانسداد الشريان التاجي وهو اي العلم بحاجة الى مجهودات مضنية وثورات متوالية ليصل الى أهدافه » .

لا جرم بانكم ايها السادة تحبون أن توجهوا بعض الاسئلة لكاتب هذا البحث وأكاد ان احزر (٤) من بينها هذا السؤال « كيف يعرف المرء ان هناك بعض انسداد في طريق التكوين ؟ » والجواب على ذلك انه ليست هناك طريقة لمعرفة ذلك بالضبط .

ان سمك جدر الشرايين التاجية وظهور نتوءات بها يحدث ببطء وبدون أي دلائل يمكن ان يكتشفها الطب أو الطبيب . ان معظم الاعراض التي يظن كثيرون أنها تنذر بحدوث (نوبة قلبية) هي أيضا أعراض لامراض أخرى ، وقد لا تكون نتيجة أي مرض عضوي على الاطلاق . ولذلك فانه ليس ثمة ما يدعو الى الاستغراق في الاهتمام بحالة القلب وشرايينه بقصــد اكتشاف الاعراض الاولى الدالة على ضعفها او مرضها .

قلنا في معرض حديثنا عن انسداد الشرايين التاجية عند المرأة ـ كما تتذكرون جيدا ـ بأن أمراض الشرايين التاجية أقل شيوعا بين النساء عما هو بين الرجال والآن نقول بأن المرأة عندما تصاب بهذا الداء تكون عادة في سن أكبر من متوسط سن الاصابة عند الرجال . وقد عزي ذلك

الى عدة أسباب منها أن الطبقة الداخلية للشرايين التاجية عند المواليد الذكور يبلغ سمكها ثلاثة أضعاف سمك الطبقة الداخلية للمواليد الاناث ـ كما تشير الفحوص المجهرية ـ وهذا السمك يعتبره بعضهم عاملا مهيئا للاصابة بالجلطة الدموية في سنوات العمر المتقدمة • وقد اكتشفت في السنوات الاخيرة دلائل أخرى توحي بأن الهورمون الجنسي عند المرأة يمنحها أثرا واقيا حتى تبلغ سن اليأس • ولما كان أفراز هذا الهرمون يقل في هذا السن فأن المرأة تفقد قوتها الوقائية • ومما يؤيد هذا الرأي ان المشاهدات تدل على أن النساء بين سن الخمسين وسن الخامسة والخمسين يصبن بأمراض الشرايين التاجية بنفس النسبة التي يصاب بها الرجال •

راجعني في عيادتي هذا الشهر لفيف من مرضى بأمراض شتى معظمهم يشكون من أعراض رئوية وبعضهم كانوا يخشون من أن تكون قلوبهم كذلك قد أصيبت بآفة أو آفات ، يحملون في جيوبهم رزمة من وصفات وفي ايديهم رزمة من حبوب وأمزجة وأمبولات واشرطة تخطيط القلب وصور شعاعية للصدر ، ولا تعجب اذا قلت لك بأن معظم هؤلاء لا آفة قلبية لديهم بتة انما هم مصابون بما ندعوه (بالوسوسة من مرض القلب) أما الاعراض التي يشكونها فمنها ما هو نتيجة غازات محصورة في المعدة والامعاء ومنها ما لا صلة له بعارض في الاجسام وأنما صلته الصق بالخيالات والاوهام ، هذا وان من اخافه مرض القلب وخشي أن يكون من ضحاياه ربما سبق أن هزته وخزة في ناحية القلب أو شعر بألم مفاجىء في تلك الناحية فبعث ذلك في نفسه الشك بحدوث نوبة قلبية : فبناء على ما ورد ذكره أعلاه من هواجس تنتاب بعض الناس ووساوس من مرض القلب وشكوك ومخاوف رأيت وجوب حصر اعراض النوبة القلبية وذكرها بشيء من التفصيل حتى يكون القارىء على بينة من الامر وليعلم من كان في منتصف العمر وشعر بعارض في قلبه متى يستدعي الطبيب ومتى لا يستوجب الامر أن يستدعيه•

أما اعراض النوبة القلبية فهي : ــ رغم قول بعض ذوي الاختصاص بأن لا أعراض يقينية للنوبة القلبية ــ أقول بان الاعراض يمكن اجمالها في النقاط التالية :ــ

أ ــ **الالـم :** ويتوضع في منتصف الصدر تحت عظم القص (والقص هو العظم الكائن في منتصف الصدر) ويتصف هذا النوع من الالـم بشعور خاص يشعر به المريض يتسم بحس ثقل جاثم على الصدر او ضغط شديد عليه يرافق ذلك أحساس بحرقة غالب الاحيان وحدة الالم تتفاوت بين حالة وأخرى وتختلف بين مريض ومريض ، هذا وان شدة الالم ليس لها علاقة بسير الآفة ، فالشخص الذي يصاب بنوبة ألم شديد صعب احتماله شديدة وطأته لديه من الفرص للشفاء من الداء تماما كما عند الشخص الذي لايشعر الا بألم بسيط سواء

بسواء • ولهذا الالم ميزات يتميز بها عن غيره من أنواع الالم منها انه متقطع فهو يتحسن ويخف وربما يزول ثم يعود تارة أخرى وهكذا تتابع فترات الالم والراحة عند بعض المرضى ويزول الالم غالبا بعد نصف ساعة وربما بقى حس الثقل عند بعضهم مدة اسبوع •

قلنا بان لهذا الشكل من الالم خواصه المميزة منها معاودته وتكراره وتناوبه بين الشدة والسكون وتضيف على ذلك صفة اخرى له هي انتشاره فلا يكون محصورا في ناحية القلب بالضرورة بل يتسع الى الذراع الايسر غالب الاحيان أو الى الذراع الايمن بعض الاحيان او الى الذراعين في حالات قليلة نادرة • واذا انتشر الالم الى أسفل الصدر اى الى القسم العلوي للبطن ربما أضل الطبيب خاصة اذا كان الالم العرض البارز الوحيد فيشتبه الطبيب آنذاك باضطراب في جهاز الهضم ويتجه في علاجه نحو هذه الناحية فقط وهنا يكون المريض من الموت قاب قوسين أو أدنى •

ب ــ **عسر الهضم** : قد تتقنع النوبة القلبية وتتنكر بشكل عسر هضم أو ألم في المعدة شديد : لذا اوجه نصحي لكل انسان في منتصف العمر يشعر بغتة من غير سابق انذار بألم مفاجيء مع ميل للقيء دون أصابة سابقة بآفة في جهاز الهضم ان يراجع الطبيب وأن لا يضيع الفرصة ، فرصة النجاة من الموت ــ ذلك اذا كانت الاعراض تعود الى نوبة قلبية ــ حيث أن هناك شبه أجماع عند المتخصصين بالقلب على القول بان التشخيص الصحيح والعلاج السريع في نوب القلب من أهم عوامل ازدياد فرص الافلات من الموت والنجاة منه •

جـ ــ **ضيق التنفس** : قد يكون ضيق التنفس العرض الاول للنوبة القلبية فيسبق الالم ، وهذا العارض يتصف بالخفة تدريجا كلما مضت مدة على وقت الاصابة حتى يزول ويتلاشى وقد يستخدم الاوكسجين لتخفيف شدته وازالة اثره كما سنرى في حديثنا عن المعالجة •

د ــ **التعرق** : يعتبر عادة هذا الثالوث (الالم وعسر التنفس والتعرق الغزير) أهم مجموعة من الاعراض النموذجية للنوبة القلبية •

ص ــ **الصدمة** : قد تكون الاعراض السابقة : الالم واضطراب الهضم والتعرق الغزير غير ظاهرة لانها بسيطة فلا يشعر بها المريض الا قليلا وقد لايلمسها الطبيب ويبقى العرض الوحيد الظاهر للعيان الهبوط العام وانخفاض ضغط الدم انخفاضا فجائيا ، ثم لا تلبث ان يزول الهبوط العام والضعف الشديد ويأخذ الضغط الدموي بالتحسن فيرتفع تدريجيا كلما مالت صحة المريض الى التوازن وزال اثر الصدمة •

و ـ **القلــق** : ان الشعور بدنو الاجل أهم الظواهر النفسية التي تنتاب المريض وهو شعور لا داعي له لان فرص النجاة من الموت عند من يقلق ومن هو رابط الجأش ساكن النفس فلا يقلق واحدة ٠

ان ماذكرته عن أعراض النوبة القلبية فيه الكفاية ولمن أراد التوسع أكثر فأكثر ان يرجع الى الكتب العديدة في الطب والكتب الخاصة بالقلب بوجه خاص ، اما نحن وقد وصلنا الى هذه المرحلة من البحث أرى لزاما علينا أن نعرف بعض الشيء عن وسائل التشخيص المتبعة فاقول : بان كل واحد منا قد رأى السماعة الطبية تلك الالة التي لا يستغني عنها الطبيب ٠ ان السماعة تفيدنا في الاصغاء والتسمع الى اصوات الرئة ودقات القلب لكنها ليست ذات فائدة أكيدة في تشخيص النوبة القلبية لان النوبة لاتؤثر في الصمامات نفسها فلا ينتج عنها أي لغط ويحدث في كثير من الحالات ان يصبح صوت القلب الاول خافتا ٠ وخفوت دقة القلب الاولى علامة مساعدة على التشخيص وليست علامة اكيدة لانها تحدث في علل قلبية أخرى ٠

وفي عشرة بالمائة من الحالات يحدث صوت خدش واحتكاك حـين الاصغاء الى القلب ٠ لذا فالسماعة لا تكشف عن النوبة القلبية وأهميتها في حقيقة الامر ثانوية ٠

اما الوسائل المعتمدة في التشخيص فهي :ـ

الحــرارة : حيث ترتفع درجة الحرارة في اليوم الاول للنوبـة وتستمر الحرارة التي لاتتجاوز (٣٩°) ثلاثة ايام غالبا ثم تعود الى مستواها الطبيعي والحرارة تشير الى وجود جسم غريب في الجسم هو عبارة عن القسم الميت من العضلة القلبية ٠ هذا وقد تدوم الحرارة مدة أطول وطول مدتها من الادلة الواضحة على سعة الجزء الميت من القلب أي القسم الذي انقطع عنه ورود الدم بسبب الجلطة التي سدت الشريان المغذي له ٠

ولا يفوتني أن أذكر بان عدد الكريات البيض في النوبة القلبية يتناسب مع شدة الاصابة وقوتها فكلما كان القسم الميت من القلب كبيرا كلمــا ارتفع عدد الكريات البيض في دم الشخص المصاب بالنوبة وهكذا تستمر الكريات البيض بالازدياد حتى اليوم الثالث من بداية النوبة ٠

وهناك طريقة أخرى مختبرية ايضا لتشخيص النوبة القلبية تعتمد على سرعة ترسب الكريات الحمر ، وتعتبر عادة زيادة سرعة الترسيب علامة أخرى من علائم التشخيص وتظهر هذه العلامة عادة بعد يومين وبعضا بعد ثلاثة ايام من حدوث النوبة ، واستنادا الى نتائج هذا الفحص قد يعرف الطبيب متى بدأت النوبة وذلك بصورة تقريبيـة ويتمكـن الطبيب كذلك استنادا الى هذا الاختبار من تعيين المدة اللازمة لملازمة المريض للفراش ٠

واليك واسطة أخرى لتشخيص النوبة القلبية ـ واخشى أيها القارىء العزيز أن أكون قد أرهقتك بذكرى هذه الفحوص ولكن لا ، لا تعجز فالبحث

العلمي يتطلب ذلك وقد حاولت ان اخفف عنك ثقل البحث قدر المستطاع نزولا عند رغبتك ورغبة القراء جميعا — اما أن سألتني عن هذه الواسطة الجديدة لتشخيص النوبة القلبية ما هي ؟ لاجبتك هي عبارة عن تعيين مقدار مادة كيمياوية في الدم تدعى (ترانسآمينيز) فاذا زادت كميتها عن الحد الطبيعي دل ذلك على وجود موت أي (احتشاء) في عضلة القلب • ويزداد مقدار هذه المادة عادة بعد النوبة بست ساعات وتصل الزيادة الذروة بعد يوم أو يوم ونصف • وان عودة كميتها في الدم الى حدها الطبيعي بشارة حسنة تنبئنا بأن الالتئام يسير الى الامام سيرا ممتازاً بكل تأكيد •

وتخطيط القلب الكهربائي واسطة اخرى للتشخيص تعتبر حديثة نسبيا لكنها من الوسائل التي لا يمكن الاستغناء عنها في الوقت الحاضر لدقتها وأهميتها في وضع التشخيص الصحيح • فتخطيط القلب الكهربائي يشير الى مكان الموت (الاحتشاء) الحاصل في العضلة القلبية والى حجم هذا الموت بوجه التقريب • كما ان التخطيط المتكرر لمريض قد أصيب بنوبة قلبية يعطينا التقرير الحقيقي عن حالة القلب •

قلنا بان تخطيط القلب من العوامل المهمة والوسائل الفعالة في تشخيص النوبة القلبية وفي الاخبار عن درجة التئام العضلة القلبية كذلك ولكن يجب ان لايتبادر الى الذهن ان جهاز تخطيط القلب يمكن ان يعطينا النتائج اليقينية لجميع حالات امراض القلب فهناك من الامراض القلبية ما لا يكشف عنها رسام القلب الكهربائي بتاتا •

ولابد لك ان تعلم — أخي القارىء — ان تخطيط القلب الكهربائي لا يعطي اجابة تلقائية عما اذا كان الشخص قد سبق ان اصيب بنوبة قلبية أم لا • والطبيب وحده هو الذي يعرف كيف يقرأ الرسم أي (التخطيط) ويتفهمه • والواقع ان رسم القلب الكهربائي للاشخاص الاصحاء يختلف الى حد ما بين شخص وآخر • ولذلك فان التغييرات الناشئة عن النوبة القلبية لا تتشابه تماما عند المصابين • هذا وان قراءة تخطيط القلب الكهربائي تتطلب دراسة طويلة وخبرة تامة ومع ذلك فليس من الممكن احيانا كشف اصابة القلب بواسطة آلة التخطيط وحدها • فتشخيص النوبة القلبية يعتمد على التخطيط الكهربائي للقلب وعلى عوامل اخرى عديدة وبدون ذلك لايتمكن الطبيب من الوصول الى التشخيص الصحيح الذي لا يمكن أن يطعن بصحته والذي لايرقى اليه الشك بتة •

كنت تتابع حديثي اليك — أيها القارىء الكريم — حتى وصلنا الى هذا المدى وتود ان تعلم ما يجب عمله بعد أن تحدث النوبة ويتم تشخيصها أليس كذلك ؟ فتعال معي نستمع معا الى الارشادات الواجب اتباعها •

لا شك بأن أول عمل يقوم به الفرد عندما يفاجأ بمرض احد اعضاء اسرته بنوبة قلبية هو الاسراع به الى المستشفى فتطلب سيارة الاسعاف على

عجل وربما تحضر السيارة وينقل المريض بسرعة جنونية ولكن الغالبية العظمى من الحالات لا تستدعي ذلك ، وفي هذه الحالات من الافضل اجراء الاسعافات الاولية في مكان الحادث بدلا من الاسراع بالمريض الى المستشفى حيث ان الشخص المصاب بالنوبة القلبية بالذات لا تستدعى حالته الاسراع به الى المستشفى بتاتا فالقلب المصاب يحتاج أولا وقبل شيء الى الراحـة التامة ، فلابد له من ان يعفى من بذل اى مجهود ، ثم ان القلق والارتياع الذين يصيبان افراد الاسرة وكذلك الاضطراب الذي لابد وان يصيـب المريض من جراء نقله الى المستشفى كلها عوامل تساعد على زيادة عمل القلب العليل ، والالم الذى ينتاب مريض النوبة القلبية يدفعه الى الاعتقاد بان نهايته قد دنت مما يزيد حمل القلب · لذا لاتسرع بنقل المريض الى المستشفى بل احضر الطبيب اولا وهو الذى يقوم بارشادك الى ما يجب عليه عمله بالتفصيل ·

من الارشادات التي يوصي بها في حالة النوبة القلبية وضع المصاب بالفراش فورا ووضع وسادة ثانية فوق وسادته وتحت رأسه لرفعه ثم يفك رباط رقبته ويجب ان يكون وضع المصاب فى الفراش مريحا بقدر الامكان ولا تفكر ان تعطيه دواء ما ولو ان قليلا من الوسكي قد يساعد على تخفيف المه قليلا وعندما يصل الطبيب سيعطي المريض حقنة لتسكين ألمه دون شك ·

اذا حضر الطبيب ورأى ان حالة المريض تستدعي العلاج بالمستشفى فانه لن يقوم بنقله من داره قبل ان يتأكد تماما من انه قد اصبح هادئـا وان حالته قد تحسنت بدرجة تسمح بنقله · ان علاج المستشفى دون شك له مزايا فبامكان الطبيب ان يتبع سير المريض عن كثب ثم ان المريض يصبح تحت عنايةواشراف من هيئة طبية مكونـــة من اطباء ومساعديـن وممرضات ثم انّ المريض في المستشفى سيكون أكثر مطاوعة لارشادات طبية من المنزل ·

اما ان أشار الطبيب بابقاء المريض فى منزله فلابد من ان يتبع نفس نظام المستشفى بكل دقة ان اول عمل يقوم به الطبيب هو تسكين الالـم بالمورفين أو (البيثيدين) وقد يضطر على اعطاء الدواء المخدر عن طريـق الوريد حتى يظهر تأثيره سريعا ·

وفيما بعد قد يصف الطبيب الادوية المخدرة للمريض بعد نقله الى المستشفى من وقت لاخر على شكل جرعات صغيرة وقد لايركن الى هذه الطريقـة ·

وقد يصف الطبيب للمريض في الايام الاولى من النوبة القلبيـــة الاوكسجين ويحدث الاوكسجين عادة تغيرات حاسمة حيث يصابه الكثير من مرضى النوبة القلبية بزرقة فى الوجه فاذا ما تنفسوا الاوكسجين رجع

لونهم الاحمر السليم ثانية في ظرف ثوان معدودة ٠

وللاوكسجين تأثير فائق اخر فهو يبطيء نبض القلب الى مستواه الطبيعي ويرفع ضغط الدم المنخفض اثر النوبة القلبية الى مستوى مأمون وسرعان ما يصبح ضغط الدم طبيعيا بفضله ٠

وان افضل طريقة لاعطاء الاوكسجين هي خيمة الاوكسجين ولو ان من الجائز اعطائه بواسطة كمامة او قسطرة انفيه كذلك ٠

تعتمد عادة ــ مدة علاج المريض بالاكسجين ــ على حالة المريض وغالبا لاتزيد مدة العلاج به عن أربعة أو خمسة ايام ومن النادر ان يستمر العلاج الى الاسبوع الثاني ٠ اما الراحة فما زالت افضل علاج وافضل سبيل يستعمله الاطباء لمساعدة المريض على تخطي المرحلة الحرجة من مرضه ٠

ويسمح للمريض عادة بمغادرة فراشه بعد راحة تامة مبدئية قدرها اربع وعشرون الى ثمان وعشرون ساعة بعد الاصابة بالنوبة القلبية أقول يسمح له بان يستند على مساعدين حتى يتمكن من الجلوس ثم يحملانه بكل رفق الى مقعد مريح بجوار الفراش ٠ ومتى شعر بملل أعيد ثانية الى الفراش دون ان يتعرض لاقل جهد ويكرر ذلك يوميا على أن لا يسمح للمريض بالمشي بتاتا فهو يمنع حتى من الخطوات المعدودة ٠ وبعض الاطباء لا يسمحون بنقل المريض الى المقعد المريح ولا يسمحون له بالانتقال من فراشه باي شكل كان مطلقا ٠

أما المدة اللازمة لشفاء الموت (الاحتشاء) الحادث في القلب من جراء الانسداد بعد حدوث النوبة فهو يختلف بين مريض ومريض ويقدر وسطيا بستة اسابيع يرتاح خلالها المصاب راحة تامة مهما كانت النوبة بسيطة ٠

ان المريض بالنوبة قد لايتبرز في اليومين أو الثلاثة الايام الاولى التي تلي النوبة وهذا أمر لا أهمية له أما بعد ذلك فيعطي حقنة شرجية كل ثاني يوم وقد يصف الطبيب ملينا خفيفا له ٠

ولا يسمح للمريض بالاستحمام في الحوض (البانيو) لمدة الخمسة اسابيع الاولى من النوبة وتقوم الممرضة بعمل حمام للمريض في فراشه في الاسابيع الثلاثة الاولى وبعدها يتمكن المريض من الاستحمام في فراشه بنفسه اذا لم يمانع الطبيب لسبب ما ٠

يعتبر المريض في بداية الاسبوع السابع قد قطع شوطا كبيرا نحو الشفاء ويمكن اعتباره ناقها حيث قد وصل الى المرحلة التي يسمح له فيها بالرجوع الى عمله تدريجا حتى يصل الى نظام حياته الطبيعي ٠

قلنا في حديثنا عن بداية النوبة القلبية بان المريض تنتابه اشد الالام مع شعور بدنو الاجل وأقتراب الموت ولكن من حسن الحظ ان جسم الانسان وذهنه كذلك شديد المقاومة بطبيعة تكوينهما ، فحالما يسكن الالم ويسترد المريض بعض قوته يتغلب على الشعور بالموت الذي كان قد استحوذ عليه بادىء الامر ٠

ومن الامور الهامة الواجب تطبيقها اثناء قضاء المريض فترة العلاج والراحة في الفراش هي تحديد الزيارات له في الاسبوع الاول وان سمح لزملائه بزيارته فلتكن الزيارات قصيرة ومتقطعة وان لايدور الحديث فيها حول مهنتهم أمام المريض خوف تعكير صفو نفسه لان الراحة النفسية والعقلية واجبة وجوب الراحة الجسمية تماما •

انتهينا الان من ذكر ما يجب عمله بعد حدوث النوبة القلبية وكان حديثي اليكم موجزا قدر الامكان • والان يأتي دور الادوية المضادة للتخثر ، فلابد لنا ـ لكي يكون البحث تاما ـ من التطرق اليها ولو باختصار ذلك لان المثل يقول « العلم بالشيء افضل من الجهل به » اليس كذلك ؟

قلنا بأن النوبة القلبية تحدث معظم الاحيان نتيجة تكوين جلطة دموية وكلما زاد حجم الجلطة زاد مقدار التلف الناتج عنها ذلك التلف الذي يصيب عضلة القلب • هذا وقد يصاب فرع مصاب بانسداد بسيط بجلطة جديدة بعد شفاء المريض من النوبة الاولى حيث أظهرت الابحاث الحديثة أن دم معظم الاشخاص المصابين بتصلب الشرايين التاجية يتجلط بسهولة وبسرعة اكثر من دم الاصحاء ومنذ حوالي أربعين عاما عندما علم الاطباء بطبيعة مرض النوبة القلبية فكروا باكتشاف عقار جديد يمنع تجلط الدم ولكن لم يتوصل علم الطب لاكتشاف مادة كيماوية طبية تحقق هذه المعجزة وفي الثلاثينات من هذا القرن حدثت كشوف ادت الى الحصول على مثل هذه الادوية •

ومن الادوية المانعة للتخثر التي أمكن الحصول عليها بعد تجارب عديدة (الهيبارين (Heparin) الذي يمنع تجلط الدم بتخريبه وابطاله سلسلة التفاعلات الكيماوية المؤدية الى الجلطة •

(والديكامارول (Dicumarol) وهذا دواء عجيب يمنع التخثر وجد في كومة قش متعفن • لقد كان اكتشافه اعجوبة بل معجزة وترجع قصة هذه المعجزة الى نحو اربعين عاما مضت تقريبا ، ففي حوالي عام ١٩٢٠ لوحظ موت المواشي باعداد هائلة في مزارع احدى الولايات الامريكية وكان الموت لايصيب الا الحيوانات التي تأكل البرسيم المجفف التالف المتعفن حيث تصاب بنزيف لا يمكن ايقافه يظل مستمرا حتى يموت الحيوان •

وفي شباط عام ١٩٣٣ جلب الفلاح (ادكارلسون) من قرية (ديربارك) بولاية (ويسكونسن) بقرة ماتت له من بين خمس بقرات ماتت في يوم واحد ، جلب جثتها الى مختبر الدكتور (كارل‌بول لاينك) وجلب مع الجثة اناء لبن قد ملئت بدم لايتخثر هو دم البقرة النزيف وكمية من البرسيم الحلو المجفف الذي كان علف هذه البقرات •

وهناك حاول احد الكيمياويين ـ بعد ان روى له الفلاح قصة ابقاره ـ ان يخثر دم البقرة الميتة فلم يتخثر • وهنا اتجه نظر هذا الباحث ـ ولفيف

من زملائه – الى دراسة الحشيش الذي أكلته الابقار وقد ظلوا سنين عديدة يجمعون نماذج من هذا الحشيش – التالف ويحللونها ، وفي عام ١٩٣٩ لاحظوا ان في العشب بضع بلورات دقيقة ظهر أنها مادة اطلق عليهـــا الكيمياويون الان اسم (ديكومارين Dicomarin) واتضح انها تتكون في الحشيش اثناء تعفنه من مادة اخرى تعرف باسم (كومارين) وهي التي تعطي الحشيش الجاف رائحته التي يتميز بها • وقد استطاع الباحثـــون ان يستخلصوا من كومة ضخمة من هذا البرسيم المتعفن ملعقة من هذه البلورات هي المادة الكيميائية التي تحول دون تخثر الدم في الماشية وسرعان ما اكتشف انه يمكن تركيب هذه المادة في المعمل من احد مشتقات الفحم ، وهذا ما يمكن العلماء الان من استخلاصه للاغراض العمليـــة بتكاليـــف معقولة •

وفي عام ١٩٤١ كانت هذه المادة الجديدة ديكومارول Dicumarol معدة لانقاذ حياة الناس واستعملت بعد العمليات منعا لحدوث جلطـــات دموية واذ بنسبة الاصابة بتخثر الدم (جلطة الدم) في الاوردة تنخفض انخفاضا ملموسا • وفي عام ١٩٤٢ بديء باستعمال هذا الدواء للمصابين بانسداد في الشرايين التاجية • وقبل ان يعم استعماله وينتشر الدواء في الصيدليات رأى العلماء بأن اجراء بعض التجارب على هذه المادة الدوائية من الضرورة بمكان فطلب الباحثون مشاركة عدد من المستشفيات في هذه التجارب وسرعان ما اشترك ١٦ مستشفى في عشر مدن مختلفة فى اجراء التجارب على المرضى الذين يتناولون هذا العقار •

قسم المرضى بالجلطة الدموية الحادة الذين يدخلون المستشفيات المشتركة في التجارب الى قسمين القسم الاول هم الذين يأمون المستشفيات المذكورة في الايام التي تواريخها مفردة مثل ١ ، ٣ ، ٥ ، ٧ أي ايام الوتر من الشهر وهؤلاء يعطون الديكومارول اضافة الى التحوطات الاخرى والقسم الثاني هم الذين يدخلون المستشفيات فى الايام الاخرى الايام الشفع ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٨ ••• الخ وهؤلاء يكتفي معهم باعطاء النظام العلاجي العادي الذى كان معروفا من قبل وبعد جمع التقارير من المستشفيات تبين ما يلي :–

كان عدد الذين اجريت عليهم التجارب ١٠٣١ مريضا نصفهم اعطى الدواء والنصف الآخر لم يعط فكانت نسبة الوفاة في النصف الاول في مدة معينة ١٦ بالمئة بينما كانت فى النصف الثانى ٢٣٪ بالمائة اى ان الدواء خفض نسبة الوفيات نحو الثلث • أما نسبة المضاعفات ومن بينها تكون جلطة دموية جديدة فكانت ثلاثة عشر بالمائة في النصف الذي تعاطى الدواء وأثنان واربعون بالمائة في النصف الاخر •

وفي عام ١٩٥٧ عولـــج الاف من مرضى النوبـــة القلبية بعقـــار (الديكومارول) وعقاقير اخرى مضادة للتخثر واصبح من المؤكد ان عدد

العقاقير لا يمكن ان تعطى بالقدر المناسب او بامان مالم يكن هناك خبراء مدربون لاجراء اختبار يهدف الى قياس مادة تعرف باسم بروثرومبين Prothrombin وهي العامل المسبب لتخثر الدم حيث ان الاختبارات اليومية تعلمنا بان البروثرومبين لم يقل مقداره الى حد كبير جدا لانه اذا حدث ذلك فانه يغلب ان تحدث نوبات نزف ٠ واذا لم تقل كمية البروثرومبين الى درجة مناسبة لم يستفد المريض من العلاج ٠

هذا وان من احدث الادوية المضادة للتخثر الكومادين Coumadin ويعتبره كبار الاخصائيين بالقلب المستحضر المثالي المضاد للتخثر ولكن ما زال بعض الاطباء يشكون في قيمة الادوية المضادة للتخثر في علاج النوبات القلبية البسيطة رغم الاحصاءات التي تضمنتها تقارير البحوث بهذا الصدد – معتقدين ان فرص الشفاء لهم في حالة عدم استعمال هذه العقاقير تتعادل – ان لم تفق – فرص شفائهم في حالة استعمالها ٠

هذا وان معظم الاطباء يعتقدون ان العقاقير المضادة للتجلط يجب ان تعطى في الحالات الاتية :

أ – اذا تيسرت للمريض الفحوص المختبرية الدقيقة
ب – اذا كانت النوبة متوسطة او حادة
ج – اذا بلغ المريض الستين أو أكثر
د – اذا كان المريض قد أصيب بنوبات قلبية سابقة مشابهة

وخلاصة البحث نجملها بالقول بان ما يقرأه المرء في الصحف والمجلات يوحي بان نوبات القلب التي تأتي نتيجة انسداد الشريان التاجي خطيرة دائما وقد تؤدي الى الموت في ثوان او دقائق والواقع ان ذلك يبعد كثيرا عن الحقيقة ٠

ان الغالبية العظمى من المصابين – نحو ٨٥ بالمائة منهم تقريبا – لايموتون فورا او خلال شهر بعد النوبة لكنهم يشفون ويتمكنون من مواصلة أعمالهم العادية ونشاطهم الاجتماعي ، وبعض هوءلاء قد تبقى لديهم بعض الاعراض الطفيفة يحتملونها دون ان تعوقهم عن السعي والعمل ٠

ان الانسداد في الشريان التاجي – كما قلنا سابقا باسهاب – يتأتى غالبا بعد زيادة تدريجية في سمك بطانة الشرايين التاجية فينخفض مقدار الدم الواصل الى انسجة القلب خفضا موقتا او دائما فيتأثر جزء من عضلة القلب تأثيرا موقتا او دائما ايضا وفي معظم الحالات يزول هذا الاثر عن طريق الطبيعة نفسها وذلك بخلق وسيلة جديدة لتزويد المنطقة المحرومة من الدم بالدم ٠

وغالبية المرضى يشفون من النوبة ويتمكنون من مواصلة جميع نواحي النشاط العادية دون تغيير ٠ وبعضهم يصابون بعطل يسير او كبير بسبب اعراض ناتجة عن تغير في كفاية القلب ٠ وهذا العطل قد يكون

مستمرا وقد لا يكون كذلك .

وقلة من بين هؤلاء هم الذين تردد الصحف والاذاعات اخبار موتهم المفاجيء وذلك اذا كان الشريان التاجي الذي سدته الجلطة شريانا كبيرا مما يؤدي الى عوز جانب من عضلة القلب كبير من مورده الوحيد (للترميم والطاقة) من الدم الذي هو سر الحياة .

أيها القارىء الكريم ، أخذت بيدك وسرنا معا نتطلع الى اسرار النوبة القلبية من اقصر طريق ولا أريد ان اودعك قبل ان احدثك بايجاز عن القواعد المهمة التي يجب ان يعمل بموجبها كل من اصيب بنوبة قلبية وأبلت من شراكها والتي يمكن ان يطبقها الذين لهم قلوب سليمة غير مريضة ايضا وهم يرغبون ان تبقى قلوبهم صحيحة غير مضطربة ولا مريضة . واليك القواعد :

أ – أقلل من وزنك اذا كان فوق الطبيعي .

ب – تناول وجبات طعامية خفيفة وتجنب الوجبة الواحدة الثقيلة ولتكن الوجبات اربع او خمس عوضا عن ثلاث في اليوم .

ج – خذ قسطك من النوم فالنوم لمدة ثمان ساعات في اليوم من الامور الواجبة الاتباع والتطبيق .

د – اياك والتعب الزائد ، فليس وراء الارهاق الا الندامة فاذا ما تعبت في المسير أو العمل ، فتوقف ذلك أولى بصحتك .

هـ – لا تجادل ولا تعاند ولا تعاكس ولا تناقش الا بمقدار .

و – قلل من القهوة والدخان .

ز – لا تعاكس الريح في مشيك .

ح – لا تأسف على ما فاتك ولا تقلق على مستقبلك وكن قنوعا ولا تحسب حساب الغد فالغد يهتم بنفسه كما يقول الحكماء .

ط – لا تصعد الدرج بسرعة فالصعود السريع غير مأمون .

ى – لا تلعب الرياضة توا بعد تناول الطعام وليختر لك طبيبك الرياضة المناسبة لك .

وختاما لا يسعني الا ان ادعو الله تعالى أن يدخل صاحبي (ب.م) فسيح جناته فقد كان خيرا في حياته خيرا بعد مماته فلولاه لما اقدمنا على كتابة هذا البحث الذى لا يخلو من فائدة للسقيم والسليم على حد سواء .

---

(١) الكبكبة لغة : الجماعة من الناس المرضام بعضها الى بعض (راجع معجم لسان العرب) وكلمة كبكة مستعملة في العامية الموصلية وبعض أنحاء العراق الاخرى : ادخلت الكلمة في الكتابة تمشيا مع طريقتي واسلوبي في ارجاع العامي الى الفصيح .

(٢) راجع كتاب Medicine Today By Marguerite Clark (1960 New York

(٣) استعملت في اللغة العربية حديثا كلمة (جنس) مرادفة لكلمة Genus

اللاتينية وهي معربة والاصح استعمال كلمة زوج : قال تعالى (فجعل منه الزوجين الذكر والانثى) السورة ٧٥ ، الآية ٣٩) ٠

(٤) احزر . حزر كلمة شائعة في اللهجة العامية وهي عربية فصحى ومعناها بالعامية والفصحى واحد ومعنى حزر : خمن (راجع المعجم الوسيط) ٠

من مراجع البحث

أ ـ المراجع الاجنبية

1. Medicine Today By Marguerite Clark (1960 New York.
2. Living Beyond Your Heart Attack By Eugene Mozes (1959) New Jersey.
3. Encyclopaedia Britannica (1960).

ب ـ المراجع العربية

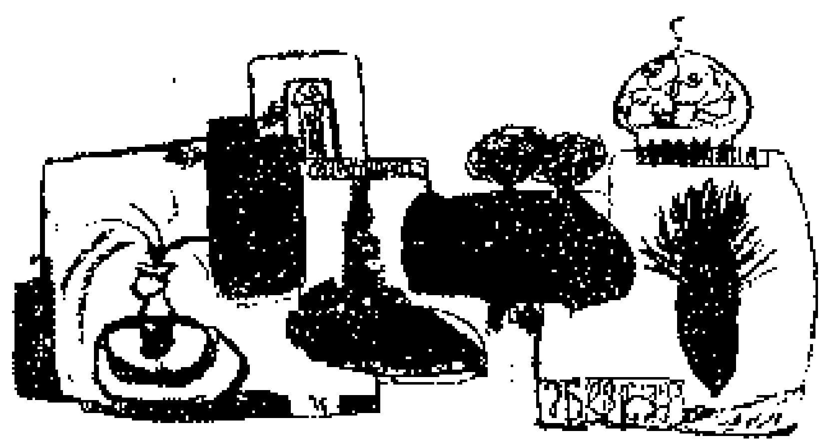
١ ـ الامراض الباطنية لترابو والدكتور مرشد خاطر

٢ ـ أمراض القلب لحسني سبح (استاذ فى كلية الطب ٠ جامعة دمشق وعضو المجمع العلمى العربى) ٠

٣ ـ موجز امراض القلب لحسني سبح والدكتور بشير العظمة ٠

٤ ـ الامراض القلبية لمدنى الخيمى (دكتور واستاذ امراض القلب بكلية الطب جامعة دمشق) ٠

٥ ـ مجموعة اعداد مجلة المهن الطبية (تصدرها نقابة المهن الطبية في العراق) ٠



جبر بوز

خيري العمري

حياته قصة مؤلمة تحفل بفواجع توالت عليه ونكبات تعاقبت عليه فما كاد يودع زوجته الاولى (نزهت) ويشيع ولده (ثابت) حتى داهمه المرض فقاده الى القبر في خطوات ثقيلة بطيئة ٠

وكانت هذه الاحداث خليقة بأن تهدم اعصابه وتطبعه بطابع الكآبة وتشغله عن الدنيا بهمومه لولا انه كان يتلقاها ساخرا متهكما ، بحيث لم تستطع تلك الاحداث على ما فيها من قساوة ان تخفي الابتسامة عن وجهه وتنتزع الضحكة من فمه ٠

* * *

كان ابوه (ثابت بك) ضابطا في الجيش العثماني برتبة عقيد ينتسب الى عشيرة (الكروية) ويسكن في محلة (عباس افندي) ، وامه من (آل طبرة) ، يتنقل والده بين حين وآخر بحكم وظيفته بين مختلف ارجاء الامبراطورية العثمانية ، وقد رزق بولده (نوري) في السليمانية عام (١٨٩٨) ، ميلادية(١) ٠ فكان الولد الثاني اما الولد الاول فاسمه (ناجي) ٠

وقد تعلم (نوري) كما تعلم ابناء ذلك الجيل ، فتدرج من المدرسة الابتدائية الى الرشدية العسكرية الى الاعدادية العسكرية حيث تخرج منها قبل أعلان الحرب العالمية الاولى ، وتوجه الى (استانبول) لغرض الالتحاق بالمدرسة الحربية واكمال تحصيله ٠ الا ان اندلاع الحرب أدى الى غلق المدرسة المذكورة وافتتاح ميادين تدريب بدلها في (آدن قوى) و (بوستنجي) وغيرها ٠

فانظم نوري الى احدى هذه المراكز حيث اكمل علومه العسكرية وتخرج منها ضابط رشاش برتبة ملازم ثاني ٠

وسرعان ما ساهم في الحرب العالمية الاولى في جبهة (جنقلعة) وابلى فيها بلاءا حسنا استحق بموجبه عدة أوسمة ونياشين ٠

وعندما أعلنت الهدنة وبدأ المراقبون بالعودة الى بلادهم ، عاد نوري مع من عاد من زملائه الى العراق ، واختار لنفسه العمل في مدرسة (الجعفرية الاهلية) ، فعين معاونا لمدير المدرسة (الحاج كمال قاسم) وهو شخصية معروفة في الاوساط بفضلها وعلمها ونزاهتها .

واستطاع نوري ان يحقق في هذا الميدان نجاحا ملحوظا ، فنفخ في طلابه روحا جديدة ، وأدخل الى المدرسة نظام الكشافة لاول مرة ، كما وحد زي تلاميذها بعد ان كان خليطا بين العباءة والكشيدة والطربوش !

وقد أثار النجاح الذى أحرزه (نوري ثابت) في مدرسة الجعفرية اهتمام الاستاذ (ساطع الحصري) مدير المعارف في ذلك الوقت ، فشجعه على العمل في المدارس الرسمية فانتقل اليها واشتغل فترة طويلة تنقل خلالها بين مدارس مختلفة وكشف عن مواهبه في بعض المجالات ، فكان مدرسا بارعا في النشيد بحكم احساسه بالموسيقى وأجادته الضرب على العود وتمكنه في التلحين وقد نقل لي صديقه الاستاذ (سامي خونده) ان نوري ثابت كان يحسن ضبط المقامات العراقية ويتذوق الموسيقى التركية عن ادراك وفهم ويتأثر بها وكثيرا ما كان ينصت بانفعال وقد اغرورقت عيناه بالدمع الى نزهة – زوجته الاولى – عندما تنشد اليه بعض الاغاني التركية .

وبهذا الهوس جرب تلحين بعض القصائد الحماسية والعاطفية ، فلحن للطلبة نشيد (بالقنا والقضب شيد مجد العرب) كما لحن قصيدة (يا ليل الصب متى غده) التي كان يحلو له أن ينشدها بصوته العذب اذا ما طاب مجلسه وأختلى الى اصدقائه وأنطلق على سجيته . كما قام في بعض المناسبات بادوار تمثيلية هزلية ، في الحفلات المدرسية . وكثيرا ما مثل دور اليهودي الصراف .

وفي هذه الفترة من حياته شهد العراق طلائع نهضة صحفية متنوعة : سياسية ادبية هزلية .

وقد أستهوت الاخيرة منها (نوري ثابت) وهو الذي كان يعرف منذ صباه بين حلقات الطلبة بروح النكتة والمداعبة .

فأخذ يجرب ريشته في ممارسة هذا اللون من الكتابة الى جانب كتاب هزليين ظهرت محاولاتهم على صفحات الصحف المحلية أمثال علوان ابو شرارة (موسى الشابندر) وكناس الشوارع (ميخائيل تيسي) وملا نصرالدين (خلف شوقي الداودي) فشرع يكتب بتوقيع (جدوع بسن دوخة) في جريدة – الكرخ – للملا عبود الكرخي في شباط ١٩٢٧ وقد أختار هذه الجريدة بالذات لاسباب قال فيها :

(رأيت المنورين من القوم يفتكرون في النهوض والاخذ بأيدي شعبنا الجاهل من طرق بعيدة جدا وخيالية لدرجة تترك السبل الهوائية الحاضرة

تحت اقدامها • وبالعربية البغدادية الفصحى (يضربون بالعالي) والشعب الجاهل والاكثرية الساحقة العامة البائسة لايفقهون من هذه الطـــرق ابدا كأن احدهم (اطرش بالزفة) وكأن واحدهم حمال كردي يصغي الى نظرية دارون من الاستاذ الفيلسوف الشيخ (••••••) قدس الله سره فقلت في نفسي : هذا ليس بالصواب (هذا مو بيت الفرس ولا معلـف الحمار) وهؤلاء الكتاب والشبيبة لاتقصد الاخذ بأيدي اكثرية الشـعب والنهوض بمستواه العلمي والعملي بل غاية ما في الامر يريدون ان يعلنوا للناس انهم كتاب وانهم صحافيين وانهم ادباء وانهم شعراء (مصخم ابن عم صانعهم) •

والحقيقة المرة التي لايعرفها هذا القسم من الكتاب ولا يريد ان يسمعها هذا البارتي من الشباب هي (مو كلمن صخم وجهه كال آني حداد!) • اذ ان الواجب الوطني يقضي •• ان انزل الى مستوى العامة فاقف عـلى روحهم وذائهم ثم اصعد شيئا فشيئا ـ بالصلواة ـ حتى اذا ارتفع قسـم رجعت الى الاخر وهلم جرا ••)(٢)

وسرعان ما لفتت مقالات (جدوع ابن دوخة) انظار القراء ، بأسلوبها الرشيق ولغتها الدارجة وموضوعاتها الشعبية التي تتصل بحياة الناس اليومية فتساءل الناس بفضول من هو الكاتب الذي يختفي وراء هـــذا الاسم ؟ وكأني بالسيد نوري ثابت أراد ان يبعد الانظار عنه خوفا مـن الاحراج الذي قد يتعرض له اذا ما عرفت هويته وهو الموظف ، فمضـى يكتب بتواقيع مستعارة أخرى تارة بتوقيع (ج) وطورا بتوقيع (بيـاع شراي) وحينا بتوقيع ـ خادمكم المعلوم ـ بنفس الاسلوب الشعبي الذي انتهجه •

ولعل الرواج الذي ظفر به نوري ثابت في تلك المقالات هو الـذي اغرى (روفائيل بطي) على السعي لضمه الى اسرة تحرير جريدة (البلاد) عندما اصدرها لاول مرة عام ١٩٢٩ ليتولى تحرير باب (هزل وتفكهة) وقد روى نوري ثابت حكاية التحاقه وعمله لاول مرة في جريدة (البلاد) فقال بأسلوبه الخاص (أجتمعت وروفائيل بطي قبل صدور البلاد فيمجلس الرصافي وكنت حين ذاك موظفا في وزارة المعارف ولكن هذه الوظيفة كانت لاتمنعني عن كتابة بعض المواضيع الهزلية باسماء مستعارة مثل (جدوع ابن دوخة) و (خجه خان) و (خادمكم المعلوم) وغير ذلك فقال روفائيل بطي ـ

ـ انا راح اصدر جريدة بأسم البلاد •
ـ موفق انشاء الله •
ـ لكنني اريد معاونتك •
ـ مثل ايش •

ـ مقالات هزلية ـ تحت عنوان (هزل وتفكهة) ٠
ـ ممنون لكن انا لا أكتب ببلاش ٠
ـ يعني تريد فلوس ٠
ـ طبعا وذلك لا لأنني مفلس وأنما اريد ان أعطي درساً لكتاب العراق في ان الكاتب لا يتعب قلمه ببلاش ٠
ـ انا حاضر
ـ أشكرك ٠
ـ وهكذا اتفقت مع الاستاذ بطي فصدرت البلاد وهي تحمل في عددها الاول في ١٥ تشرين اول / مقالا هزلياً عنوانه (كل شيء بحسابه) (وبتوقيع أ ٠ حبزبز) وقد أنتخبت هذا الاسم رمزاً للمرحوم (أحمد حبزبز) احد الفكهين المشهورين في بغداد ٠

ومرت الايام وراجت البلاد أحسن رواج وجناب (أ ٠ حبزبز) يوالي مقالاته الهزلية السياسية ٠ واذا بانذار من وزارة المعارف وكان مديرها حينذاك طه الهاشمي فراجعته وقلت لسعادته ٠
ـ شنو هاي سعادة البيك ٠
ـ أنت ليش تكتب مقالات بالجرائد وأنت موظف ٠ ما تعرف هذا ممنوع ؟
ـ نعم هذا خطأ أعترف به ٠٠٠ لكن هسه آمر سعادتكم شنو ؟
ـ لازم تكف عن كتابة المقالات فأما تبقى موظفاً ٠٠ واما تترك الوظيفة وتصير صحفي على طول ٠
ـ تأمر سيدي ٠٠٠ أمتثلت آمر آمري القاسي وتركت الكتابة ٠ زمناً وروفائيل بطي يلح علي وانا بين أمرين : اما ترك الوظيفة وامتهان الصحافة واحترام القانون والتمسك بالوظيفة ٠

وان نسيت فلا انسى انني خرجت ذات يوم من باب المدرسة الثانوية واذا بالاستاذ بطي ومعه محمود رامز واحمد عزت الاعظمي وابراهيم صالح شكر ففاجأني بقوله :
ـ هاي شنو وين مقالاتك ؟
ـ ياب انا موظف واخذت انذار بعد ما اكتب ٠
ـ اتأسف عليك ! بس وين جرأتك الادبية ؟
ـ هسه لا تطيل الكلام عندي مقال عن (المتقاعدين) يسوه عشر ربيات ؟

قال ذلك ودفع عشر ربيات واعطيت المقال غير اسف على مستقبلي في التوظف واتفقنا على تبديل اسم (أ ٠ حبزبز) بتغيره في شكل (أ ـ حبزبوز) ٠٠٠(٣)

* * *

وليس من شك في ان هذه الفترة من حياة نوري ثابت اعني فتـــرة عمله في جريدة البلاد ، قد زادته التصاقاً بميدان الصحافة وشجعته على التفكير بأصدار جريدة هزلية اسبوعية يتولى تحريرها بنفسه يحاكي بها مجلة (قره‌كوز) التي كانت موضع اعجابه الشديد منذ ان اقبل عـــلى مطالعة الصحف فتأثر بها وتشرب بروحها بحكم ثقافته التركية حتى انه كان يقول لصديقه (مصطفى علي) انه كان يفكر بالتركية ويكتـــب بالعـــربية ! ٠

لذلك لم يتلق خبر فصله من وظيفته وهو في رحلة صيف (١٩٣١) بأهتمام ، بل استقبله بما يشبه اللامبالاة فشرب ساعة ان تبلغ به نخب هذا الفصل ! وسارع في العودة الى بغداد حيث قدم الى وزير الداخليـة في ١٣/ايلول/١٩٣١ استدعاء يطلب فيه منحه امتيازا باصدار صحيفة فكاهية فنية اسبوعية ٠ وفي ٢٣ / ايلول / ٣١ وافقت وزارة الداخليـــة على الطلب فصدر العدد الاول منها في ٢٩ / ايلول / ٩٣١ وما كاد يقع بين أيدي القراء حتى لقي أقبالا واسعاً وصفه نوري ثابت في أحدى المناسبات بلغته قائلا « ٠٠٠ في عصر يوم الثلاثاء ٢٩ ايلول ٩٣١ ٠٠٠ خرجت اول قافلة من باعة الصحف من شارع الكنائس رأس القرية واخــذت تشــق عنان السماء بصراخها ٠

ــ جريدة حبزبوز اول عدد

ــ حبزبوز ٠٠ حبزبوز اقرأ جريدة حبزبوز اول عدد ٠

فانتشروا في الشارع ذات اليمين وذات الشمال الى الحيدرخانـــة وجسر مود حتى نفذ ما كانوا يحملونه من الاعداد فرجعوا راكضين الـــى مطبعة السريان وتأبطوا قسما آخر من الجرائد فطاروا بها الى الشـــارع وقد انتهزوا فرصة هذا الازدحام ــ بمناسبة عودة فيصل الاول الى بغداد من اوربا ــ فأحتكر الباعة لا نفسهم ثمن البيع وصاروا ينادون :

ــ حبزبوز العدد بأثنين ٠٠ العدد بثلاث آنات ٠٠ العدد بقران ٠

وفي ظرف ساعتين بالضبط لم يبق من الجريدة التي طبعتها منهـــا اربعة آلاف عدد ولا تلف واحد في المطبعة ٠ ولا ننكر اننا ندمنا على عـــدم اذعاننا لنصائح بعض الاصدقاء المجربين وفي مقدمتهم ابراهيم حلمي العمر الذي قال في حينه اطبع عشرة الاف عدد ولا تخف ؟ » (٤) ٠

* * *

كانت جريدة (حبزبوز) لونا جديدا في الصحافة العراقية انفردت بلغتها العامية وموضوعاتها الشعبية وتميزت بما تميز به (حبزبوز) من اسلوب خاص به يجعله نسيج وحده بين كتاب الفكاهة والهزل الذيـــن عالجوا هذا اللون من الكتابة بحيث وصفه (ياسين الهاشمي) في أحدى الاندية بقوله (انه يجيد في وصف مجتمعنا واخلاقنا ابدع وصف) وكان

نوري ثابت شديد الاعتزاز بهذا الوصف وقد كتب يقول عن التقريظ انه (وسام الهاشمي) •

وقد استطاع هذا الكاتب بما يملك من مواهب ان يصور أصدق تصوير المجتمع العراقي بمختلف بيئاته يصور الموظفين المتقاعدين من بقايا عهد العصملي الذين كانوا يقضون اوقاتهم في قهوة (عارف آغا) في لعب (الدومنه) وانتظار عودة السلطان الى بغداد ويصور الشقي البغدادي (ابو جاسم لر) في عربداته وشقاواته في (الميخانات) ويصور المرأة العراقية العامية في ايام الكسلات والزفات والمآتم والذهاب الى الحمام ممثلة بـ (خجة خان) ولا شك ان ذاكرة (نوري ثابت) قدوعت منذ طفولته الروايات الكثيرة التي يتناقلها المعمرون والمعمرات عن (الحاج احمد اغا) أو عن العهد العصملي وما يحفل به من طرف فاجتمعت لديه ذخيرة لا ينضب معينها من هذه الطرف وقد سعى الى تنميتها وتغذيتها في مختلف الظروف ، فقد روى لي (سامي خوندة) ان نوري ثابت كان يقصد زيارة المقاهي البلدية في مختلف الاحياء الشعبية في (ابو شبل) والكولات والعوينة وباب الشيخ والطاطران ليتيح لنفسه فرصة الاختلاط باكبر عدد من الاصناف من : الشقاة والمتقاعدين الافندية والمطيرجية والحشاشة والعربنجية والمجارية وغيرهم بحيث يشاركهم في حوارهم ونقاشهم وشرابهم وماكلهم • وقد ساعده ذلك على النجاح في تقمص شخصياتهم والتكلم بلغتهم والتعبير عن منطقهم وقد بلغ الهوس في (نوري ثابت) الى حد السفر الى المدن النائية اذا ما بلغه وجود شخص يحفظ الروايات الشعبية والامثال العامية وقد أتفق له ان سافر الى (هيت) ليلتقي مع (شهاب القهواتي) ويستمع الى الحكايات القديمة او يأخذ منه على حد التعبير البغدادي (كفتات) يحفظها في ذاكرته ويقدمها الى قرائه في احدى المناسبات •

كما كان يستقصي بنهم عجيب اخبار ظرفاء بغداد سواء منهم الاموات امثال (عبد الله الخياط) و (احمد حبزبز) او المعاصرين الذين كان يسعى الى اللقاء بهم امثال (عبد المجيد الشاوي) و (سالم محمد آغا) و (احمد القيمقجي) و (جميل الزهاوي) وقد سجلت مجلدات حبزبز لهم كثيراً من النكات والملح •

* * *

لقد أستهل حبزبوز العدد الاول ببيان خطته بهذه المقدمة :

« باسمك اللهم » •

من (أ حبزبوز) الى الشعب العراقي الكريم :

الحمد لله والصلاة على خير خلقه وبعد يعلم القراء انني اكاتب الصحافة العراقية منذ بضع سنوات باسماء مستعارة مختلفة فكان منها اسم

(أ • حبزبوز) ومن بعد ان ضايقتني الجهات المعلومة تقلص هذا الاسم فصار (أ • حبزبوز) وهو الذي على ما أعلم قضى على حياتي في الوظيفة ومن اجل ذلك اتخذته عنوانا لصحيفتي هذه وكنت منذ زمن بعيد أشعر بالرغبة عن حياة التوظف راغبا في الصحافة ولا سيما الفكاهية منها والحمد لله على الخاتمة •

خطتي : ان هذه الصحيفة فكاهية أدبية فنية بحتة (على طول) لا علاقة لها (توبة استغفر الله العظيم) بالسياسة والاحزاب •• »

وبعد ان يذكر ابتعاده عن الاحزاب بقول (••• انا حبزبوز فقط خادم الجميع وساع وراء تحسين صحيفتي التي ستكون فكاهية فنية فقط لعلي أصل بها الى حد الصحف المصرية والسورية مثل (الفكاهة) و (الكشكول) و (الدبور) و (المضحك المبكي) ••• وعلى الله وحده اتكالي وهو خير معين ونصير •

أ• حبزبوز

ومضى يعالج في صباح كل يوم ثلاثاء موضوعات اجتماعية وسياسية شتى بأسلوبه الساخر ولغته الدارجة المطعمة بالامثال العامية والمعززة بالحكايات الشعبية التي يستهل بها مقاله ثم ينتقل بعد ذلك الى الموضوع الذي يتناوله ، فسخر من عقلية الموظفين من بقايا العهد العصملي او الموظفين الهنود الذين جاءوا مع الحملة البريطانيه وتولوا عددا من الوظائف فكان ينشر الكثير من سخافاتهم وأسلوبهم المضحك في المخابرات الرسمية كما كان ينشر قوائم باسمائهم مع بيان رواتبهم تماشيا مع حملات الصحافة الوطنية التي أستهدفت تطهير الدوائر منهم بغية أفساح المجال للعناصر الوطنية •

وتهكم من عادة الالقاب التي ورثها العراق عن العهد العثماني ، وانتصر للموظفين المذيلين وطالب بانصافهم كما رسم للازقة والحارات القديمة صورا قاتمة استهدف من ورائها العناية بها وانقاذها من الاوساخ ووقف الى جانب الشعب عندما قام بالدعوة الى مقاطعة الكهرباء عام ١٩٣٣ •

لقد ضمت جريدة حبزبوز على قلة صفحاتها التي لاتتجاوز الثمانية من القطع الصغير ، ابوابا مختلفة منها باب (س و ج) وهو عبارة عن أسئلة واجوبة ظريفة وباب (على هامش الصحف المحلية) يتعرض فيه المحرر لافتتاحيات الصحف بتعليقات موجزة تنطوي على المداعبة • ومنها باب (قنابل حبزبوز) و (حبزبزيات) تضمنت موضوعات مختلفة في السياسة والاجتماع وباب (مذكرات خجة خان) التي يصور فيها مجالس النساء العاميات وتقليد لهجتهن العامية بما يعكس تفكيرهن وعقليتهن •

وقد لاقت هـــذه المذكرات بصورة خاصة رواجا واسعا ، دفـع بجريدة (الكرخ) الى محاولة تقليدها وكتابة مقالات تنهج فيه نهجها وبنفس التوقيع مما أثار غضب (حبزبوز) فاستنكر ذلك الاعتداء ونبه القراء اليه ووعدهم بطبع تلك المذكرات في كتاب خاص (٥) ٠

وتحت عنوان (اياغايشي) نشرت (حبزبوز) لقطات ساخرة يلتقطها من الشارع بنظرات نافذة ٠

وبباعث من عناية (حبزبوز) بكـل ما يتصـل بالادب الشـعبي العراقي ، نشر لاول مرة فصولا ضافية من كتاب مخطوط للمرحوم معروف الرصافي (دفع المراق عن كلام أهل العراق) تناول فيه الامثال العامـة البغدادية التي تدور على السنة العامة بالشرح والايضاح ٠

لذلك حفلت (حبزبوز) بحكم لغتها العامية بتعابير ومفردات بغدادية قديمة كانت تلوكها السنة العوام من قبل واندرست الآن أو كادت ان تختفي بحكم التطور الذي أصاب اللغة الدارجة ٠

وقد اعطت هذه الميزة أهمية خاصة لجريدة (حبزبوز) بحيث جعلتها تصلح ان تكون مرجعا هاما ليس فقط لمن يريد ان يتصدى لدراسة الادب الشعبي أو أدب الفلولكلور بل ستكون مرجعا لمن يريد ان يدرس تطور اللغة العامية في بغداد ٠

ولعل جريدة (حبزبوز) من الصحف الاولى أدخلت فن الكاريكاتور الى الصحافة العراقية ، فسجلت بذلك خطوة هامة في تاريخ الصحافـة عندنا ٠ واذا كانت تلك الصور لم تبلغ ــ كما ذهب رفائيل بطي ــ مستوى رفيعا في ذلك الفن أو ان بعضها كما هو واضح مقتبس من المجلات التركية مثل (قره كوز) و (جم) و (آغ بابا) والمجلات المصرية واللبنانية مثل (الفكاهة) و (الكشكول) و (الدبور) بسبب حداثة هذا الفن وندرة العناصر التي تمارسه فأن ذلك بطبيعة الحال لايجرد الجريدة من هذه الاهمية ٠

فقد أعتمد نوري ثابت على عدد من الشباب الذي زاول فن الكاريكتور وقام بمحاولات أولية فيه مثل (سعاد سليم) و (عبدالجبار محمود) و (محمود ابو طبرة) ، فقدموا عدة صور كاريكاتورية حقق بعضها نجاحا بما كان يعكسه في بعض المناسبات السياسية من (دلالة) ٠

ولعل قراء حبزبوز ما زالوا يذكرون كيف نشر في معرض حملاته اللاذعة على المجالس النيابية صورة بمناسبة حل أحد المجالس تصور نواب المجلس المحلول وقد استولى الوجوم عليهم وقد حمل كل منهم أمتعتـه وحقيبته يودع رفيقه ويتساءل عن مصيره في الدورة الجديدة ؟ وقد نشرت تلك الصورة وكتب فوقها المثل العامي (يا حلوين الشوارب وين هل نية ؟)

وعندما صدر قانون المطبوعات عام ١٩٣١ استعان حبزبوز بالرسوم

الكاريكتورية في مكافحته ، فأصدر عددا نشر فيه ثلاث صور هزلية تعكس مبلغ ما تعانيه الصحافة الهزلية من عقبات وفي أحداها تمثل حبزبوز وقد طمست السدارة في رأسه بحيث غطست أذنيه من شدة (الكفخ) وكتب تحتها هذا ٠

كـل يوم كفخـة تـكفخني   ويـح رأس مزقتـسه الكفخ !

وليس من شك في أن جريدة حبزبوز شأنها شأن الصحف الصريحة في معالجة الامور عانت كثيرا من المصاعب سواء بسبب قانون المطبوعات الذي تضمن الكثير من القيود او بسبب ضيق الصدور في تلقي النقد والمداعبة ٠ وبحكم ذلك تعرضت في مناسبات عديدة الى الانذار والتعطيل ، بل كاد صاحبها في أحدى المرات ان يتعرض الى القتل عندما رماه أحد الموتورين بست رصاصات اخطأته وأصابت آخر بدلا منه ٠

وقد شنت جريدة (حبزبوز) حربا شعواء على المستر (سمرفيل) المستشار الانكليزي في وزارة المعارف وفضحت السياسة الاستعمارية التي كان ينتهجها لاسيما عندما حاول عقد مؤتمر للمعلمين في نيسان ١٩٢٢ ، مما اثارت غضبه فكتب الى رئيس الوزراء (نورى السعيد) يشكو اليه الجريدة ويطلب باتخاذ الاجراءات ضدها(٦) ٠

ولطالما عبر حبزبوز عن المصاعب التي يواجهها في سبيل اصدار الجريدة فكتب مرة بعنوان (بليتنا) يقول : (٠٠٠ بلية عظمى بلية الكاتب الهزلي في هذه البلاد ٠٠ على أن ضميري يشهد الله لم يؤنبني لحد هذه الدقيقة على ماكتبت اما الاشارة والتلميح اما سوء التفسير والاشارة فحدث عنها ولا حرج يشطح القلم فيذكر على سبيل الفكاهة ولع خضر العجاج بأكل الباجة مثلا وهناك الطامة الكبرى اذا يظهر (٠٠٠ الباجه‌جي) ويقـول :

ـ هذا حبزبوز ليش ديشير الى أسمي !

وقد نصف الاطفال يلعبون في الازقة ويقلدون مواسم العزاء بيوم عاشوراء وينفخون ابواقهم مرددين نغمات (طوطو حيدر طوطو حيدر !) واذا برستم حيدر يأخذ على نفسه هذا التلميح فيقول :

ـ ليش عم بيجيب اسم حيدر ! (٧) ٠

* * *

لقد أصاب حبزبوز بكتاباته الهزلية شهرة واسعة ، فدخلت جريدته الى البيوت والمقاهي بحيث كثيرا ما كان يشاهد المرء بعض العامة وقد التفوا حول شخص يقرأ عليهم ما فيها من طرف ومداعبات وهم يصغون اليه بأعجاب وسرور ، كما تأثر بهذا الاسلوب بعض الكتاب فبذلوا محاولات لتقليده ومحاكاته منهم موفق الزهاوى وصادق الازدي (قرندل) ٠

ولعل جريدة (ابو حمد) التي اصدرها المرحوم (عبدالقادر المميز) في ١٩ تشرين الاول ١٩٣٣ خير نموذج على ذلك ٠

والمقارنة العابرة بين (حبزبوز) و (أبو حمد) تؤيد هذا القول من وجوه متعددة فقد اختار نوري ثابت لنفسه (أ ٠ حبزبوز) وهو شخصية شعبية معروفة بالفكاهة والنكتة والبطولة ٠

واختار عبدالقادر المميز لنفسه شخصية تتماثل من حيث الخصائص والاوصاف مع الاولى هي شخصية (أبو حمد) يقابل باب (قنابل حبزبوز) وباب (س و ج) يشابه باب (فتاوى أبو حمد) وباب (تقويم الجرائد) يماثل باب (تعليقات عن افتتاحيات الصحف) ٠

حتى موضوع العناية بالمجذوبين والبله الذي انتقد (أبو حمد) (حبزبوز) على الاهتمام بها في احدى المساجلات ، قلده بها ومضى يكتب عنهم ويصور اشخاصهم ٠

أما في الصور الكاريكاتورية التي كانت تنشر على الصفحة الاولى فقد كانت متطابقة مع بعض الى درجة كبيرة بحيث كانت بعض الصور التي نشرتها حبزبوز هي نفس الصور التي نشرتها أبو حمد ٠ ومن الطريف أن نذكر أن :

(أبو حمد) كان ينكر أن تكون جريدته التي تصدر صباح كـل خميس ظلا لجريدة (حبزبوز) ويثور اذا لمح أحد الى ذلك وفي أحـــدى المناسبات اشار الى ذلك أشارة ظريفة ، ذلك بأن كتب في حقل (فتــاوى أبو حمد) جوابا على سؤال مفاده : هــل ان جريدتكم فرع من جريـدة حبزبوز ؟ وكان الجواب : يقال انّ أحد القضاة سأل بدويا انت شافعي لو حنفي ؟ فأجابه بكل بساطة يخسه الشافعي ويخسه الحنفي أنا شمري ! أما أنا فيا ايها السائل فأقول لك أنا أبوحمد وكفى ٠

وبسبب ذلك أو غيره قامت في بعض المناسبات مناوشات لاتخلو من طرافة ومتعة بين (حبزبوز) و (أبو حمد) كان بعضها يدور حول موقفهما من حزب الاخاء الوطني ، فقد وقف الاول (حبزبوز) يؤيد هذا الحزب في بعض المواقف ويسخر من خصومه بينما وقف الثاني موقف المعارض المتهكم والمؤيد لخصومه ٠٠٠ على أن هذه المناوشات لم تلبث ان هدأت وعاد الاثنان يسند كل منهما الاخر ويشد من أزره ٠

وما دمنا بصدد الحديث عن أسلوب حبزبوز الكتابي ، فلا بأس من أن نشير الى الجو الذي يعده والطريقة التي ينتهجها في اعداد ما يكتبه من مقالات ٠

ولا شك أن حبزبوز نفسه خير من يصف هذه الطريقة ، فقد كتب مرة يقول (٠٠٠ أنا لا أكتب في النهار مطلقا لان النهار سيما في شارع المتنبي وادارة جريدتي اية من آيات الضوضاء لكثرة مسرور السيارات

والعجلات ولكثرة المراجعين ولكثرة دقات جرس التلفون ولكن اذا جاء الليل فمن عادتي ان أنام مبكرا وانهض في الساعة الثالثة واترك فراشي وأشرب الماء واجلس وراء مكتبي وأمسك القلم والقرطاس فأكتب لقراء حبزبوز ما يوحيه لي سكون الليل ...)(٨) .

* * *

كانت حياة نوري ثابت صراعا عنيفا بينه وبين الموت الذي لاحقه في صباه وشبابه وكهولته مرات عديدة .

واجهه في عام ١٩٠٤ عندما غرق في شريعة السيد سلطان علي وكادت مياه دجلة ان تبتلعه لولا ان انتشله أخوه ناجي ثابت ، ولاقاه في عام ١٩٠٦ عندما سقط من ظهر البعير بين العجير والاحساء ومر فوقه أكثر من عشرين بعير وكاد ان يموت لولا ان الجنود الاتراك بادروا الى انقاذه .

وتعرض له عام ١٩١٦ عندما أصيب في قفقاسيا برصاصة في فخذه الايمن ، وصادفه مرة أخرى عندما تدحرج من ظهر الحصان في استانبول فكسرت يده اليمنى من المرفق .

وكاد في عام ١٩٣٠ ان يأتي عليه عندما رماه أحد الاشخاص بسمت طلقات اخطأته .

وأخيرا جاءه في شكل مرض تسلل اليه من زوجته الاولى (نزهة) التي أصيبت بالسل ، فأخذ ينخر في رئتيه وينشب فيها اظفاره حتى تمكن منه وقاده في بطء الى القبر مصابا بداء السل بعد ان خلف وراءه زوجته الثانية مصابة بنفس الداء . وقد قاسى (نوري ثابت) في أواخر حياته من هذا الداء ولكنه بالرغم من ذلك ، لم يتخلف عن اداء واجبه الصحفي ويتقاعس عن القيام بأعباء الرسالة التي أخذها على عاتقه . فبقي سبع سنوات يصارع المرض ويكافح النكبات التي توالت عليه من وفاة زوجته الى موت ابنه (ثابت) الى غيرها فظل يكتب وهو يسعل دما ويزحف الى القبر ليسلي قراءه ويمتعهم في الوقت الذي يتجرع فيه الآلام .

وحاول عبثا أن يستعين بالخمرة على مكافحة همومه حتى اسرف وأدمن ووافته منيته في ١٢ تشرين الاول ١٩٣٨ .

وبعد فترة قصيرة لحقت به زوجته الثانية وهي بنت خالته بنفس الداء الذي مات به .

وقد دفن في جامع محلة (بني سعيد) وقد كتبت على ضريحه هذه العبارة « هنا مرقد الكاتب الهزلي الشهير الوطني الصميم المرحوم الحاج نوري ثابت صاحب جريدة حبزبوز ولد سنة ١٣١٦هـ وتوفي يوم الاربعاء ١٧ شعبان سنة ١٣٥٧ » .

(١) ذكر روفائيل بطي في مجلة الفكر الحديث عدد (٣) لشهر كانون الاول ١٩٤٥ ان ميلاده (١٨٩٧) دون أن يذكر المصدر الذي استقى منه هذا التاريخ ٠ الا انه توجد على ضريح حبزبوز عبارة تشير الى انه ولد عام (١٣١٦) هجرية ومات في شعبان ـ١٧ـ سنة ١٣٥٧ وهذا يعني أن ولادته بموجب السنة الميلادية ١٨٩٨ ٠ كما ان نوري ثابت يذكر في الطلب الذي قدمه الى وزارة الداخلية للحصول على امتيـــاز الجريدة في حقل المعلومات ان ولادته ١٨٩٧ (الاضبارة موجودة في وزارة الارشاد) ٠

(٢) جريدة الكرخ العدد (٩) في ١٤/آذار/٢٧

(٣) حبزبوز عدد ـ٣٠٢ـ في ٢١ كانون الثاني ١٩٣٦ ، يصف رفائيل بطي التحاق نوري ثابت بجريدة البلاد بشكل آخر يختلف قليلا عما رواه نوري ثابت ٠ راجع الفكر الحديث عدد ـ٣ـ كانون الاول ـ ١٩٤٥ ٠

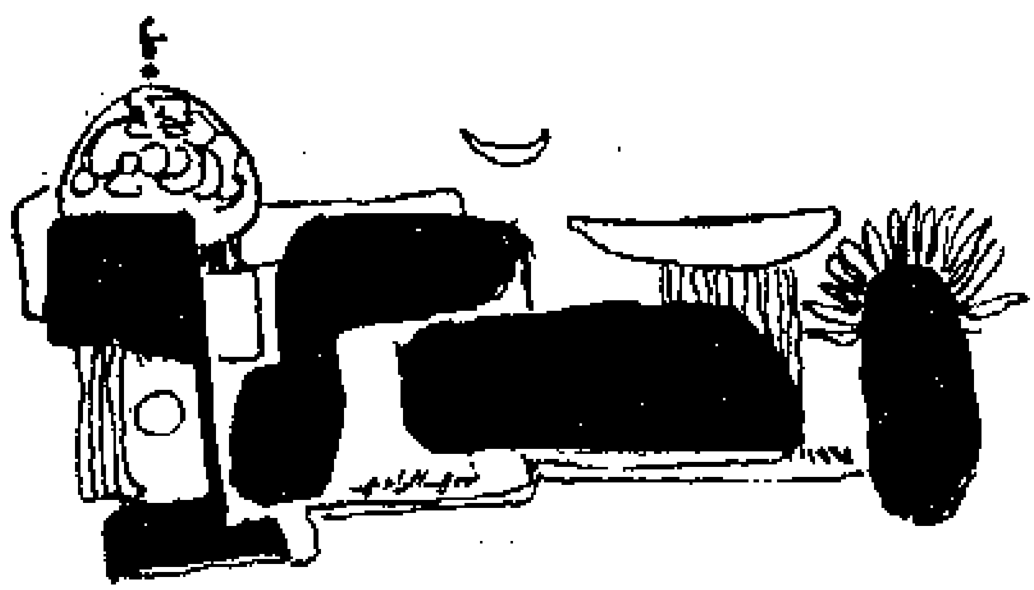
(٤) حبزبوز عدد (٣٠٠) في ٣١ أيار ١٩٣٨ ٠

(٥) حبزبوز العدد ١٠٦ في ٢٨/تشرين الثاني/٩٣٣ ٠

(٦) يوجد في اضبارة جريدة حبزبوز كتاب برقم عدد س/١٤٥ وتاريخ ١٢/نيسان/٢٢ يؤيد هذا ٠

(٧) حبزبوز عدد ١٠٢ ـ ١ تشرين الثاني ١٩٣٣ ٠

(٨) حبزبوز العدد ١٩١ في ٥ تشرين الثاني ١٩٣٥ ٠



الجديد في فلسفة الجمال

عبد الجبار الوائلي

كثيرا ما اختلف الفلاسفة في تعريف الجمال ، أي الصفة المشتركة بين الاشياء الجميلة • ومن هذه التعريفات ما يتوغل في امور ميتافيزيقية بعيدة عن الواقع ، كقول افلاطون : ان الجمال مثال من المثل ، وان الشيء جميل بقدر ما فيه من ذلك المثال • وقول المتصوفة : ان الذات الالهية مصدر كل جمال • ولهذا يتمعنون بالاشياء الجميلة • وقريب من هذين التعريفين قول هيجل : ان الفن نوع من أنواع معرفة الفكرة المطلقة •

اما التجريبيون فيرون الجمال صفة يطلقها الانسان على الاشياء • وهذا قريب من النفعيين الذين يوحدون بين النافع والجميل • وهناك من يربط بين الجمال والتناسب ، ومن يوحد بين الجمال ولياقة الشيء الجميل للغرض الذي وضع من اجله •

وآخر ما قيل في فلسفة الجمال قول « كروتشه » « ان علم الجمال هو علم التعبير » والمذاهب الثانوية لابد ان يكون كل منها قريبا او مشتقا من هذه المذاهب الرئيسية الآنفة الذكر •

علاقة فلسفة الجمال بفلسفة النفس

واعتقد ان سر هذا الاختلاف المزمن بين الفلاسفة في تعريف الجمال هو عدم تعريفهم العقل تعريفا صحيحا • وبدون معرفة العقل وملكاته وعلاقته بعواطفه وغرائزه وافكاره وواقعه لا يستطيع الفلاسفة الاتفاق على موضوع من المواضيع الفلسفية ، ومنها موضوع فلسفة الجمال ، وهذا ما حدا بنا الى القول بضرورة تقديم فلسفة النفس على كل ما عداها من الموضوعات الفلسفية ، لانها مفتاح كل فلسفة ، ولان من لا يعرف عقله العارف لا يستطيع ان يعرف موضوعات المعرفة الطبيعية او ما وراء الطبيعية •

وحيث ان فلسفة الجمال هي البحث في حالة نفسية او موضوع واقعي، او مركب منهما ، فلا بد والحالة هذه من القاء الاضواء على النفس ومعرفة زواياها وخواصها قبل البحث في حقيقة الجمال ، أي الصفة الخاصة التي تشترك بها الاشياء الجميلة •

الملكات العقليــة

من الواضح ان الانسان لا يستطيع ان يقوم بأي عمل بدون ملكــة الارادة • فان تحرك او تكلم او فكر أو احس بشيء ما فلابد ان تكون هذه الاعمال بدافع الارادة او بمشاركتها ، وبدونها لا تتميز هذه الاعمال عــن أية حركة آلية لا تتصف بالحياة ، حتى حركة المعدة والامعاء ، وحركة اليدين عند السير اللاارادية هي حركات ارادية في مبدئها عند اسلافنا الاقدمــين الذين تطورنا عنهم • وعند تكرار هذه الحركات الارادية الرتيبــة عنــد اسلافنا حتى وصولها الينا اعتدناها فاصبحت عادات لا يحتاج تحريكها الى ارادة محركة • وملكة الارادة لا تعمل بدون ملكة الادراك ، اي الاحساس بالموضوعات الواقعية والافكار العقلية • لان الارادة بدون هذه الموضوعــات والافكار لا يبقى لديها ما تعمله ، ولا وجود لها بدون ما تعمله • ولان كل ما تعمله الارادة اما في شيء موضوعي أو شيء ذاتي أو أثر من آثار الاشياء الموضوعية في الذهن •

وكذلك لا غنى للارادة عن ملكة الحافظــة التي تحفــظ صــور الاحساسات الخارجية والافكار الذاتية ، لتقارن الارادة عند قيامها بأي عمل بين ما تريد ان تعمله وبين الافكار المحفوظة لديها عنه • وبدون هــذه الافكار المحفوظة لا تعــرف الارادة اي شيء من الموضوعات الخارجيــة والذاتية ، وعندئذ ينتفي ما يوجب حركتها كالاخذ والرفض ، وهما قوام وجودهــا •

وهكذا نستطيع القول بالنسبة الى ملكة الاستنتاج المفاضلة بــين الاشياء التي لا تقوم للارادة قائمة بدونها • فبدون الاستنتاج لا تعــرف الارادة ما يستحق الاخذ والرفض ، وبدونها تصبح كل الاشياء سواءا لدى الارادة • وهذا التساوي يعدم الدافع الى الاخذ والعطاء ، وبدون هذا الدافع لا تجد الارادة ما تعمله فتسكن كل السكون بل وتنعدم كل العدم • وعليه فما دام هنالك حركة ارادية توجد ملكة استنتاجية مهما كان نوعها وقوتها •

وملكة الذاكرة كذلك لازمة من لوازم الارادة ، وبدونها لا تستطيع الارادة ان تقارن بين الشيء الموضوعي الذي تريده او ترفضه ، والفكرة أو الافكار المحفوظة عن الشيء الذي تعرضه الذاكرة •

فالحافظة تحفظ الافكار لا تعرضها • والاستنتاج تستنتج مما عرض عليها ولا تعرض • وهكذا بقية الملكات كل منها تعمل ما في طبيعتها لا ان تعرض الافكار المحفوظة • لان عرض الافكار لملكات العقل ومنها الارادة من اختصاص ملكة الذاكرة وحدها •

ومن هنا نعلم ان الملكات العقلية خمس ولا غير ، ولا تقوم للعقل قائمة بدون كل منها • وان العقل هو هذه الملكات العقلية الخمس وهي : الارادة والحافظة والاستنتاج والادراك والذاكرة •

فلا وجود للملكات الادراك والحافظة والاستنتاج بدون الارادة المحركة لكل منها ، ولا وجود للارادة بدون كل من هذه الملكات • وهكذا القول في بقية الملكات : لا وجود لكل منها بدون اخواتها •

العواطف وعلاقتها بالعقل

ولو بحثنا في زوايا العقل لما وجدنا فيه غير هذه الملكات العقلية الخمس • اما العواطف والغرائز والافكار فهي نتيجة تفاعل العقل بحوادث الواقع وما لها اصالة العقل •

يرى لامارك : ان الغرائز عمل عقلي في مبدئه للتكيف مع المحيط ، وبعد اعتياده وتكراره على مر الاجيال أصبح طبيعة متأصلة موروثة لا شعورية • بينما يعتقد « دارون » : ان مصدر الغرائز الانتخاب الطبيعي – مع العلم انهما كثيرا ما يخلطان بين العواطف والغرائز – لاعتقاده ان الكائنات الحية عندما تواجه بيئة خاصة لا يبقى منها الا ما يوافق طبيعة هذه البيئة ، والبيئة هي التي تملي على الكائنات شروطها وما يلزم عليها ان تعمله تجاهها • ويرى دارون ان هذه الشروط يقدمها الانتخاب الطبيعي الذي يجهل ما تريد ، كما يجهل الكائن الحي ما يراد منه وما يساق اليه • وبعد ممارسة الكائن الحي اعمالا خاصة جاءت بها مصادفات البيئة العمياء أصبحت غريزة متأصلة لا يحتاج القيام بها الى جهد عقلي مريد •

هكذا نجد دارون غالى في أهمية البيئة حتى انسته ضرورة العقل للحصول على العواطف والغرائز ، ولم يعرفنا بنوع حياة الكائن الحي البدائي قبل اكتساب غرائزه وعواطفه من البيئة وقبل وجود عقله • كما فات « لامارك » ان يعرفنا بنوع هذا العقل البدائي لكائنه قبل ان يحصل على غرائزه وعواطفه بتكيفه مع محيطه • ولم يفهمنا هو ولا « دارون » عن العلامات الفارقة لكل من العواطف والغرائز وصلتهما بالعقل • الا اننا نرى ان « لامارك » أقرب من دارون الى الصواب لاعترافه في مبدئية العقل • ولكننا نزيد على مبدئه هذا بقولنا : ان هذا العقل الاولي هو ملكاته العقلية الخمس الآنفة الذكر • ومن هنا نعلم ان الملكات العقلية هذه سبقت العواطف والغرائز في الوجود • أي ان الكائن الحي البدائي الاول الذي هو أصل الانواع الحية التي تطورت عنه كان ذا عقل خالص ، أي ذا ملكات عقلية بدون عواطف أو غرائز وبعد تفاعل ابنائه وأحفاده بحوادث الواقع تكونت لهذه الاحفاد العواطف السلبية والايجابية •

فعندما توجهت هذه الاحياء لشيء من الاشياء ووجدته نافعا لها ارتاحت له ، ولما تكررت هذه العملية معه ومع غيره من الاشياء النافعة تكونت لهذه الانواع عاطفة الحب مثلا • وعندما توجهت لشيء آخر ووجدته

ضارا لها وتكررت هذه الخبرة مع هذا الشيء وامثاله تكونت فيها عاطفة الكراهية ٠

فالعواطف السلبية كالكراهية والبخل والتشاؤم والشعور بالقبح سببها جميعا ممارسة الحي البدائي وأحفاده للاشياء الضارة بعد تجربة ضررها تجربة عقلية استنتاجية ٠ والعواطف الايجابية ، كالحب واللذة والسرور والسماحة والشبع والكرم والتفاؤل والشعور بالجمال سببها جميعا ممارسة الحي البدائي وأحفاده للاشياء النافعة بعد تجربة فائدتها تجربة عقلية استنتاجية ٠

الغرائز والافكار وعلاقتهما بالعقل

اما الغرائز فهي صدى الانفعالات العاطفية ، أي هي الحركات العضوية نتيجة الحركات العاطفية ٠ ولا غريزة بدون عاطفة ٠

فاكفهرار الوجه وتقطيب الجبين وانتفاخ الاوداج غريزة عاطفة الغضب ، وبناء الاعشاش وضم المولود ورضاعته غريزة عاطفة الامومة ٠ وانطلاق الوجه وابتسامة الثغر غريزة عاطفة السرور ٠ والاشمئزاز غريزة عاطفة الشعور بالقبح ٠ والابتهاج البادي على الوجه غريزة عاطفة الشعور بالجمال ٠٠٠ الخ ٠

أما الافكار فهي مادة الملكات العقلية الحاصلة من الاتصال بحوادث الواقع ٠ أي نتيجة اتصال ملكة الادراك مع اخواتها الملكات العقلية بهذه الحوادث ٠ وكلما زادت هذه الافكار في الحافظة زاد العقل الذي تنتسب اليه هذه الحافظة تطورا ، كما تزداد العاطفة التي تنتسب الى هذه العقل قوة ٠

ولو بحثنا في الذات الانسانية لما وجدنا بها غير العقل الذي هو مجموع ملكاته العقلية ، والعواطف والغرائز والافكار التي هي نتيجة تفاعل العقل بحوادث الواقع ، بدليل اننا لو أزلنا من هذه الذات العقل بملكاته الخمس وما تتبعه من عواطف وغرائز وأفكار لما بقيت هنالك ذات ٠

أما النفس فما هي الا مجموعة العواطف والغرائز المقابلة للعقل في كثير من الاوقات والتي تتغلب عليه أحيانا ولا سيما في أثناء النوم ، ولهذا نقول : ان النفس بعواطفها وغرائزها هي اللاشعور ، أي العقل الباطن ، والملكات العقلية هي الشعور أي العقل الواعي ٠

والافكار ــ كما قلنا ــ مادة العقل بملكاته والنفس بعواطفها وغرائزها ٠ ومن مجموع هذه الملكات العقلية والعواطف النفسية تتكون الذات الانسانية ولا وجود لها بدون محتوياتها المتوحدة فيها ٠ بل ان الذات الانسانية لم تكن بشيء غير رمز لهذه الوحدة بين العقل والنفس ، أي بين الشعور واللاشعور ٠

الشعور بالجمال عاطفة ايجابية

ان هذا التعريف للعقل والعواطف والغرائز والافكار ، يلقي أضواءا ساطعة على فلسفة الجمال ، ويعرفنا : ان الشعور بالجمال عاطفة ايجابية وان الشعور بالقبح عاطفة سلبية ، الاولى نتيجة نوع من أنواع مطلوبات الارادة ، والثانية نتيجة نوع من أنواع مرفوضات الارادة • وذلك كالحب والكراهية ، والسرور والحزن ، واللذة والالم •

مع العلم ان اختلاف نوعية الاشياء الموضوعية هي سبب اختلاف نوعية هذه العواطف ، فعاطفة اللذة والالم سبب وجودهما منافع ومضار جسمية ، بينما السرور والحزن سببهما منافع ومضار نفسية لا علاقة مباشرة لهما بالجسم •

فعاطفة الالم أكثر ايذاءا من بقية العواطف ، لانها تمس حياة الكائن الحي مسا مباشرا وقويا ، وعاطفة اللذة أكثر ارتياحا لانها عنوان سلامة هذا الكائن الحي وقوته ، بينما العواطف الاخرى أخف وقعا لانها لا تمس حياة الكائن الحي مسا مباشرا بحيث تهدد حياته او تساعد على بقاء هذه الحياة •

فعاطفة اللذة أقوى من عاطفة الشعور بالجمال ، لان الشعور بالجمال عاطفة كمالية ، بينما عاطفة اللذة عاطفة ضرورية ، ولا سيما عاطفة اللذة الجنسية ، لانها بمثابة وسيلة من وسائل امتداد الحياة في الاعقاب • وعاطفة الالم الجسمي أقوى من عاطفة الشعور بالقبح لان الاولى قد تهدد الحياة بالفناء ، بينما الثانية لم يكن فيها هذا التهديد ، بل أنها مجرد نقص في بعض متطلبات الحياة الثانوية •

الجمال والدهشة

عند ملاحظة التناسق او اللياقة في شيء ما تحصل لي الدهشة من دقته • وهذه الدهشة تصرفني عن واقعي الذي كثيرا ما يكون مؤلما • وهذا الانصراف عن الواقع المؤلم سبب حصول نوع من الارتياح الذي هو عاطفة الشعور بالجمال •

وهكذا اذا لاحظت هذا التناسق في عمل فني بذل فيه جهد كبير تحصل هذه الدهشة التي تصرفني عن واقعي المؤلم فيحصل الشعور بالجمال • فعاطفة الشعور بالجمال حصلت للانسان ولربما لغير الانسان أيضا تدريجيا من هذه الملاحظات المدهشة • أما سبب عاطفة الشعور بالقبح فهو على عكس أسباب عاطفة الجمال • أي من ملاحظة عدم التناسق ، أو عدم اللياقة ، أو العمل الارتجالي المشوش الذي لم يبذل فيه جهد فني • وعاطفة الشعور بالقبح لا تثير الدهشة ، بل تولد الاشمئزاز والتقزز

البادين على الوجه واللذين هما غريزة عاطفة الشعور بالقبح لعلمنا ان لكل عاطفة غريزة ٠

الجميـل والنافـع

مع العلم ان ليس كل نافع جميلا ، بل كل جميل نافع ٠ بدليل حصول المنفعة لكل العواطف الايجابية ومع ذلك لا تشعرنا بالجمال باستثناء منفعة عاطفة الشعور بالجمال ٠ فقد تثار عاطفة حنان الأم على طفلها مـع شعورها بقبحه ٠

عندما أرى رسما دقيقا لدبوس يضم أوراقه بعضها لبعض أدهش لهذه الدقة التي توصل اليها الرسام ، وهذه الدهشة تصرفني عن واقعي بعض الوقت ٠ وهذا الانصراف عن الواقع يجعلني أحس بالجمال ٠ مـع العلم ان الدبوس واوراقه الواقعيين انفع من رسمهما ومع ذلك لا أشـعر بجمالهما ٠

والجمال على نوعين طبيعي وفني ٠ الا ان الجمال الطبيعي أكثر اثارة فجمال المرأة أكثر اثارة من صورتها الجميلة ، وسبب ذلك هو اشتراك عاطفة اخرى مع عاطفة الشعور بالجمال هي العاطفة الجنسية ٠

وقد يعترض علينا بأننا نشعر بجمال الصورة الجميلة حتـى في الاوقات التي يكون فيها واقعنا مريحا نافعا ٠ فأقول : ان الواقع المريـح النافع لابد ان يكون مشوبا بألم حتى ولو كان ألما وهميا أو بعيدا كتوقـع زواله مثلا ٠ ولحظات التمتع بالصورة الجميلة تبعد عن هذا الألم فتجعل الواقع جميلا جمالا خالصا في تلك اللحظات ٠ أي أن الجميل المدهش يزيد في ارتياح المرتاح ، وهذه الزيادة سر جمال الجميل ٠

فالمنفعة ــ كما علمنا ــ تشترك بها جميع العواطف الايجابية لا عاطفة الشعور بالجمال وحدها ٠ ولهذا لا نستطيع القول : ان المنفعة هي الصفة المشتركة بين الاشياء الجميلة دون سواها ٠ ولو كان ذلك كذلك لشعرنا بجميع العواطف الايجابية شعورا جميلا واحدا ، ولما حصل هذا الاختـلاف بين شعور وشعور ٠ ولو وجدنا الثمرة أجمل من الزهرة لانها أكثر منفعة ، والجمل أجمل من الطاووس لانه أكثر فائدة ، والدبوس الواقعي أجمـل من صورة الدبوس التي تدل على براعة فنية ، ولكن المنفعة صفة تتصـف بها جميع العواطف الايجابية ومنها عاطفة الشعور بالجمال ٠ الا ان الجمال سببه الدهشة الحاصلة عند ملاحظة براعة ما طبيعية أم فنية انسانية ، ومعرفة وتقدير لهذه البراعة ٠

غريزة عاطفـة الجمـال

فالحب عاطفة ايجابية ، والاقبال العملي نحو المحبوب هو غريزة هذه

العاطفة • والكراهية عاطفة سلبية مقابلة لعاطفة الحب ، غريزتها الابتعاد عن المكروه وما يتبعه من الضيق البادي على الوجه • والسرور عاطفة نفسية وغريزتها انطلاق الوجه ، عكس عاطفة الحزن وغريزتها عبوس الوجه وكآبتـــه •

وهكذا نستطيع ان نقول في عاطفة الشعور بالجمال : انها عاطفـــة ايجابية وغريزتها البهجة الظاهرة أو المكتومة ، والقبح عاطفة ســـلبية وغريزتها الاشمئزاز البادي أو المكتوم •

وكل عاطفة من العواطف السلبية أو الايجابية لابد من علة لوجودها أما علة وجود عاطفة الجمال الايجابية فهي الدهشة التي تصرف المدهوش عن الواقع من براعة العمل الفني أو الشيء الطبيعي • أي ان الصفة التي تشترك بها الاشياء الجميلة هي الدهشة • وفي لحظة حصول الدهشة يتم الانصراف عن الواقع المؤلم • وفي هذه اللحظة نفسها يحصل الشعور بالجمـــال •

رد مذاهب الجمـــال

وكما ان المنفعة وحدها لا تكفي للحصول على الجمال ، كذلك التناسب وحده لا يوجد الجمال • فاننا لا نتصور الشيء جميلا بعد بحث وحساب وتقدير • فان الشيء الجميل يأسرنا على الفور دون انتظار لقياس أبعاده أو معرفة مقدار تناسبها • ولهذا فلا يلزم ان يكون طول الرأس خمس طول القامة كلها • فالزهرة توصف بالجمال مهما اختلف طولها بالنسبة الى طول ساقها •

ولا يمكن ان يقال ان الجمال مرادف للياقة الجسم ، فهل يصح وصف الخنزير بالجمال مع ان كل عضو من اعضاء جسمه يؤدي وظيفته على خير وجه • وما هو الرأي في جمال القنفذ بأشواكه القبيحة التي تحفظه من هجمات اعدائه ؟

وكذلك التعبير لا نستطيع ان نعتبره مرادفا للجمال كما قـــال « كروتشة » لاننا كثيرا ما نجد حالات معبرة ولكنها ليست جميلة • فاكفهرار وجه الغاضب لا نصفه بالجمال مع انه يعبر اكمل تعبير عن عاطفة الغضب• وهكذا تقطيب الجبين المعبر عن عاطفة الحزن خير تعبير لا يوصف بالجمال • فلم يبق لدينا الا القول : ان العمل الذي يدهشنا فنيا كان أم طبيعيا يولد الجمال ، لانه يصرفنا عن الواقع المؤلم فيحصل نوع من أنواع الارتيـــاح الذي هو عاطفة الشعور بالجمال •

الفرق بين الدهشة والاعجـاب

ومن اللازم ان نفرق بين الدهشة والاعجاب • فالدهشة عاطفية تثير

فينا عاطفة الشعور بالجمال • اما الاعجاب فهو حالة عقلية ولا دخل له بعاطفة الشعور بالجمال • وذلك كاعجاب المعجب بدقة الساعة المحكمة الصنع وبراعة الحكمة الصادقة ، فقول المتنبي :

« واذا كانت النفوس كبارا   تعبت في مرادها الاجسام »

يثير اعجابنا العقلي فنقول انه حكمة صادقة معجبة ، ولا نقول جميلة وبعكس قول الشريف الرضي :

« وتلفتت عيني ومذ بعدت   عني الديار تلفت القلب »

الذي لم يكن صادقا صدق حكمة المتنبي في البيت السابق ، ولهذا لا يرضي عقلنا ولكنه يرضي عاطفتنا ، أي عاطفة الشعور بالجمال ، لانه يذكرنا بالحب والديار والفراق والشوق بتعبيره الفني المدهش ، وكلها أمور عاطفية ، بينما بيت المتنبي لا يذكرنا بغير حقيقة واقعية علمية لا علاقة لها بعواطفنا لتثير فينا عاطفة الشعور بالجمال التي هي عاطفة من العواطف •

أين الجمال في هذه الحقيقة الهندسية « المستقيم أقرب خط بين نقطتين » بينما نجد الجمال متوفرا في قول الرسول الاعظم « جدع الحلال انف الغيره » مع ان ما تؤدي اليه ألفاظه بعيد عن الواقع •

فالعبارة الهندسية الآنفة الذكر معجبة لا جميلة ، لانها تعجب العقل المستنتج ولا دخل لها بالشعور بالجمال العاطفي • بينما الكلمة الاخيرة تثير عاطفة الشعور بالجمال ، لما فيه من فن مدهش لا علاقة له بالعقل ولا يصدقه •

الفن الصناعي والفن الجمالي

والفن على نوعين : **الفن الصناعي** الذي يرضي حاجة عملية يقدرها العقل ، **والفن الجمالي** الذي يرضي حاجة نفسية عاطفية •

فالفن الصناعي هو : صناعة الآلات الدقيقة ، والنثر العلمي ، والشعر الحكيم ، حتى الخطط الحربية المحكمة يمكن تسميتها بالفن الحربي • والدقيق المحكم من هذا الفن يثير اعجابنا العقلي لا دهشتنا العاطفية •

أما الفن الجمالي فهو ما يبعدنا عن واقعنا ان امعنا النظر فيه لدقته والجهد الذي بذل فيه • على ان يرضي حاجة نفسية عاطفية تبعدنا عن واقعنا المؤلم الى اللاشعور المريح المبهج • كالخمرة التي تبعد المخمور عن واقعه لتريحه • ومن هنا نعلم ان الفن الصناعي معجب لانه يدخلنا في الواقع الذي هو مجال العقل أي الشعور ، بينما الفن الجمالي مدهش لانه يخرجنا عن هذا الواقع الى النفس اي العواطف أي اللاشعور •

الجمال الفني والجمال غير الفني

والجمال قد يكون فنيا وقد لا يكون ، فالجمال الفني هو الذي يبذل فيه جهد انساني ؛ كالرسم والنحت والموسيقى والشعر العاطفي ، امـــا الجمال غير الفني فهو الجمال الطبيعي الذي لم يبذل فيه جهـــد ، الا اذا تخيلناه من صنع قوة حية خفية تصنع هذا الجميل بارادة وتقدير بجهد أو بغير جهـــد .

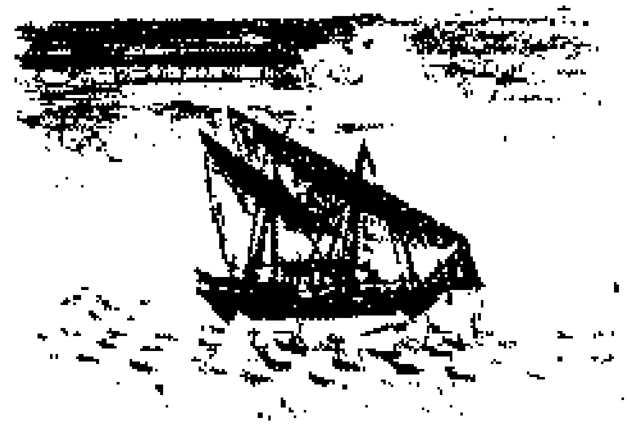
الفرق بين الجمـال والجـلال

واذا كان الجمال هو الدهشة المريحة التي تصرف عن الواقع المؤلم ، فالجلال هو الهيبة من نوع من انواع الواقع .

فالجبل العظيم ذو المنحدرات العميقة والتضاريس الحادة يدعو الى الشعور بالجلال . لانه يشعر الرائي بالعجز عن استكناه أسراره او الهيبـة من عظمته . وهكذا الصروح الكبيرة ؛ كالاهرامات الضخمة والمعابد الشاهقة والبحار المحيطة .

وقد يرافق هذا الجلال الشعور بالخوف اذا كان الجليل يتضـــمن الاشياء المخوفة ، اما اذا كان يحتوي امورا فنية جميلة فعندئذ تجتمع فيه الدهشة الجميلة والهيبة الجليلة ، وذلك ما نشعر به عند رؤيتنا المعابـد العظيمة الحافلة بأنواع الفنون الجميلة .

ومن هنا نعلم بوجود ثلاثة أنواع من الشعور : الشعور بالاعجاب من دقة الاشياء العملية ، والشعور بالدهشة الجميلة من دقة الاشياء الفنيـــة العاطفية ، والشعور بالهيبة الجليلة من الاشياء العظيمة المهولة ، طبيعيـــة أو غير طبيعية .



أغنية وسهاد

عبد الأمير جعفر

ـ ١ ـ

أغنيتي تنهل كالمطر
ينساب من ذوائب النخيل تنضح
ويفضح الغروب في الشجر
قصيدة الرحيل في مجاهل الغيوب
وهمسة الوداع تذكي جذوة الاوار
وينعس القمر ..
يذوب في اغنية انتظار ساعة السحر
وفي دمي
تحز مدية الضجر
ودعوة الغريب في فمي :ـ
« فليحضن الاله للنهار دفقة القمر »
« الحب والميلاد والصغار »

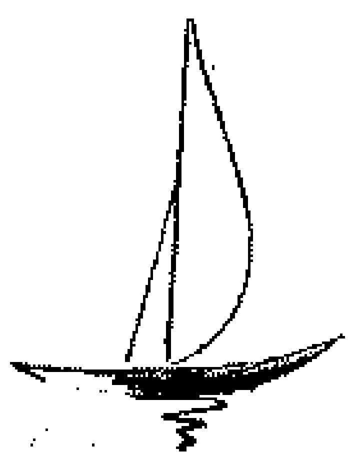
ـ ٢ ـ

متى تعود ومضة القمر
ولذة المبحر في شراعه الجديد
يود لو يطويه ألف مرة ،
ينشره ،
يحدث السمار في غربته

عن لحنه البكر ، فيزجي رحلة السمر :
« قيثارتي تحمل عبء الجرح ، والوتر
وعتمة الدخان والسهاد
وتدفق اللحون ظمأى تشرب القمر
وتستقر عند مرفأ النجوم ،
ترنيمة الاله يرعى الفجر للصغار »

— ٣ —

وقد اعود والجراح في المخاض
اغرق في صدى حزين كالمطر
لاستشف منه هدأة الصباح
وألثم الجراح في « سهاد »*
.. وقد أعود أحمل القمر
هدية للبرعم الصغير ،
في غياهب السفر



(*) سهاد : طفلة الشاعر .

الصورة والوصف في شعر البحتري

جمال الدين الآلوسي

تمهيـــد :

الوصف : في اللغة هو التجميل والتحسين • والوصف عند النحويين يشمل المدح والذم والحسن والقبح •

أما في لغـــة الشعر : فهو تصـــوير الظواهر الطبيعية وتلوين الآثار الانسانية بألوان تكشف عن الجمال وتعرب عن المشاعر وتفصح عن خلجات النفس افصاحا عن الظواهر وتكشيفا عن الخواطر • والشاعر بطبيعته يقظ الوجدان مرهف الاحساس سليم الذوق تؤثر في نفسه المناظر الملونة وتهيج شاعريته الظواهر الخلابة ويأسر لبه الجمال الساحر ويثير وجدانه المشهد الانيق • فاذا تمثل الصورة في نفسه راح يرسمها في مخيلته وطفق يبرزها في شعره واضحة المعالم مجسمة التقاسيم ، دقيقة التصوير زاهية التلوين • وفق قدرته على تعميق ألوانها وتعريض خطوطها واظهار ظلالها وبقدر طاقته الفنية على الابداع وتقبل فنه واستساغة ذوقه لشكلها العام تظهر ارتساماته •

الشاعر المطبوع هو الذي يكشف عن خلجات القلوب وخطرات النفوس وومضات العيون وبسمات الشفاه • مصدر الهامه الطبيعة الخيرة • من شمس وقمر وغدير ونهر ، وورد وزهر ، وصحة وسقم • يتخذ من كل ما يثير المشاعر مادته • يصور الليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس ، والنجم اذا هوى والفتى اذا غوى • يصف البحر حين هاج وتلاطمت اثباجه والنهر اذا فاض وتدافعت أمواجه ، والليـــل اذا طال وتسمرت أبراجسه • يصف الخواطر والاحاسيس ويغوص الى الاعماق فيبرزها صورا ناطقــة بالحس المرهف والشعور الفياض وينقل اليك صورة النفس المكلومة والقلب المعذب يجسم لك الطيف الزائر والخيال المشوق يصف لك تباريح الهوى ولواعج النوى وفرحة اللقاء يبدي ويعيد في تلوين المشاعر حتى ينقلها الى عقلك مجسدة وترى هذه الخواطر صورة حية لهـــا حيز في نفسك ، ومكان في مخيلتك •

والشعر العربي أغلبه وصف ان لم نقل كله أليس هو شعرا وجدانيا ؟ والكشف والتعبير عن الوجدان هو وصف دون ريب •

والشاعر العـــربي عرف الوصف اول ما قال الشعر وعبر به عن مشاهده ومشاعره قبل كل ضرب من ضروب الشعر • عرفه في الجاهليـــة فوصف الناقة والفرس والمرأة وشبهها بالغيد ووصف الأوابد كما وصف الظعن والشوق الى الظعائن ، والتوق الى الحبائب • وعرف هجسات النفس ووقدات الوجــــد ولمحات الافـكار وومضات البرق وكل ما يحيط بطبيعته الفطرية •

قال النابغة الذبياني في وصف الليل :

كليني لهــــم يا أميـــمة ناصب	وليل اقاسيه بطيء الـكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقض	وليس الذي يرعى النجوم بآيب
وصدر اراح الليل عازب همـه	تضاعف فيه الحزن من كل جانب

ووصف امرؤ القيس حربا نشبت بين عقاب وذئب :

كأنها حين فاض الماء واحتملت	فتخاء لاح لهـــا بالقفـرة الذيب
فابصرت شخصه من فوق مرقبة	ودون موقعها منـــه شناخيب
فاقبلت نحوه في الجو كاسرة	يحثها من هوي اللوح تصويب
صبت عليه ولم تنصب من أمم	ان الشقاء على الاشقين مصبوب
كالدلو بتت عراها وهي مثقلة	اذ خانها وذم منهـــا وتكريب
لا كالتي في هواء الجو طالبة	ولا كهذا الذي في الارض مطلوب
فادركتــــه فنالتـــه مخالبهـــا	فانسل من تحتها والدف مثقوب
يلوذ بالصخر منها بعد ما فترت	منها ومنه على الصخر الشآبيب
ثم استغاثت بمتن الارض تعفره	وباللسان وبالشدقين تشـريب
ما اخطأته المنايا قيس انملـة	ولا تحـــرز الا وهو مكتوب
يظل منحجرا منهـــا يراقبهـــا	ويرقب الليل ان الليل محبوب

وزهير يصف حبيبته وصفا حسيا فيقول :

تنازعها المها شبها ودر النحو	ر وشاكهت فيهـــا الظبـــاء
فاما ما فويق العقـــد منهـــا	فمـــن ادماء مرتعها الخـــلاء
واما المقلتان فمــــن مهـــاة	وللـــدر الملاحـــة والصـــفاء

ويصف الظعائن فيقول :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن	تحملن بالعلياء من فوق جرثم
علون بانماط عتـــاق وكلـــة	وراد حواشيها مشاكهة الـــدم
وفيهن ملهى للصديق ومنظـــر	انيق لعـــين الناظر المتوســم

ويصف كعب محبوبته سعاد فيقول :

وما سعاد غداة البين اذ رحلوا الا اغن غضيض الطرف مكحول
تجلو عوارض ذى ظلم اذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول
شجت بذى شبم من ماء محنية صاف بأبطح اضحى وهو مشمول
تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه من صوب غادية بيض يعاليل

ويصف عنترة كتيبة هزمها فيقول :

وصحابة شم الانوف بعثتهم ليلا وقد مال الكرى بطلاها
وسريت في وعث الظلام أقودها حتى رأيت الشمس زان ضحاها
ولقيت في قبل الهجير كتيبة فطعنت اول فارس اولاها
وضربت قرني كبشها فتجدلا وحملت مهري وسطها فمضاها
حتى رأيت الخيل بعد سوادها حمر الجلود خضبن من جرحاها
يعثرن في نقع النجيع جوافلا ويطأن من حمى الوغى صرعاها
فرجعت محمودا برأس عظيمها وتركتها جزرا لمن ناواها

ولم يتطور الوصف في العصر الاموي بل بقي على غرار العصر الجاهلي ينقل الصورة ويعكسها بكل أجزائها وذلك لانه كان عصرا أفاد من الحضارات التي وقع عليها ولم يتمثلها . تمتع بنعمائها وأفاد من فضائلها الا انها لم تؤثر فيه تأثيرا انفعاليا ولم تنقله عن طبيعته العربية . أما العصر العباسي فهو عصر الانفعال والاختمار تأثر بالحضارات تأثرا عميقا فكان الناس في هذا العصر أكثر تمثلا لواقعها وأشد اندماجا لمعطياتها . وقد تأثر الشعراء بروح العصر الذي عاشوا فيه فانتقلت عوامل المدنية الى نفوسهم كما تسربت عوامل الفن وروح الزخرفة والترصيع في المباني التي كثرت فيها النقوش والزركشة والوشي والتطريز في الستائر والاواني ووجهات البناء وتطعيم الارائك بالجواهر وشرائط الذهب وولدوا أنواعا من الزينات المنزلية والحياة المعاشية في المطعم والملبس فهو عصر تعقيد وتوليد فلا غرابة اذا انتقل التوليد والوشي الى الشعراء الذين انغمسوا الى الاذقان في هذا الترف نعموا بالحياة الجديدة ولبسوا الثياب المطرزة وأكلوا في الاواني المذهبة ونادموا الخلفاء والامراء وسكنوا القصور وتزوجوا أو عاشروا الغواني يرفلن بالحلل الموشاة حتى تمثلت هذه الحياة في شعرهم . وكان أهم الموضوعات التي طرقها الشعراء العباسيون هي الموضوعات الجديدة التي لامستهم وعاشوا معها . وأهمها وصف الرياض والقصور ووصف المغنيات ومجالس الخمرة وكانوا لا يقتصرون على نقل الصورة نقلا حسيا بل تعدوها الى تعقيد المعاني وولدوا منها المضاعفات الوجدانية . هذه صورة لابي نواس يصف فيها الخمرة وصفا فيه معاني العصر قال :

قامت بأبريقها والليل معتكر — فلاح من وجهها في البيت لألاء
فارسلت من فم الابريق صافية — كأنما أخذها بالعين اغفاء
رقت عن الماء حتى ما يلائمها — لطافة وجفا عن شكلها الماء
فلو مزجت بها نورا لمازجها — حتى تولد انوار واضواء
دارت على فتية دار الزمان لهم — فما يصيبهمو الا بما شاءوا

وقال أبو تمام يصف الربيع وسنرى وصفا أوضح للبحتري حين نتكلم عن تمثل مشاهد الرياض في شعره :

يا صاحبي تقصيا نظريكما — تريا وجوه الارض كيف تصور
تريا نهارا مشمسا قد شابه — زهر الربى فكأنما هو مقمر
دنيا : معاش للورى حتى اذا — حل الربيع فانما هي منظر
اضحت تصوغ بطونها لظهورها — نورا تكاد له القلوب تنور
من كل زاهرة ترقرق بالندى — فكأنها عين اليك تحدر
تبدو ويحجبها الجميم كأنها — عذراء تبدو تارة وتخفر
حتى غدت وهداتها ونجادها — فئتين في حلل الربيع تبختر
مصفرة محمرة فكأنها — عصب تيمن في الوغى وتمضر
من فاقع غض النبات كأنه — در تشقق قبل ثم تزعفر
او ساطع في حمرة فكأنما — يدنو اليه من الهواء معصفر
صبغ الذي لولا بدائع لطفه — ما عاد اصفر بعد اذ هو اخضر

ويصف ابن الرومي قوس السحاب فيقول :

وقد نشرت ايدي الجنوب مطارفا — على الجو دكنا والحواشي على الارض
يطرزها قوس السحاب باحمر — على اصفر في اخضر اثر مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائل — مصبغة والبعض اقصر من بعض

ويهجو ابن الرومي الشرطة ويصف لهوهم فيقول :

كم لديهم للهوهم من كعاب — وعجوز شبيهة بالكعاب
بنت كرم تديرها ذات كرم — موقد النحر مثمر الاعناب
حصرم من زبرجد بين نبع — من يواقيت جمرها غير خاب

أفلا ترون ان هذا الوصف يختلف تمام الاختلاف عما شاهدناه في وصف الجاهليين الذين يقتصرون في وصفهم على نقل الصورة لا توليد فيها ولا تعقيد أما أبو نواس وابن الرومي والبحتري وأبو تمام وابن المعتز فلا يكتفون بالمعنى الواحد ولا بالصورة كما هي بل يولدون من المعنى البسيط معاني جديدة مختلفة .

رأي النقاد القدماء في البحتري :

حظي البحتري بتقدير النقاد من قدماء ومحدثين ونال منزلة رفيعة بين شعراء عصره واجمع الرواة على تقديمه • وكان اثيرا عند ابي تمام انزله منزلة الولد وشجعه ورعاه واوصى به وقدره حق قدره • ويروى ان البحتري انشد ابا تمام يوما فقال له انت امير الشعر بعدي وفي مناسبة قبلها قال له انت اشعر من انشدني • وسمعه يوما ينشده قصيدة اعجبته فقال له : لقد نعيت لي نفسي فانه ما نبغ من قبيلة مجيد او شريف الا مات من كان قبله مثله او ما سمعت قول الشاعر :

اذا مقرم منا ذرى حد نابه تخمط منا ناب آخر مقرم

واوصاه وصيته المشهورة في تخير اوقات الشعر وحرضه على العناية بالمجانسة بين اللفظ والمعنى والمباعدة عن الالفاظ الرديئة ثم اتباع عمود الشعر وان يقتدي بمن سلف من شعر الماضين وان يقصد ما استحسنه العلماء ويترك ويتجنب ما عابوه •

ولكن البحتري لم يستمع لنقد العلماء الذين جانب طريقتهم وقال فيهم :

كلفتمونا حدود منطقكم والشعر يكفي عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القروح بالمنطق ما نوعه وما سببه
والشعر لمح تكفي اشارته وليس بالهذر طولت خطبه

وكان ابو العباس المبرد يقول ما رأيت اشعر من هذا الرجل يريد البحتري وكان يعتذر لعدم تدوينه لشعره قائلا انه يعني بالقديم ولولا ذلك لملأت كتبي من شعره : وكان ابو العباس ثعلب يروى شعره وينشده ويثني عليه وانشد الصولي وصف البحتري لقلم الحسن بن وهب الكاتب :

واذا دجت اقلامه ثم انتحت برقت مصابيح الدجى في كتبه

فاستعادها الصولي حتى حفظها ثم جعل يقول لو سمع الاوائل هذا ما فضلوا عليه شعرا •

وصاحب الموازنة الامدي كان يقول ان الاجماع وقع على استحسان شعر البحتري واستجادته لان شعره قد رواه واستحسنه سائر الرواة على طبقاتهم واختلاف مذاهبهم ويرى ان اصحاب ابي تمام فضلوا طريقته لحلاوة لفظه وجودة وصفه وحسن ديباجته وكثرة الماء فيه ولقرب مأخذه وسلامة طريقته واستخلص الامدي اراء من شاهده من رواة الشعر المتأخرين انهم يجمعون القول على ان البحتري اعرابي الشعر مطبوع على مذهب الاوائل وما فارق عمود الشعر وكان يتجنب التعقيد ومستكره الالفاظ

ووحشي الكلام فهو بستان يقاس باشجع السلمي ومنصور وابي يعقوب وامثالهم من المطبوعين اولى .

وكان ابن المعتز يفضله ويثني عليه ويقول : لو لم يكن للبحتري الا قصيدته السينية في وصف ايوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها وقصيدته في البركة . ميلوا الى الدار من ليلى نحييها . واعتذاراته في قصائده الى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة الى النعمان مثلها . وقصيدته في دينار بن عبدالله التي وصف فيها ما لم يصفه احد قبله وصف فيها حرب المراكب في البحر ، لكان اشعر الناس في زمانه .

وابو الفرج الاصفهاني في كتابه الاغاني يقول البحتري شاعر فاضل فصيح حسن المذهب نقي الكلام مطبوع ، كان مشايخنا رحمة الله عليهم ، يختمون به الشعراء ، وله تصرف حسن فاضل نقي في ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعته فيه نزرة وجيده منه قليل :

وقال الشريف الرضي اما ابو تمام فخطيب منبر ، واما البحتري فواصف جؤذر ، واما المتنبي فقائد عسكر . وقال ابو العلاء المعري قوله المشهور : ابو تمام والمتنبي حكيمان والشاعر البحتري .

وقال ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة اما البحتري فكان املح صنعة واحسن مذهبا في الكلام يسلك منه دماثة وسهولة مع احكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة . ويفضله بجودة الاستهلال على ابي تمام والمتنبي ويرى ان غربة البحتري وكثرة رحلاته كانت عاملا قويا في انضاج شعره .

وياقوت الحموي يصفه بقوله : كان فاضلا اديبا فصيحا شاعرا مجيدا وكان بعض اهل عصره يقدمونه على ابي تمام ويختمون به الشعراء وروى عنه شعره المبرد وابن المرزبان وثعلب والصولي . ويقول للبحتري تصرف حسن في ضروب الشعر سوى الهجاء واجود شعره ما كان في الاوصاف :

واختم هذه الاراء برأي عميد الادب المعاصر واستاذ الناقدين الدكتور طه حسين فانه يقول في كتابه (من حديث الشعر والنثر) كان البحتري محبوبا وكان ابو تمام محسدا كثير الخصوم وذلك لان فن البحتري في الشعر كان قريبا الى نفوس الذين قراوه اما فن ابي تمام فكان غريبا بعض الغرابة او شديد الغرابة فضاق به كثير من الناس ونفرت اذواقهم العربية الخالصة من فنه هذا المعقد الذي لا يخلو من اغراق والتواء ويقول : اما البحتري فمطبوع ذهب في اغلب شعره مذهب القدماء الذين جددوا المعاني وحافظوا في الالفاظ والاساليب فبينما كان ابو تمام يتصل بمسلم ويتأثره في البديع وفي الملائمة الموسيقية بين المعاني والالفاظ ثم يزيد عنه تعمق المعاني والبحث عن غرائبها . كان البحتري مطبوعا يتأثر ابا نواس وغيره من الشعراء في العصر العباسي الذين كانوا يأخذون الوانا من الاستعارة اذا عرضت لهم ولا يتكلفونها الا تكلفا يسيرا جدا : وقال في عرضه لنماذج من شعر البحتري

وفق البحتري الى شعر اخر تتغير الصور والظروف وهو باق خالد لانـــه يصور خلاصة الحياة ولانه لا يمس نفس البحتري وحده بل هو يمس النفس الانسانية في جميع العصور وفي جميع الظروف •

وصفُ الطبيعة في شعر البحتري

عرف البحتري بأنه شاعر عاش حيـــاته ينزع الى الحسن ويتعشق الجمال ويأخذه الوجد كلما رأى مشهدا حسنا أو منظرا أنيقـا • يقتنص الصورة الجميلة ، وتثيره المشاهد الانيقة ، يلحظها حينا بثاقب بصره ، ويشاهدها حينا آخر بنافذ بصيرته ، فيهتز لها ويتمثلها ويبدعها مشاعر ولوحات مجسدة لاهتزازاته الوجدانيـــة ، قد يعجز عن تصـويرها أبرع الرسامين •

ولقد أجمع نقاد الادب العربي القدماء منهم والمحدثون على أن البحتري هو أشعر شعراء الوصف ، وأبرعهم ينقل الصورة دون تعقيد أو معاضلة ، وديوانه يشتمل على مقطوعات فنية تمثل الوصف بنوعيه الحسي والوجداني، وكانت الطبيعة مسرح طرفه ، والرياض والربيع مصدر الهامه ، ينزه حسه في أرباضها ويمتع قلبه بأفواف وشيها يغني على خرير الماء ويطرب لانسكاب دموع السماء ويتملى من الروضة الرقراقة والغدير المتدفق ، والرياض بدت لخياله مطارف الوشي ، وابراد السندس ، تنشر وشيا مذهبا ، وتطريزا مدبجا ، نسجتها الطبيعة للمتعة ، فقال :

هذي الرياض بدا لطرفك نورها	فأرتك احسن من رياط السندس
ينشرن وشيا مذهبـــا ومدبجـــا	ومطارفـــا نسجت لغـــير الملبس
وأرتك كافورا وتبرا مشـــرقا	من قائـــم مثـــل الزمرد أملس
متمايل الاغصان في حركـــاته	كسل النعيـــم وفتـــرة المتنعس
فاذا طربت الى العيون وغنجها	فأجـــل لحاظك في عيون النرجس

ومن قراءة هذه القطعة الرائعة التي أبرزت جمال الرياض تتجلى لنا روح العصر العباسي في فنون الوشي وتطريز الثياب وتطعيم الاثاث تصور لنا وجوه الحضارة والترف المادي الذي انغمست فيها قصور بغداد وسامراء وحلب والشـــام ، لقد شـــاهد التفويف في الثياب والوشي في القصور ، والتجاعيد في الرخام ، فتسربت تلك الحياة الى نفسه وتمثلها ثم صورها في شعره •

وهذه قطعة ثانية يصف فيها رياضا بالجزيرة تداعب مياه دجلـــة مياهها ، وأزهارها متناثرة في جنباتها ، كأنها يواقيت تلمع ، وقد جلل النور أعاليها ، تأسر العيون بألوانها الزاهية اذا سطع نور الشمس عليهـا وجلت ألوانها الذهبية • تتجاوب الطير في أرجائها ، وتغني على أغصانها ،

واذا هبت الريح تمايلت أغصانها ، وتعاطفت أفنانها ، تمثل هذا المنظر فقـال :

سرى البرق يلمع في مزنة — تمـد الى الارض اشطانهـا
فكم بالجزيرة من روضـة — تضاحك دجلـة ثغبانهـا
تريك اليواقيـت منثـورة — وقـد جلل النـور ظهرانها
غرائب تخطف لحظ العيون — اذا جلت الشمس ألوانهـا
اذا غـرد الطـير فيهـا ثنت — اليـك الاغاني ألحانهـا
كـأن العذارى تمشى بهـا — اذا هزت الريح افنانهـا
تعـانق للقـرب شجراؤها — عنـاق الاحبـة أسكانها
فطورا تقوم منهـا الصبا — وطـورا تميـل أغصانهـا
جنـوح تنقـل افياءهـا — كما جرت الخيل ارسانها

وهذه قطعة ثالثة من قصيدة يمدح بها أحمد بن دينار، استهلها بوصف الربيع وفيهـا يرى الطبيعة وقد لبست أجمل حللهـا ، وازدانت بأبهى زخرفها ، وانبسط على ظهرها بساط سندسي عبقري التلوين يشع بأزهى الالوان ، ويساقط عليه لؤلؤ ندى يبسم عن زهر ارجواني من النور يشاب بافرند من الروض الزاهي ، واذا قابلته الشمس رد ضياءها وعليها صقال الاقحوان المنور .

مررنا على بطياس وهي كأنها — سبائب عصب او زرابي عبقر
كأن سقوط القطر فيها اذا أنثني — اليها سقوط اللؤلؤ المتحـدر
وفي ارجواني من النور احمر — يشاب بأفرند من الروض اخضر
اذا ما الندى وافاه صبحا تمايلت — اعاليه من در نثير وجوهـر
اذا قابلته الشمس رد ضياءها — عليها صقال الاقحوان المنور
اذا عطفته الريح قلت التفاتة — لعلـوة في جاديها المتعصفـر

ويبصر حمام الروض فيسائله لمن ندبه ولمن بكاؤه ويشـير في نفسه هديلـه حزنا عميقا يدمي بالنـدب عيونه ويدعوه الى اقامة مأتم للهموم والاحزان بكاء على اخوانه الظاعنين فان الحزين يواسي الحزين فقال :

حمام الاراك الا فاخبرينا — لمن تندبين ومن تعولينا
فقد شقت بالنوح منا القلوبا — وادميت بالندب منا العيونا
تعالي نقم مأتما للهموم — ونعول اخواننـا الظاعنينا
ونسعـدكن وتسعدننـا — فان الحزين يواسي الحزينا

وصف دمشق :ـ

ودمشق يراها الشاعر جنة مخضرة الروض ، طيبة الارض ، عـذبة

النسائم ، هواؤها الفضفاض غض الندى ، وماؤها السلسال عذب المذاق ، يمضي الوقت فيها هادئا رخيا ، والعيش فيها ذو حواش رقيقة ، يخصها بالهوى ، ويؤثرها على غيرها ، وكيف لا يفضلها وصيفها مثل شتاء العراق ·

ان دمشقا اصبحت جنــــة ‌ ‌ ‌ مخضرة الروض غداة البراق
هواؤها الفضفاض غض الندى ‌ ‌ ‌ وماؤها السلسال عذب المذاق
والدهر طلق بين اكنافهـــــا ‌ ‌ ‌ والعيش فيها ذو حواش رقاق
وكيف لا نؤثرها بالهوى ‌ ‌ ‌ وصيفها مثل شتاء العراق

منزله في العراق :

ويصف له منزلا اختاره على علم وانتخبه على معرفة ، لا يخامره بانتقائه شك ، أحاطت به دجلة ، وجرى ماؤها من حوله كاللجين المذاب ، تطول النخل في حافاته وتتمايل عراجينها بالقماري ، وقد حنيت على لؤلؤ غض وخوص كالشرك ·

منزل لي بالعـــراق اخترته ‌ ‌ ‌ لم يشب حر يقيني فيه شك
واذا دجلـــة مدت شأوهـــا ‌ ‌ ‌ وجرى جري اللجين المنسبك
عارضت ربعي بفيض مزبد ‌ ‌ ‌ بين امواج تسامى وحبـــك
يتكفى النخل في حافاتهـــا ‌ ‌ ‌ بالقماري تغني او تبـــك
حنيت تلك العراجين عـــلى ‌ ‌ ‌ لؤلؤ غض وخوص كالشرك

ويصف يوما شاتيا :

دعي الشاعر الى متنزه على دجلة في ضواحي بغداد لابن خير تعصف الرياح بأشجار الاثل ، حتى تكاد تزعزعه وقد توافى على أنفاسها صغار القطر فقال :

رضينا من مخارق وابن خير ‌ ‌ ‌ بصوت الاثل اذ متع النهار
تزعزعه الشمال وقد توافى ‌ ‌ ‌ على انفاسها قطـــر صغار
غداة دجنة للغيث فيهـــا ‌ ‌ ‌ خلال الروض حج واعتمار
كأن الريح والطير المناجي ‌ ‌ ‌ خواطرها عتـــاب واعتــــذار
كأن مـــدار دجلة حين جاءت ‌ ‌ ‌ باجمعها هلال أو ســـوار

دار علوة في بطياس :

احب ببطياس والمشرفيات من آكمها وروضها المنبسط كبساط من سندس تنساب منابعها في اهتزاز الغمام ، أرض طيبة وروابيها ذات عطر فواح ، تفضل وادي نعمان في طلحه وفي سلمه قال :

احبب الينا بدار علوة من بطياس والمشرفات من أكمه
بساط روض تجرى منابعه في مرجحن الغمام منسجمه
يفضل في آســـه ونرجسه نعمان في طلحه وفي سلمه
ارض عذاة ومشرف ارج وماء مزن يفيض في شبمه
هل ارد العذب من مناهله او اطرق النازلين في خيمه

حنينه الى الشام :

يحن الى الشام وهو بالعراق يشتاق الى نسائمها الندية وما على ضفتي الساجور من هضاب وكهوف :

حنت ركابي بالعراق وشاقها في ناجر برد الشام وريفه
ومدافع الساجور حيث تقابلت في ضفتيه قلاعــــه وكهوفه

وقال من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان وزير المتـوكل ويصف الربيع وان الشتاء قد ولى وأشرق الافق وأضاء الجو وانقشعت الليالي السود ودنا العيد ٠

ذهبت جـــــدة الشتاء ووا فانا شبيها بك الربيع الجديد
افق مشرق وجــــو اضاءت في سنا نوره الليالي السود
وكأن الحوذان والاقحوان الـــــغض نظمـــان لؤلؤ وفريد
قطرات من السحاب وروض نثرت وردها عليه الخدود
وليال كسين من رقة الصيـــــف فخيلـــن انهـــن برود
الرياح التي تهب نســـيم والنجوم التي تطل ســعـــود
ودنا العيد وهو للناس حتى يتقضى ، وانت للعيــد عيـــد

وصف الربيع :

الربيع عند البحتري ابتسامة الكون وطيف ناعم الظل يجر وراءه برودا سندسية ومطارف حريرية أفتنت الطبيعة بزركشته وزخرفته ، فيه كبرياء امراء الفرس وزهو مرازبتهم ٠ فصل يعيد الى الشجر كساءها فتورق فينانة والتماع الندى على أوراقه وأكمامه كقبلة بفم الوجود يتنفس تنفسا بعطر الكون ، وكأنها أرواح المحبين فما يمنع الاوتار أن تترنم وما يحبس كؤوس الراح أن تترع ٠

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا من الحسن حتى كاد ان يتكلما
وقد نبه النيروز في غسق الدجى اوائل ورد كـــن بالامس نومـــا
يفتقها برد النـــدى فكـــأنه يبث حديثا كان قبل مكتمـــا
فمن شجر رد الربيع لباســـه عليه كما نشرت وشيا منمنما

أحـــل فأبدى للعيون بشاشة ... وكان قذى للعين اذ كان محرما
ورق نسيم الروض حتى حسبته ... يجيء بانفاس الاحبـــة نعمـــا
فما يحبس الراح التي انت خلها ... وما يمنع الاوتار ان تترنـــما

وفي قصور الصالحية يقول :

اخذت قصور الصالحية زينة ... عجبا من الصفراء والحمراء
نسج الربيع لربعها ديباجة ... من جوهـــر الانوار بالانواء
بكت السماء بها رذاذ دموعها ... فغدت تبسم عن نجوم سماء
في حلة خضراء نمنم وشيها ... حوك الربيع وحلية صفراء
فأشرب على زهر الرياض يشوبه ... زهر الخدود وزهرة الصهباء

وصف السحابة :

ومن شغفه بالطبيعة وتأثره بظواهرها أبدع أيما ابداع في وصف سحابة جادت بمائها على الارض فملأتها خصبا وزهرا ونسيما عبقا ، سحابة تملأ صدر الافق وتسحب أذيالها حتى تلامس الارض وتمد أخلافها فتسقي الزرع وهي برغم نسائمها المعطرة تتهدما كزئير الاسد وخطوزها كالتماع السيف جاءت بها ريح الصبا لتنفرط في سماء العراق قال :

ذات ارتجاز بحنين انرعـــد ... مجرورة الذيل صدوق الوعد
مسفوحة الدمع لغير وجـــد ... لهـــا نسيم كنسيم الورد
ورنة مثـــل زئير الاســـد ... ولمع برق كسيوف الهنـــد
جاءت بها ريح الصبا من نجد ... فانتثرت مثل انتثار العقد
فراحت الارض بعيش رغـــد ... من وشي انوار الربى في برد
كأنما غدرانها في انوهـــد ... يلعبن من حبابهـــا بالنرد

وقال في مزنة ثانية :

من ذا رأى مزنا تأزر برقه ... في عارض عريان لم يتأزر
غيث اذاب البرق شحمة مزنه ... والريح تنظم منه حب الجوهر
وكأنما طارت به ريح الصبا ... من بعد ما انغمست به في العنبر
ويضيء تحسب ان ماء غمامة ... عقد تناثر في اناء اخضر

والشاعر يفضل الشام ويختارها مقاما على العراق لجمال طبيعتها ورقة مناخها ويحسنها للمتوكل لينقل الخلافة الى ربوعها :

اما دمشق فقد ابدت محاسنها ... وقد وفى لك مطريها بما وعدا
اذا اردت ملأت العين من بلد ... مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمشي السحاب على أجبالها فرقا ... ويصبح النبت في صحرائهـا بددا

فلست تبصر الا واكفا خضـــلا أو يانعا خضرا أو طائرا غـــردا
كأنمـــا القيظ ولى عند جيئتـــه أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

بركة المتوكل :

تسربت الى البحترى روح العصر وترفه وحضارته فخضع لواقع هذه الحضارة وان لم يفارق طبيعته البدوية فهو اذا وصف مازج بين هذه الثقافة التي تمليها عليه حياته الجديدة في بغداد وسامراء في بلاط الخلفاء وقصور الفتح بن خاقان رأى هذه الحياة المترفة فاقتبسها ووصفها وصفا حسيا غير مغرق بمظاهر البديع الذي كلف به أبو تمام ولا مسرف بالزركشة والزخرفة ولا مغرق بالافكار المعقدة وهو في وصفه لبركة المتوكل قد مزج بين الوصف النقلي والوصف الوجداني . لقد ألم البحتري بالبركة فبدت له هائلة السعة مما أثار دهشته وولد في نفسه انفعالا قويا تركه يبالغ فيجعل البحر ثانيا لها وان دجلة غيرى منها تعمد طورا لمباهاتها وحينا لمنافستها وأنى لدجلة أن تفاخرها ، والخليفة المتوكل يحفها بعطفه ويخصها باسمه يخيل لرائيها ان جن سليمان هم الذين ولوا ابداعها فأدقوا في معانيها وابراز مفاتنها ولو تمر بها بلقيس لخالتها الصرح تمثيلا وتشبيها قال :

يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها والانسات اذا لاحت مغانيهـــا
بحسبها انها في فضل رتبتها تعد واحدة والبحـــر ثانيهـــا
ما بال دجلة كالغيرى تنافسها في الحسن طورا واطوارا تباهيها
كأن جن سليمان الذين ولوا ابداعهـــا فادقوا في معانيهـــا
فلو تمر بها بلقيس من عرض قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها

تنصب فيها غوارب الماء مسرعة كأنها الخيل في ميدان السباق وكأن مياهها الفضة البيضاء جارية في مسابكها فاذا علتها نسائم الصبا تكسرت وأبدت حبكا كأنه زرد الدروع المصقولة حينا تضاحكها أشعة الشمس وطورا ريق المزن تباكيها فاذا كان الليل انعكست النجوم في جوانبها وكان سماء ثانية ركبت على صفحاتها :

تنصب فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجرى في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حبكا مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس احيانا يضاحكها وريق الغيث احيانا يباكيهـــا
اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلا حسبت سماءا ركبت فيها
لا يبلغ السمك المحصور غايتها لبعد ما بين قاصيها ودانيهـــا
يعمن فيهـــا باوساط مجنحة كالطير تنفض في جو خوافيها
لهن صحن رحيب في اسافلها اذا انحططن وبهو في اعاليها

أبهاء مملوءة بالنقوش مزدانة بالزخرف مزينة بالوشي وصور مختلفة بأشكال متوازية ولا سيما البهو الذي صور على صورة الدلفين الذي تأنس لمرآه تلك الاسماك أسماك الزينة •

صور الى صورة الدلفين يؤنسها　　منه انزواء بعينيه يوازيهـا
تغنى بساتينها القصوى برؤيتها　　عن السحائب منحـلا عزاليهـا
محفوفة برياض لا تزال ترى　　ريش الطواويس تحكيه ويحكيها
ودكتين كمثل الشعرتين غدت　　احداهما بازا الاخرى تساميها

ومن قصيدة اخرى وصف البحتري الدواليب التي على هذه البركـة يديرها النعام :

واذا ما توسط البركة الحسناء　　القت عليـه صبغ الرخـام
فتراه كـأنه مـاء بحـر　　يخدع العين وهو مـاء غمام
والدواليب ان يدرن ولا ناضح　　يمشي بهـن غـير النعـام

ويصف دكتي البركة والقصر الذي خلفها في أبيات فيقول :

وارى الدكتين بينهمـا اطرا　　ف روض كالوشي في الوانه
في ضروب من حسن نرجسه الغـض ومن آسه ومن زعفرانه

ـ يتبع ـ



فنانون عراقيون



محمد غني حكمت

- ولد في بغداد عام ١٩٢٩ وتخرج في معهد الفنون الجميلة (فرع النحت) عام ١٩٥٣ وعين مساعدا للاستاذ المرحوم جواد سليم .
- اوفد الى ايطاليا عام ١٩٥٤ لدراسة الفن هناك فتخرج في اكاديمية الفنون بروما عام ١٩٥٩ ثم واصل دراسته في صب التماثيل والنصب البرنزية فحصل على دبلوم في صب المداليات واخر في فن السيراميك .
- اشترك في (٢٣) معرضا فنيا في ايطاليا واقام ثلاثة معارض شخصية في (روما) (وسان ريمو) وحاز على عدد من المداليات والجوائز في معارض عالمية مختلفة .
- يميل في اسلوبه النحتي الى تبسيط السطوح والتلاعب بمساقط الضوء للاستفادة من التعارض الذي يحصل بينها وبين الظلال لابراز القيم الفنية والجمالية . كما يحاول تحقيق المواضيع الانسانية والاسطورية عن طريق اشكال جمالية ذات اداء تعبيري خالص .
- يدرس النحت ـ حاليا ـ في معهد الفنون الجميلة ببغداد وهو عضو في جمعية الفنانين العراقيين وفي (جماعة بغداد للفن الحديث) .

رسالة في السيد البدوي

شوقي أحمد محمد نصر

اتفق المؤرخون على أن ميلاد سيدي احمد كان بمدينة فاس احدى مدن مراكش في سنة ٥٩٦ هجرية ويحتفل أولوا الامر قديما وحديثا في المسجد الاحمدي بطنطا بعيد ميلاده في ليلة آخر أربعاء من شهر ذى الحجة كل عام ، ،ويظهر من تخصيصهم الاحتفال بهذه الليلة بالذات أن ميلاده كان في الشهر الاخير من سنة ٥٩٦ .

رحلته الى العراق واسبابها

ترجع اسباب هذه الرحلة الى انه رأى وهو نائم بجوار الكعبة من يوقظه فاستيقظ وتوضأ وقرأ ورده الذي نام عنه وفهم ان ايقاظه لهذا السبب ثم نام فجاءه وأمره بالرحلة الى العراق فأخبر أخاه الحسن بذلك فحذره من السفر الى العراق لانه برزخ الاولياء والصالحين وبين له ما يقع أحيانا بين ارباب الاحوال وأصحاب المقامات العالية من المفازعات والمخاصمات في الامور التي تتعلق بآدابهم وعاداتهم وكأنه كان بصيرا بهذه الامور عالما بها بل الذي يظهر من كلامه انه خاض تلك الامور واصطلى بنارها ولهذا كان شديد الخوف على أخيه من تلك الرحلة وحذره منها كل التحذير الا ان السيد البدوي أصر على هذه الرحلة لما رآه أولا ولانه رأى الجيلاني والرفاعي يستحثانه على السفر ويعرضان عليه الزعامة الدينية في بلادهما فقال لهما انا منكما ولكن انا لا آخذ المفتاح الا من يد الفتاح ورافقه أخوه في هذه الرحلة شفقة عليه فسافرا يوم الاثنين عاشر المحرم سنة ٦٣٤ ووصلاه في شهر ربيع الاول من تلك السنة فزارا جدهما السيد موسى الكاظم ثم السيد عبدالقادر الكيلاني والحلاج وابا العرف والزوالي والبزار وعدى بن مسافر وغيرهم ويقول الحسن انهما كانا يلقيان في كل نزل ينزلان فيه كل تقدير وانه بنيت باسمهما اروقة وزاوية للاقامة فيهما ولكنهما ابيا ذلك وواصلا سفرهما الى أم عبيد لزيارة السيد احمد الرفاعي وبعد تمام هذه الزيارة رأي السيد أحمد البدوي أن الرفاعي يأمره بالذهاب الى بنت برى ليكفها عن سيرها المعوج في طريق القوم ويردها الى الصواب فيما يقع منها من تعرضها للرجال وسلبهم رأس مالهم في طريق القوم فبدا له ان يذهب اليها ليقوم بهذه المهمة الدينية الا ان اخاه الحسن غلبت عليه شفقته على أولاده فبدا له ان يعود الى مكة

ويترك السيد احمد بالعراق ليقوم بهذه المهمة فودع كل منهما اخاه فانصرف الحسن الى مكة وانصرف سيدى احمد في طلب بنت برى ليسلبها الولايـة وفعلا تم ذلك وذكر بعض المؤرخين لفاطمة ابياتا تزيد على خمسين بيتا تتضمن هذه القصة قالتها بعد توبتها وبعد ان عرضت نفسها للزواج من سيدى احمد فأبى •

ومن هذه الابيات قولها :

يا قارىء الخط فاقرأ ما كتبت وكن — اذ فطنـة فهما أو حاذقـا حـذرا
افهم كلامـا رمزنـاه ليعرفـه — اهل الحقيقة ان هم امعنوا النظرا
كتبت للحب في قلبـي محبتـه — هذا الذي غاص في قلبي وما ظهرا
يا طال ما كنت للفرسان أقتلهـم — فأسلبهم سـرا كـذا جهـرا
قضيت دهـري والايـام تخدمنـي — في صفو عيش ولم انظر له كـدرا
فتاهت النفس في الافعال واعتجبت — وقالت الان فقت البـدو والحضرا
رأيت في النوم ان القوم قد بعثوا — لي الملثم ذا عـزم لـه اشتهرا
فصـاد قلبي بسـر منه صيرني — عصفورة وهو لي كالسبع اذ كسرا
كتمت سري وأمري لم ابح بهمـا — للخلق كلا ولـم اظهـر لـه خبـرا
عرفت وصفا له في النـوم حليته — ليست بخافية عمن لـه نظـرا
وقلت ان جـاء غريب ليس نعرفه — ملثم بلثـام يشبه العـذرا
هاتوه لي سـرعة أو عاجـلا مهنا — واكرموه ولا تبـدو لـه ضـررا
لما اتانـا عرفنـاه بحليتـه — حقا يقينا ولكن ذاك قد سـترا
ناديته باسـمه جهـرا وكنيتـه — فلم يجبني ولم يبـد لنـا خبـرا
فقال لي القـوم والجمهور كلهم — هذا أصـم وايضا فاقـد البصـرا
فقلت اني اخاف اليـوم صولته — لابد يبدى لنـا من امره ضـررا
وقال يا ربنـا انصرني وساعدني — يا ناصر الرسل يا مولي قد اقتدرا
فجاءت الخيل في الميدان واعتركت — واظلم الجـو والاقطـار واعتكرا
فصاح في الخيل والفرسان جندلها — وابن الرفاعي وعبدالقادر اشتهرا
لما رأت آل برى صـول خيلهم — راموا الفـرار وولوا منهم الدبرا
قلنا لهم سادتي انتـم ذخيرتنـا — بكم نصـول على الاعـدا لننتصـرا
يا جاهلا عن كـلام لست تعرفه — فانمـا يعرف الاشيا من اشـتهرا
ختمت قـولي بتقبيـلات نعلكم — يا سيدي وامـير الناس والفقرا

كانت رحلة العراق نقطة تحول كبيرة في حالة السيد احمد البدوي النفسية فقد أعقب تلك الرحلة تغير ملحوظ في سلوكه وعبادته لم يكن معهودا عليه قبل الرحلة فكان صيامه وصالا ، وقيامه انتصابا ، وكلامه اشـارة وتحول بوجهه نحو السماء وقطع النظر عمن في الارض حتى قلقت عليـه أخته الكبرى فاطمة فكانت تنبه اخاها الحسن من نومه ليلا وتشكو اليه من حالته وتبث له قلقها على أخيها احمد وتقول يابن والدي ان اخي أحمد

قائم طول الليل وهو شاخص ببصره الى السماء ونهاره صائم وانقلب سواد عينيه بحمرة تتوقد كالجمر وله مدة اربعين يوما ما أكل طعاما ولا شرب شرابا والذي يظهر لي انه استفاد من رحلة العراق كثيرا بسبب خلوص نيته في زياراته لاجداده وابناء عمومته والصالحين في العراق كما انه كوفيء على ما بذل من جهد وضحى من راحته في سبيل مرضاة ربه بذهابه لبنت برى — فانه ليس بالهين على نفسه ان يذهب من بغداد الى العشائر شمال العراق وحيدا فريدا متحملا وعناء السفر ووحشة الطريق ليزيل منكرا رآه منابذا لقداسة الدين الحنيف ، وقد يرى الواحد منا الف منكر من هذا النوع أمام عينه جهارا نهارا ولا تتحرك فيه شعرة واحدة من ايمان — ولا ننسى مع ذلك انه امتهن ولكز واقتيد واستخدم كما تستخدم العبيد وعرض نفسه للهلاك كل ذلك في سبيل يرضاه ربه وازالة هذا المنكر البغيض — وكأنه لما ازال فتنة بنت برى التي كانت سببا في سلب الرجال ثمرات أعمالهم كافأه الله بان جعله سببا في امداد الرجال بما يقوى روح الايمان والعمل في نفوسهم جزاء وفاقا وانما كان جزاء وفاقا لانه ازال سبب السلب فوهبه الله سبب الامداد ٠

امره بالانتقال الى طنطا :

كان انتقاله بناء على أنه سمع من يأمره ثلاث مرات بالسير الى طنطا ليقيم بها فانه يربى فيها ابطالا ورجالا وهذا الانتقال من نوع الانتقالات التي تحدث للربانيين الذين عناهم الله بعناية وعهد اليهم أمر القيام بدعوته ليقوموا بنشرها في الامكنة التي يمكن ان تثمر فيها الدعوة وتلاقي فيها قبولا — وهو على نمط الهجرة التي كانت تحدث للمرسلين ، وعلى غرار ما حدث لابن العربي والشاذلي والمرسي وغيرهم كثيرون رضوان الله عليهم اجمعين ، وقد تكون لتلك الهجرة اسباب تقتضيها كظلم بعض الحكام وتوافق اعدائهم من شياطين المجرمين على ظلمهم واضطهادهم واخراجهم من ديارهم بغير حق وقد لا يكون لتلك الهجرة اسباب خارجية تقتضيها وقد يجتمع السبب الخارجي مع الامر بالانتقال ، ولم تدم اقامته بمكة طويلا بعد رحلته الى العراق لانه وصل الى مكة سنة ٦٣٥ ودخل طنطا سنة ٦٣٧ وقيل كان وصوله الى مكة سنة ٦٣٤ أي في نفس السنة التى انشأ فيها رحلة العراق ودخل طنطا سنة ٦٣٥ وايا ما كان فان اقامته بمكة لم تدم طويلا — ولا يترتب على الاختلاف في وقت دخوله طنطا الا ان اقامته بطنطا كانت ٣٨ سنة أو كانت اربعين وظاهر قول سيدي عبدالعال خدمت الشيخ اربعين سنة فما رأيته غفل عن ذكر الله ، أن دخوله طنطا كان سنة ٦٣٥ لانه توفي سنة ٦٧٥

« بحر العلوم ومعنى قوله سواقى تدور على المحيط »

بحر العلوم لقب من القابه يناديه الناس ولقبه به سيدى عبدالعزيز

الدريني بعد أن تناقش معه في بعض المسائل العلمية فكان اذا سئل عنه يقول هو بحر لا يدرك له قرار والحقيقة كذلك لان علومه ومعارفه الربانية من طراز فوق متناول العرف ومنتهى العقل ولا يسع من يسمعها الا ان يعترف بما اعترف به الدريني ويعجب كيف تصدر هذه المعارف من عقل انسان ـ وقد وصف لنا علومه واسراره ومعارفه في عبارته المشهورة التي نقلها عنه كثير من المؤرخين وهي قوله « وعزة ربى سواقى تدور على المحيط لو نفذ ماء سواقي الدنيا ما نفذ ماء سواقى » فليس المحيط الذي يعنيه في هذا التمثيل الا العلوم والمعارف والاسرار النبوية التي يستقي منها علومه ومعارفه واسراره كما قال المفسرون في قوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فأرادوا من الماء المعارف والعلوم والاودية القلوب التي سالت بهسا المعارف والعلوم ـ ولا يتضح معنى هذه العبارة تمام الاتضاح الا اذا بينا ما هو المراد بالسواقى ـ السواقى في القاموس جمع ساقية والساقية النهر فالسواقي الانهار الكثيرة يقول سيدي احمد البدوي انه له سواقى كثيرة اى انهار كثيرة يستقى من هذه الانهار علومه والسيدة الفاضلة الزهراء وكريمتها السيدة الطاهرة وأمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين فان مداه متصل بهؤلاء جميعهم الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مباشرة فالسيدة الزهراء تغترف من جانب وكريمتها من جانب اخر والسادة العمرين وأمير المؤمنين من معين اخر ، كل على حسب ما الهم من مشرب وقدر له من شراب،والبدوي رضى الله عنه قد اغترف من هذه المشارب كلها فاجتمعت له هذه السواقي كلها يغترف منها حيث شاء وكما يشاء وليست لفظة الدوران الا ترشيح لهذا التمثيل ذكرها لما ذكر لفظة السواقي لو نفذت مياه انهار الدنيا ما نفذت مياه انهاره لان مياه انهاره كما علمت مستمدة من ذلك المحيط الاعظم صلى الله عليه وسلم ولو نفذت علوم الاولين والاخرين مانفذت علومه ومعارفه كيف والانبياء جميعهم يستقون من ماء معين ، والمعنى الحقيقي لهذه العبارة بجملتها ان معارفه واسراره وعلومه متنوعة تنوعا كثيرا ومستمدة من حضرة الرسول (ص) مقتبسة منه بطريق مباشر ويصف تنوعها وتكثرها بان معارف أهل الدنيا لو نفذت ما نفذت معارفه كأنه مقسم بعزة ربه انه بحر العلوم الذي لا ساحل له وقد أجمع المؤرخون على أن وفاته كانت يوم الثلاثاء الثاني عشر من ربيع الاول سنة ٦٧٥ هجرية بمدينة طنطا بمنزل الشيخ شيط حيث كان يتعبد ، وكانت مدة حياته تسعة وسبعين سنة على عدد مجموع الارقام التي تدل عليها حروف كلمة المدد بحساب الجمل المعروف وفي هذا رمز الى ان حياته كانت مددا عظيما أمد الله به الناس ليبعث فيهم روح الحياة والعمل الصالح في القرن السابع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حديث مع النفس

عبدالوهاب محمد علي العدواني

ملحف ضج ـ ملياً ـ بالسؤال حائر النظرة في صمت المحال
يسأل الموت عن السر الذي يقفل الموت بسفار الليالي
بهداة حملوا في صدرهم شرعة الله كشفاف الزلال
وغواة انفقوا العمر هوى فاسق اللمسة مكروه المنال
... وأصاخ السمع لم يسمع له نأمة تكشف أسرار المآل
لم يجد في الموت الا قدرا واعظ الاخذة مرهوب الجلال
جاهماً يبدي يدا قاصمة فيثير الشجو محزون الظلال
يخطف البسمة في صمت وما يصرف المقدور في قيل وقال
فاحملي يا نفس ـ في قافلة تلج الليل ـ مضيئات الخلال
فغدا يطلع فجر سرمد ما تميل الشمس فيه لزوال

فاحسبي عمرك بالفعل ولا
تحفلي ـ يوما ـ بصبح وعشي
فعلك الباقي وما عشت سدى
ليس يحديك مع الله القوي

نوري ليلك بالحب وكوني نظرة ترنو الى شط المنون
واستفيقي في الدجى باعثة في زوايا القلب انوار اليقين
ما درى الغاوي وقد ضاع الذي يترجى من لطيفات الفتون
اين يرتاد وما الدرب الذي هو فيه غير جرح وأنين
يلفت النظرة عجلى أبدا يقرأ الرهبة في صمت العيون

حمل الخوف بجفنيه فما نفسح النطق فافضى بالشوون
وحكى قصة أمس دابر بالغوايات تزجي بالظنون
لم يجد — والموت آت — أنه يصرع الساعة الا بالسكون
وجد الهم وقد مد يدا سدت الآفاق في الليل الحزين
الظلما فيه .. ويا ويح الظما غصة تحكي خطيئات السنين

فاشهدي جلسوة حق وأسربي
بالتراتيل الى اليوم العبوس
واغسلي ذنبك بالتوب فان
أبلس الحس فبالدمع الحبيس

نوري ليلك بالنور الحبيب فالسرى طال باوهام الغروب
من ليالي التيه اشرقت صدى يهمس النجوى باعطاف الغيوب
ويغني للهدى الضاحي اذا ذهب الوهم بمسرتاد غريب
قد أضاع النور ... لم يعلم بما تكتف الظلما من السر الرهيب
فمضى — يتغل في قافلة من صحاب التيه أنضار الدروب
سألوا الليل عن الفجر .. فما عطف الليل عن الركب المنيب
حملوا زاد الهدى وانسربوا يمرعون الكون بالخير المهيب
أيهذي النفس كوني أذنا تسمع النجوى وثوبي وأجيبي
قد مضى شطر من العمر ... فهل نقع الري من الآل الكذوب
لم أجد في العيش — يا سادرة — غير خمر الشر في كاس الذنوب

نوري ليلك بالله وذوبي
بالتسابيح مع الليل البهيم
وارجئي بالتوب او فاستتري
لم يغب ذاك عن الرب العليم

قصة ساخرة

الآلة الحاسبة

للكاتب الانكليزي الفكه
انطوني جارسون

ترجمة
احمد مصطفى الخطيب

غادرت الجانب الاسيوي من البوسفور في الساعة التاسعة صباحا ‥ ووصلت (سوهو) وقت الافتتاح تماما ‥

طردت من أول مشرب للبيرة لتساهلي في مراعاة قواعد آداب السلوك ، فانتقلت الى آخر ‥ وهو يدعى « الضفدع النطاط » ٠ واذ كنت زبونا دائما هنا فقد بات من الضروري أن أتصرف بروية وحذر ‥ وذلك لان أية هفوة أرتكبها كفيلة بأن تسبب لي متاعب شتى ‥ بل وخطيرة أيضا ‥

لمحت ثلاثة أو أربعة من الاصدقاء ، فلوحوا لي بأيديهم ، وقدموا لي الشراب ‥ وبعد دقائق من الحديث العارض ، أخبرتهم بأنني قادم توا من تركية ‥ ثم أضفت بغير اهتمام :

وقد عبرت البوسفور هذا الصباح ‥

= ◆ =

خيم على الجميع صمت رهيب ‥ فقد كان الشائع عني في حانة « الضفدع النطاط » أنني وان كنت أنشيء قصصا عن اسبانية ، وعن بلغارية ، وعن جزر صغيرة متناثرة هنا وهناك ، الا انني في الواقع لا ابارح الغرفة التي اقيم فيها في (كامدن تاون) ، بل لم يسبق لي قط أن غادرت مسكني في يوم من الايام للقيام بأية رحلة في الخارج ‥

ـ البوسفور !!‥

طرق سمعي هذه الكلمة يرددها أحد الحاضرين بنبرة تنم عن الزراية والاحتقار ، وهو يتهامس مع سيدة جالسة بجواره ، يقال عنها ان لها ضلعا في تجارة خمور الشامبانيا ‥

فصحت حانقا :

البوسفور !!‥

ـ أنا اصدقك !

أسر ذلك الي رجل في مقتبل العمر ، ضئيل الجسم ، ذهبي الشعر ، كان واقفا الى يميني ويدعى (جيري هوبكنز) .. وكنت قد صادفته غير مرة فيما مضى في هذه المنطقة من (سوهو) ، ولكن ليس في مثل هذا الزي .. فهو على الرغم من رثاثة مظهره البادية ، كان يرتدي بذلة غامقة اللون من الطراز الايطالي ، ويشد حول عنقه رباطا منسوجا باليد ، وتبص عيناه من وراء نظارة شمسية سوداء وأردف يقول :

ـ لا أحد يصدق كلامي .. لانني كنت اقيم في الريف ـ وكما تعلمون ـ اقترض النقود ، وأحلم بالمستقبل المأمول الذي سوف يهبط علي يوما ما .. .. حتى وقع لي ما وقع ..

فقلت متسائلا :

ـ ماذا حدث ؟..

ـ مات عمي .. وترك ثروة ضخمة . متجراً مملوءاً ببضائع اللدائن .. مصنعاً .. مكتباً فخماً ..

ـ اذن فأنت غني !..

ـ أنا غني !..

قال ذلك بلهجة كسيرة يمازجها الأسى ثم استطرد في كلامه قائلا :

ـ وبخاصة ان مصانعي موجودة في ليدز .. هل سبق لك ن شاهدت ليدز ؟.. حذار أن تذهب اليها ، ان لم تكن قد زرتها بعد .. ثم هناك سبب ثان .. وهو انني احاول منذ وقت اقناع « الضفدع النطاط » بأنني ثري حقا !.. ولهذا فأنا أبتاع الشـراب للجميع دائما .. غير ان هؤلاء مازالوا يرفضون تصديق أقوالي حتى الآن .. ثم انني اقتنيت عقلا الكترونيا أيضا ... ياله من جهاز رائع .. انه من أحدث طراز ... وهو يدير الآن جميع أعمالي تقريبا .. وهكذا فليست هناك حاجة الى بقائي في ليـدز اطلاقا ..

= ◆ =

وبعد أشهر ذهبت لزيارة احدى الوكالات الادبية التي تقع ادارتها قريبة جدا من « الضفدع النطاط » .. لذا فكان من الطبيعي أن أزور الحانة أيضا ..

كان جيري هوبكنز أول شخص وقعت عيني عليه هناك .. وقد بدا لي في هذه المرة أكثر اناقة وتألقا من المعتاد ..

كان يرافقه كلب جميل من فصيلة « البودل » .. وسيدة .. ولـكن السيدة كانت أجمل وأشد فتنة حتى من « البودل » نفسه ..

وابتدرني جيري بقوله :

ـ أريد أن اعرفك بزوجتي ·· ولكن لا أحد هنا يعتقد ان ستيلا ·· زوجتي ··

ثم تجاذبنا أطراف الحديث زهاء عشر دقائق ·· وسألني جيري عن خططي للمستقبل ··

فقلت :

ـ أنا ذاهب الى مونت كارلو ·· فرد جيري بقوله :

ـ أنا اصدقك !

وضحكنا معا ···

= ◆ =

مرت ثلاثة أشهر لم اقابل جيري أو زوجته في خلالها ·· وذلك لانني كنت قد سافرت في الحقيقة الى مونت كارلو ·· ثم عدت الى لندن ، لكي اغادرها ثانية الى اسبانية ···

وفي مونت كارلو كتبت عن مونت كارلو فعلا ، ولكن في اسبانية كتبت عن انجلترا ·· وذلك ان هناك أوقاتا يطيب لك أن تكتب في أثنائها عن انكلترا ··· ولكن حينما يذيع صيتك ، وتحف بك الشهرة كمن يعالج الكتابة عن مختلف البلدان ، فانك تجد نفسك وقد أخذ بخناقك الناشرون من جميع أطراف المعمورة ، فتصبح حينذاك أشبه شيء بحزام نقال ، وتكتب عن (أوروبة) لا وجود لها في عالم الواقع ···

وأخيرا ، عندما استدعيت ذات يوم الى « الضفدع النطاط » ناولني النادل رسالة تحمل ختم بريد ليدز » ·

كانت الرسالة من جيري هوبكنز ، وهو يقول فيها :

« ·· أرجو أن تحضر الى ليدز على الفور عندما تتسلم كتابي هذا ·· ثمة امور عاجلة جدا ·· لا تقلق من أجل النفقات·· فأنا ادبر كل شيء ···

= ◆ =

قررت أن اسافر ·· وربما حفزني الى ذلك انني كنت افكر في زوجته الحسناء بعقلي الباطن ·· ليس بدافع الشهوة الجسدية تماما ، بل كما لو انني كنت أرهف سمعي الى ألحان اغنية عذبة تنساب في اذني من وراء غير المنظور ، وأبصر أعلاما زاهية تخفق في الجو وقد حملتها نساء فاتنات فوق أرض يجللها الصقيع ···

= ◆ =

وصلت ليدز ، وعثرت على الدار ، وضغطت على جرس الباب الخارجي ·· ثم انتظرت فترة قبل أن يظهر أحد ··

كان هوبكنز هو الذي فتح الباب •• ولكنني أنكرته أول وهلة •• فقد كان يرتدي ثوبا فضفاضا ، وذقنه لم يحلق منذ أيام ••

ــ جارسون !•• ها قد حضرت فعلا •• لم أكن أتصور انك ستلبي ندائي •• هلم ! ادخل ! ، وخذ نصيبك من الراحة •• ثم أصب شيئا من الطعام أيضا ••

اجتزنا ردهة ، ثم هبطنا سلما الى المطبخ •• كان البيت غاصا بضروب الامتعة •• قطع أثاث متنوعة ، صنعت كلها من خشب الماهجنو الثمين •• ساعات ذوات أحجام وأشكال مختلفة هنا وهناك •• أما الجدران فكانت مغطاة بأوراق الزخارف المحلاة بالازهار الجميلة •••

ولكن على الرغم من كل ذلك ، فقد كنت تحس وكأن قلب هذا البيت قد توقف عن النبض ••

أحضر جيري زجاجتين من البيرة ، ثم قال فجأة :

ــ كل شيء بدأ بالعقل الالكتروني !••

ــ اوه ! جيري ! أنا لا أعرف شيئا عن العقل الالكتروني ••

ــ ولا أنا !•• ولكن لدي مهندس مختص يتولى شرحه لي بنفسه •• انك تزوده بالمعلومات فتلتقطها خلايا الذاكرة الموجودة فيه عن طريق قنـاة الاشارات •• ثم تمزج النتيجة عن مجرى آلة نظام المراقبة المثبتة في داخل الجهاز ذاته ، وذلك في خلال فترة لا تتجاوز عشر الثانية الواحدة •••

فقلت مستفهما :

ــ أي نوع من المعلومات تعني ؟••

ــ أيا كان نوعها •• فالامر ليس مجرد حلول رياضية ، أو فهـارس كارتونية فحسب •• المعلومات بجميع أنواعها تترجم الى أرقام•• ثم لا حاجة كذلك الى طريقة النظام المزدوج أو الى أي شيء آخر من هذا القبيل •• وأنا أستطيع الجزم بأن العملية صحيحة لا غبار عليها •• وقد مكنني حتى من التخلص من زوجتي ••

ــ زوجتك ؟؟••

أطلقتها صرخة مدوية •• واندلقت البيرة من يدي •• وخيل الي وكأن حلما لذيذا قد طار من عيني الى غير رجعة ••

وواصل جيري كلامه قائلا :

ــ بكل تأكيد !•• لانني بعد أن أتقنت طريقة تشغيل الآلة ، شرعت في القيام ببعض التجارب بنفسي ••

عثرت على بعض الرسائل المعنونة الى ستيلا •• ثم طـرق سمعي شائعات لاكتها الالسن في دار أحد الاصدقاء •• فدسست جماع ذلك في الآلة •• فخرج الجواب ••

كانت ستيلا تخون عهد الزوجية ·· وهنا لمعت عيناه ببريق الجد كما لو انه مني بخسارة جسيمة أو أصاب مغنما كبيرا واستطرد يقول :

ـ أعرف انك تعتبرني انسانا سخيفا ، غريب الاطوار ، ولكن ليس ثمة أي خبير وهو لا يأخذ العقل الالكتروني مأخذ الجد ··

فقلت مستفهما :

ـ وكيف يعالج العقل الالكتروني القضايا التي تقتضي تحكيم العقل البشري ؟··

ـ العقل الالكتروني يصنع العقل السليم بذاته في ذروة نشاطه وقوته ·· فخلايا الذاكرة في داخله تختزن النظريات لمختلف الاحتمالات ، وعندما يتم التبادل بين تلك النظريات وبين المعلومات تنشأ من ذلك للحظته الحقيقة الكاملة ·· الحقيقة النموذجية التي لا تشوبها أية شائبة ··

أفرغ هوبكنز ثمالة الكأس في جوفه ، ثم اعتمد برأسه بين كفيه ، وراح يغمغم بصوت كأنه آت من بعيد ··

ـ انني في غاية التعاسة والشقاء ·· اذ لم أكن أتصور ان الامور سوف تتطور الى هذا الحد ·· وأخيرا فأنا مجرد رجل أعمال كما تعلم ··

= ◆ =

مكثت هناك بضعة أيام ، وفي خلال تلك الفترة حلق جيري ذقنه ، وارتدى ثيابه العادية ، وعين مديرة لشؤون منزله ، ثم باشر عمله في مكتبه كالمعتاد ··

وحين غادرت ليدز الى لندن حضر هو بنفسه في محطة القطار يصحبه رجل طويل القامة ، أسن منه قليلا ، وله عينان تذكرانك بالقطب الشمالي··

ـ هذا ستان ! كبير مهندسي العقل الالكتروني !··

لم أدر كيف أتحدث اليه ·· فمعلوماتي في موضوع الآلات الحاسبة ضئيلة جدا ·· وقد قام كلاهما بتوديعي ·· أما أنا فقد عدت الى لندن ·· الى ارتبـــاطاتي ·· الى حبي وكراهتي مع « فليت ستريت » مع المحررين والاصدقاء الخطرين ··

وفي ذات يوم طاب لي أن أتسلل الى « الضفدع النطاط » وأول من لفت نظري هناك رجل غطى صدره بمختلف الاحزمة والاشرطة لتتدلى منها آلات للتصوير ومناظير مقربة مزدوجة ·· وكان يرتدي بذلة من قماش زاه مبرقش، ويسخو بالشراب على الحاضرين ·· لقد عرفته ·· انه جيري بعينـــه ·· فهتف قائلا :

ـ هالو ! جارسون ! ·· لقد اشتريت جوادا للسباق ولكن لا أحد يصدقني هنا ·· ثم أضاف بصوت منخفض :

ـ أحسب ان ذلك لا يهم ٠٠ اسم الحصان ٠٠ سكول ٠٠ ولعلك تتذكر انه اسم « البودل » بالذات ٠٠ وسيشستوك في الحلبة غدا في الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين في حديقة « كمبتون » ٠٠ أنا أنصحك ٠٠ أن تراهن عليه بكل ما تملك ٠٠ أما أنا فقد قذفت على ظهره كل شيء حتى مواقـد الطبخ ٠٠ المصنع ، رصيدي في البنك ٠٠ وقد اقترضت حتى نقودا لهـذا الغرض ٠٠

فقلت على الفور :

ـ هذا يبدو لي غريبا جدا فأنا أكره الجياد الا في حالة ركوبي اياها ٠٠

فرد جيري بقوله :

ـ كنت افكر مثلك فيما مضى ٠٠ ولكنني في خـلال الاشهر الستة الاخيرة لم اراهن قط على حصان خاسر ٠٠ حتى ولا مرة واحدة فقلت له وقد بدأ الشك يساورني :

ـ وكيف تسنى ذلك لك ؟٠٠

ـ انه العقل الالكتروني ولا شك ٠٠ يكفي أن تدس فيه المعلومات الموجودة في كراسة دليل السباق ٠٠ عن الجوكي ٠٠ عن المدربين ٠٠ عن حالة طريق السباق ٠٠ بل حتى عن عصابات التخدير ٠٠ هذا فقط لا أكثر ٠٠ العملية لم تخذلني أبدا ٠٠ سأسافر الى برمودا في الاسبوع المقبل ٠٠

= ◆ =

وقد راهنت فعـلا على الحصان ٠٠ ومنيت بخسارة فادحة ٠٠ وفي الطبعة الاخيرة من صحيفة يومية قرأت نبأ مصرع جيري هوبكنز بعـد أن تحطمت سيارته في حادث اصـطدام مروع وقع له في الطريق ٠٠ وعندئذ بدأت افكر في كل ما جرى ٠٠ ترى! لماذا قامر هذا الرجل بمثل هذا العنف؟ ألكي يموت مثل هذه الميتة الحزينة ؟٠٠ ثم أليس العالم كله ما يزال يعتمد على أمثال هذه الآلات الحاسبة ويعتبرها مثالا للدقة وحسن الاداء ؟٠٠

وأخيرا نسيت كل شيء يتعلق بهذا الموضوع ٠٠

= ◆ =

وعلى حين فجأة أوفدتني احدى المجلات الى ليدز ٠٠ وكان هذا آخر شيء أتوقعه ٠٠ وقد طلب الي أن أكتب ريبورتاجا عن المدينة ٠٠ فوصلت الى هناك في يوم كئيب ، كثيف الضباب ، وحططت رحلي في فندق من الدرجة الثانية لأمكث به اسبوعا كاملا ٠٠

وفي طريقي الى دائرة البريد ذات يوم لمحت شيئا لم تنكره عيناي ٠٠ كلبا من فصيلة البودل ٠٠ ومن المؤكد انه قد سبق لي أن رأيت هذا الحيوان

من قبل .. لانه أثار في أعماق نفسي ذكريات هي موسيقية الحياة بعينها .. ولذا فلم أستغرب من نفسي حينما أخذت أتبعه الى صاحبه ..

كانت هناك ستيلا ، وسكول ، وبصحبتهما المهندس الميكانيكي الذي كنت لاقيته في المحطة ..

ـ أعتقد انك ربما تذكرينني ؟..

ـ بكل تأكيد ! لقد تقابلنا في « الضفدع النطاط » .. ثم مدت الي يدها ..

وقال ستان :

ـ وأنا كذلك أتذكرك جيدا ..

تحدثنا بعض الوقت .. ولكنني قررت أن أسأل السؤال الذي كان يدور في خلدي بالحاح :

ـ ستان ! هل راهنت على حصان جيري ؟

ـ كلا ! لم ارهن عليه .

ـ ما رأيك اذن في العقل الالكتروني ؟

ـ جهاز رائع .. ولكن ثمة فترات لا يمكن التعويل عليه في خلالها .. عليك أن تكون على علم من ذلك ..

ثم مد يده فصافحته ، وقلت مودعا اياه :

ـ الى الملتقى !

وفيما أنا أرقبهم ، وقد أخذوا في الابتعاد عني ، استدار ستان نحوي ، وشرع يبتسم ضاحكا ..

ركب الثلاثة سيارة فارهة سوداء ، وانطلقوا بها ..(١)

●
●
●

---

(١) عن مجلة (NEW STATESMAN) الانكليزية .

الكلمة المذاعة
فاعليتها الأعلامية

ابراهيم السعيد

١ ــ مفهوم الاعلام والدعاية

كانت حركة الثورة الصناعية ــ بالتأكيد ــ نقطة الانطلاق نحـو الاحسن • ومع ان المجتمعات الاوربية لاقت بعض المصاعب بعيد الثورة هذه ، الا ان تطورات مدهشة قد صاحبتها ، ازاء هذا التطور ، تعقدت سبل الحياة في المجتمعات ، ومن جهة أخرى برزت للوجود مفاهيم وأيديولوجيات متباينة ، وغدا الانسان في حيرة : بين ضجيج المصانع ، وتعقيدات الحياة الجديدة • يضاف الى ذلك ان الدول التي انطلقت ــ ابتداء ــ في قيادة الثورة الصناعية ، أخذت تبدي رغبة في استعمار الدول الضعيفة التي كانت بعيدة عن مجريات الثورة ، على ضوء قاعدة ثابتة في علم السياسة المعاصر تقول : ان الدول الكبرى تبني مستقبلها ومصالحها على حساب الدول الصغـرى والضعيفة •

لذلك غدت ضرورة وجود من يحل هذه التعقيدات ، ومن يقوم بعملية التوعية الاجتماعية والسياسية ــ أو الاتصال بين الافـراد والجماعات ــ ماسة جدا • وكانت الضرورة هذه هي : الاعـــلام • Information ومع ان الاعلام نفسه لم يكن جديدا بالنسبة لمجتمع الثورة الصناعية ــ فقد كان في الواقع منذ عهد الاغريق والعهود التي تلته ــ الا انه غدا ــ اليوم ــ مادة مشبعة بدراسات علمية عميقة • ان أهم وظيفة للاعلام هي احداث التوافق بين أفراد المجتمع » واقناع (المستقبلين) بالمادة المرسلة ، ولهذا ظهر رجال ذوو أختصاص في هذا الباب (العلاقات العامة) Public Relations مهمتهم البحث في أصول الاتصال بالجماهير ، وعن ماهية الوسائل الناجعة في هذا الاتصال •

ان عملية الاعلام كما يقول الدكتور ابراهيم امام « عملية مشاركـة

وتفاهم ، أو هي عملية تناغم بين المرسل والمستقبل • كذلك التناغم او التوافق الذي لابد له ان يتم بين الموجـــات اللاسلكية كشرط أساس للاتصال الواضح بين جهاز الاستقبال وجهاز الارسال • واذا كان الاتصال اللاسلكي هو عملية تناغم وتشابه في الموجات ، فان الاتصال الاعلامي هو الآخر عملية تناغم وتشابه ومشاركة في الافكار والمعاني » • (١)

أما (الدعاية) Propaganda ، فهي كلمة واسعة الانتشـار • وهي تقابل (الاعلام) وقد نشأت أول ما نشأت أيام حركة الاصلاح الدينـي Reformation في أوربا • وقد قامت الكنيسة الكاثوليكية وخاصة في عهد البابا جريجوري الثالث عشر الملقب بالبابا الاحمر باستعمال « الدعاية » ضد حركة لوثر وكالفن (البروتستانتية) • وهكذا فـــان المجتمعات البروتستانتية تقف ازاء هذه الكلمة ، موقف الحذر ــ لانها ترتبط بدعاية الكنيسة الكاثوليكية آنفة الذكر ـــ • أما في الدول المتخلفة اقتصاديا تلك التي تعاني ويلات التخلف فان هذا المصطلح ، يثير اشمئزازها ، ويعيد الى أذهانها الى ان المراد به ، هو السيطرة على عقولهم وقيادتهـم نحـو العبودية ! • وعلى هذا الاساس يجد بعض الكتاب حرجا في عدم استعمال « الدعاية » في كتاباتهم ، ويستعيضون عنها بالاعلام • وبلغ الامر ببعضهم الى درجة حذف مصطلح (الدعاية) قائلين ان هذه الكلمة تعني (تحقيـق غايات معينة مع التضحية بكل شيء في سبيل تحقيق هذه الغايات ••• وهي تعمل على تخدير الجماهير وشل قوة التفكير فيهم وايقاظ غرائزهم ••• الخ)(٢) • أما الاعلام في نظر هذا الفريق من الكتاب فهو يرمي الى اليقظة والنمو والتكيف الحضاري (٣) ••• الخ • وعلى اية حال فالمسالة نسبية • ففي الوقت الذي يمكن ان تستغل الدعاية سلبا ، أمكن استغلال الاعلام نفسه في نفس الاتجاه • لان المهم في الاثنين توفر الاخلاص لدى القائمين عليهما(٤) •

نسوق هذه المقدمة ، كمنفذ لدراسة أهم وسيلة اعلامية : وهي الكلمة المذاعة • وكما نعلم فان وسائل الاعلام والدعاية متعددة ، وهي تتطـور يوما بعد يوم ، بيد ان ابرزها : الكلمة المقروءة (المنشورات ، والصحافة) والاذاعة (الكلمة المسموعة ، أو المذاعة) والتلفزيون (الكلمة المرئية) • ولكل وسيلة من هذه الوسائل دور في عملية الاعلام والدعاية ، يختلف من بلد الى بلد ، بحسب التطور والتقدم الاجتمـــاعي والحضاري ، او التقسيمات الاجتماعية : من مثقفين ، ومتوسطي الثقافة ، وعامة •• الخ •

ان هذا المقال ، يود ان يثبت حقيقة الكلمة المذاعة ، ودورها الاعلامي ، مع الاشارة الى انه لايغمط دور بقية الوسائل • ولكنه يود ــ من جهة اخرى ــ ان يعطي أفضلية خاصة لدور الكلمة المذاعة • ولذلك فسيدرس المقال نشأة الكلمة المذاعة وتطورها ، ثم انه سيعقد مقارنة بينها وبـين

وسائل الاعلام الاخرى ، ويبرز ميزاتها وعيوبها • ثم يتطرق الى صلب رسالة الكلمة المذاعة وأصول العمل الاذاعي (الخبر والتعليق الاذاعيان •• والاذاعة الموجهة) • وباختصار : ان المقال لايدعي الاحاطة الكاملة ، ولكنه تعريف تعريف برسالة الكلمة المذاعة الاعلامية •

٢ ـ البداية :

أصدر « جيوفاني باتستا ديللا بورتا » في عام ١٥٥٨ كتابا عن التلغراف اسماه « السحر الطبيعي » ، وكان يعني به جهازا لارسال الرسائل بطريق المغناطيسية • (٥) وبعد ان تقدم التصنيع ، تزايد اهتمام رجال الصناعة والرأسماليين بالاماكن النائية سواء كانت أماكن تتيسر فيها المواد الخام او سوقية ، وتطلب الامر سرعة في ارسال الرسائل ، تفوق سرعة الحمام الزاجل او ساعي البريد • وهكذا عمل عصر التصنيع على ان تستعمل الاسلاك في بث الاشارات ، ثم تطور العمل الى ان تم اختراع الهاتف عام ١٨٧٦ ، على يد « الكساندر جراهام بل » الذي أثبت ان بامكان هذه الاسلاك نقل المكالمات البشرية • وهكذا ظهر اللاسلكي ، بعد ذلك • وان انفجار الحرب العالمية الاولى سبب مهم دعا رجال السياسة والجيش الى ان يتحمسوا بشدة للعمل الجديد الذي يسهل لهم كثيرا مسألة متابعة التطورات السياسية والعسكرية •

في البدء كان ظهور الراديو ، مدعاة للهو البريء • فكانت الجماعات تتحلق لتسمع (الشيء العجيب) • كانت الموسيقى والاغاني ، والاخبار الطريفة ، والاعلانات التجارية ، مواد العمل الجديد - ولكنه غدا ـ أخيرا ـ أهم وسيلة أعلامية ، الى جانب كونه وسيلة للهو •

في عام ١٩١٩ أسست هيئة الاذاعة الامريكية ، وكان هدفها اذاعة المراسلات التجارية اضافة الى الموسيقى والمحاضرات ، ومباريات الكرة • ثم اخذ العمل الاذاعي يتطور شيئا فشيئا ، وخاصة على يد « فرانك كونراد » الذي أسس مركزا اذاعيا ، يذيع منه اقوال الصحف والاغاني ، فتلقى اثر ذلك مئات الرسائل ممن استمع الى اذاعته : كلها انتقاد وتوجيه وابداء رغبات • فوجد هذا في تلك الرسائل فوائد جمة لانها عرضت له نفسية ورغبات الجماهير • ولقد سجل في سنة ١٩٢٠ نصرا كبيرا عندما أذاع نبأ نتيجة انتخابات الرياسة الامريكية ، ولكنه عندما أذاع الوصف الكامل للمباراة الرياضية بين البطلين « دمبسي » و « كارنيتيه » المتنافسين على بطولة العالم في الملاكمة للوزن الثقيل ، بيعت آلاف الاجهزة من الراديو •

ثم تتابع ظهور عدد من المحطات الاذاعية ، وبيعت آلاف من أجهزة الراديو • فأدى الامر الى بروز المواهب الادبية والفنية ، وغدا نجوم الاذاعة من (معبودي الجماهير) ، فسهل كل ذلك مسألة الاتصال بالجماهير •

منذئذ انصرف الناس عن النوادي والحفلات والمسارح ، كيما يدفعوا أقساط الاجهزة ، وسماع برامجه المنوعة والاستمتاع بها ·

وفيما يلي احصائية مختصرة عن مبيعات أجهزة الراديو في الولايات المتحدة الامريكية تبعا لتطور الكلمة المذاعة :

عام ١٩٣٠	١٤٫٧٥٠٫٠٠٠ جهاز
عام ١٩٣٥	٢٦٫٠٠٦٫٠٠٠ جهاز
عام ١٩٤٠	٤٥٫٠٠٠٫٠٠٠ جهاز

أما مجموع ما أنفق على الاعلانات الاذاعية فكان كالاتي :

عام ١٩٣٠	٦٠ مليون دولار
عام ١٩٣٥	١٠٥ مليون دولار
عام ١٩٤٠	٢٠٠ مليون دولار(٦)

عندما تذكر الكلمة المذاعة ، فانما يقرن بذكرها نجاحها المدهش · فعندما كانت الاعاصير السياسية تجتاح العالم ، كان اقبال الجماهير على ابتياع أجهزة الراديو يزداد لسماع الانباء والتعليقات السياسية ، وفي الفترة الهتلرية ، كان الناس يلجأون الى الاذاعات المختلفة لمتابعة تطورات الحوادث التي أدت الى حرب عالمية ثانية · وهكذا تربعت الكلمة المذاعة ، عن جدارة ، عرش الاعلام والدعاية ، حتى برز للوجود التلفزيون « الكلمة المرئية » عندئذ قلت أهمية « الراديو » ـ محليا ـ على الاقل ، بيد انه لم يستطع أن يضعف من مكانة « الكلمة المذاعة » نهائيا كما سنرى ذلك بعد قليل ·

٣ ـ بين الكلمة المذاعة والكلمة المطبوعة

عندما بدأ عصر الكلمة المذاعة ، أحست الصحافة بأن خطرا ما يهددها ويدهمها في عقر دارها ، ذلك ان الاستماع الى اذاعة ما لا يكلف المرء سوى توجيه المؤشر الى المحطة التي يود سماع ما تقدمه ، اضافة الى ان بمقدوره الاستماع الى البرامج متى شاء واني كان ، بينما تتطلب الصحيفة من يقوم بشرائها أولا صباح كل يوم وتصفحها ، ثم تركيز الذهن في المادة المنشورة · يضاف الى ذلك ان سماع الصوت على أمواج الاثير أمر جديد ، وعندما يكون شيء ما جديدا ، تعظم الرغبة في الحصول عليه أو امتلاكه · وهذه مسألة نفسية معروفة · لذلك فقد أحست الصحافة بخطر الكلمة المذاعة منذ عام ١٩٣٢ ، بصورة خاصة ، عندما قام العمل الاذاعي على ركائز وقواعد مدروسة ، ولم تملك الاذاعة ازاء هجوم الصحافة عليها الا ان تحاول اثبات مركزها ، والعمل على منافسة الكلمة المقروءة بمختلف الوسائل ، فبعثت

بالمندوبين ، واعتمدت المراسلين في مناطق متعددة ليقوموا بمهمة موافاتها بالانباء • وهكذا ازدادت سعة المنافسة • ولما كانت الصحافة — يومئذ — على حال تختلف عن حالها اليوم ، من حيث التقدم الصحفي والطباعي — ، لذلك فان بعض الصحف عمدت الى شراء بعض المحطات الاذاعية المنافسة لها • ولقد تم ذلك فعلا في الولايات المتحدة الامريكية •

لقد استمر الصراع الى فترة قصيرة ، اعقبتها فترة أخرى من السلام ، عندما أيقن رجال الصحافة ان ليس بالامكان القضاء على الكلمة المقروءة ، وان مضى التقدم بالكلمة المسموعة شوطا بعيدا ، ويعزى السبب في ذلك الى الاتي : ان اذاعة خبر ما يقتضي من المستمع البحث عن تفاصيل وافية له ، ولن تجد التفاصيل الوافية هذه مشفوعة بالصور الا في الصحيفة • وهكذا•• فان كل خبر يذاع على امواج الاثير ، يدعو العاملين في الصحافة الى صياغة العناوين البارزة ، ونشر التفاصيل الدقيقة ، مع الصور التي تقدم تفسيرا آخر على صفحات الجريدة • وهكذا غدت الكلمة المذاعة مادة اعلانية للصحيفة ! فازدادت أرقام مبيعات الصحف ، ثم أخذ اهتمام الصحافة — بفضل الكلمة المذاعة — يتجه الى الشؤون المختلفة ، وأفردت لها عدة أبواب جديدة •

بيد انه يحلو لنا التساؤل : لمن كانت الغلبة اذا ؟ لا مفر من الاجابة الصريحة عن ذلك • فلقد كانت الغلبة للكلمة المذاعة ، بلا شك • وان كان الجواب تقريبيا ، وليس قطعيا • فما زالت نسبة كبيرة من المجتمعات تكون معلوماتها بالقياس الى ما يذاع • في حين يقتصر عدد أقل على الصحيفة ، في تكوين الرأي الخاص • وكل هذا يدعونا الى عقد مقارنة بين الكلمة المذاعة ، والكلمة المطبوعة ، الا اننا نتمهل ذلك ، فسنفرد لذلك مجالا خاصا • وعلى العموم ، فقد تعلقت الجماهير غـير المركـزة Unfocussed Audience بالكلمة المذاعة • بينما تعلقت الجماهير المركزة Focussed Audience بالكلمة المطبوعة • ويعزى السبب في ذلك الى التفاوت في الاستعداد الفكري لكل من الجمهور المركز وغير المركز • فالصنف الاول عادة ، هم صفوة المثقفين ، والجماعة المبرزة في المجتمع ، وهي تبني آراءها بعد تحليل ودراسة دقيقتين • أما الصنف الثاني فهي العامة والافراد متوسطو الثقافة ، الذين لا تسمح لهم أحوالهم الخاصة لمتابعة الكلمة المطبوعة لعدة أسباب سنشير اليها في حينه • ولقد ثبت أن أكثر من ٦٠٪ يتابعون الكلمة المذاعة ، ويبنون آراءهم وفق ما يستمعون اليه من جهاز الراديو •

في أواخر عشرينيات القرن الحالي ، وأوائل ثلاثينياته ، تم اختراع التلفزيون ، وتطور بعد الحرب الكونية الثانية حتى ان وصل الى ما هو عليه اليوم • وكانت أهميته — ولا زالت — كبيرة جدا ، فهو في الوقت الذي ينقل الصوت ، ينقل الصورة أيضا • ولهذا اقبلت عليه الجماهير ، وغدا

المنافس القوي (للكلمة المذاعة) التي كانت قبل اختراع التلفزيون اعجوبة القرن • والواقع ، ان أهمية التلفزيون متصلة بدراسات علماء الاجتماع القائلة ان خير وسيلة اتصال بالجماهير هو الاتصال الذي يعتمد على المقابلة الشخصية • وعلى الرغم من ان التلفزيون ينقل صورة المتحدث فانك لا تستطيع التحدث اليه ومناقشته ، أي انه من طرف واحد • ومع ذلك ، فان هذا لا يمنع فائدة الاتصال على هذه الصورة من الوصول الى الجماهير ، فالتلفزيون اذا ذو تأثير عظيم • ولقد أدى ظهوره الى أن يقل عدد من يستمع الى الراديو • والعائلات التي تمتلك جهازين ، أحدهما الراديو والاخر التلفزيون ، تولي اهتمامها الى الجهاز الثاني أكثر • ولكن هل يعني ذلك هبوط أهمية الراديو في الآونة الاخيرة ؟ على الرغم من ضخامة الاختراع الجديد ، فان للراديو ميزات عديدة لا يجدها المرء في التلفزيون • مثلا ، اننا نستمع الى برامج الاذاعة بواسطة أجهزة مختلفة الاحجام ، وفي أي مكان كان • أما في حالة التلفزيون فالامر يختلف كما يبدو • ثم ان بالامكان سماع الاذاعات البعيدة بسهولة ، بينما لا نستطيع ذلك بواسطة جهاز التلفزيون • يضاف الى كل ذلك ارتفاع أسعار أجهزة التلفزيون ، وفي الدول المتخلفة ، لا يتسنى لذوي الدخل المحدود — وهم الكثرة الغالبة — الحصول عليه ، بينما انتشار أجهزة الراديو باختلاف أحجامها ، وبالتالي اختلاف أسعارها ، جعل أمر الحصول عليه ميسورا •

مع ذلك كله ، نجد ان العوائل التي تملك الجهازين تولي اهتماما كبيرا في حالات معينة ، الى جهاز الراديو • وخاصة في أيام الحرب أو الازمات السياسية فيتحلق أفراد العائلة لسماع أخبار الساعة ، يضاف الى ذلك ان الاحصائيات أثبتت ان الراديو — قياسا الى الحاجات الاخرى — هو الاول في حين جاء تسلسل جهاز التلفزيون الخامس !

٤ — الخبر والتعليق الاذاعيان

يحتل الخبر الاذاعي ركنا بارزا في مواد الاذاعة • والاذاعات التي تؤسس لغرض اعلامي سياسي ، تحتل الاخبار جانبا مهما من عملها • أما مصدر الاخبار الاذاعية — عادة — فهم المندوبون الخاصون ووكالات الانباء العالمية ، وهي تقدم ضمن البرامج الاخبارية الخاصة ك : « نشرة الاخبار » و « نافذة على العالم » و « جولة حول العالم » •

ويراعى في الخبر الاذاعي أمر وقوعه فعلا ، أو احتمال وقوعه المؤكد ، استنادا الى التقارير الدقيقة • مثل ذلك : احتمال اضراب عمال احدى الشركات المهمة استنادا الى بيانات النقابة وتصميم مسؤوليها على الاضراب • أما الاخبار المحتملة — نتيجة توقعات — فلا تجد لها مكانا بين أنباء الاذاعة ، بينما قد تجد لها مكانا في التعليقات السياسية • مثلا : قرار يصدره رئيس

الجمهورية بتفويض من السلطة التشريعية للاشتراك في هجوم مسلح على دولة ما ، أو التدخل عسكريا في شؤونها الداخلية ، فمن جهة ، ان هذا القرار مبعث أسى لعوائل الجنود ، ثم اذا كانت المنطقة التي سيحارب فيها الجيش من المناطق الصعبة التي لم يسبق له التدرب عليها ، كالغابات مثلا ــ فان احتمال الخسائر مؤكد ، فلا يصح اذا ، اذاعة خبر مفاده ان عوائل الجند ستشترك معا في اضراب صاخب احتجاجا على قرار رئيس الدولة • لانه غير محتمل الوقوع ، أو ان احتماله ضعيف • بيد انه من الجائز الاشارة اليه في التعليقات السياسية الموجهة للجهات المعارضة لاثارة المشاعر الانسانية لذوي الجند ، وتحفيز المحاربين على القيام باحتجاج ما •

ولا شك ان الاذاعة تراعي هذه المسألة للمحافظة على ثقة المستمعين بها ، واشعارهم بانها تقدم الاخبار الصادقة والواقعة فعلا ، أو التي يحتمل ان تقع استنادا الى دقة ما يردها من معلومات مراسليها ومندوبيها الخاصين بيد أن الحل تختلف بالنسبة للجريدة ، فالمعروف ان أكثرية تمتلكها جماعات وأفراد ، ولهذا ، ولغرض المحافظة على نسبة التوزيع ، ورغبة في رفعها ، فانها تعمد الى نشر الاخبار المحتملة ، ولو في نظر محرريها على الاقل ، بعناوين بارزة كيما تغري القاريء على اقتناء نسخة منها • الا ان الاذاعة تختلف في ذلك عن الصحيفة ، فهي ــ غالبا ــ حكومية ، أو على الاقـــل ، تحت اشراف حكومي ، وهي في غنى عن اذاعة الاخبار غير الموثوقة ، نظرا الى أن ذلك يجرها الى مسائل متعددة •

والخبر الاذاعي هو ، نقل ما حدث بأمانة ، ولا يحق لمحرر الخبـــر اصدار حكم على ما وقع ، لذلك يتفق علماء الاعلام على أن أهم صفات الخبر هي : تجريده من كل صلة شخصية ، أو طائفية ، ومع ذلك فهنالك اذاعات تقدم الخبر مشفوعا بحكم المحرر على ما حدث • وليس من شك ان محررا كهذا ، لا يتمتع بمستوى اعلامي مطلوب • مثلا : اذا أذاعت اذاعة ما خبرا مفاده ان مظاهرات صاخبة اجتاحت شوارع العاصمة (أ) ثم تعقب ذلـــك بتفسير لما حدث فتقول : وسبب ذلك يرجع الى الاجراءات الارهابية التعسفية التي تتبعها السلطة ، ورئيس الدولة بصورة خاصـة • يجدر بنا قبـل اذاعة مثل هذا الخبر ان نسأل : هل يتقبله المستمع ؟ قد يكون المستمع من أنصار حكومة العاصمة (أ) ، ولغرض التأثير فيه اعلاميا فليس من الحكمة مس شعوره ومعتقده ، والاجدر بنا ان نؤثر فيه بوسيلة درامية ، وهـــي الوسيلة التي يجب الا يخلو منها العمل الاذاعي ــ ولنتذكر قبل ان نشرع في العمل ان امام المستمع طريقين (١) اما ان يغلق الجهاز أو أن يغير المؤشر الى جهة اخرى • وهذا ما يجب ان يتذكره رجل الاعلام دائما (٢) واما ان يستمر في الاستماع الى المادة المرسلة والخبر بصورة خاصة وهو في سبيل الاقتناع التام •

يذكر السيد محمد اسماعيل محمد[٧] ان ميزات الخبر الرئيسية ثلاث : (١) السرعة الاعلامية (٢) الحيوية التبليغية (٣) والحقيقة التأريخية • أما صفات اسلوب الخبر الاذاعي فهي (١) الجلاء (٢) الدقة (٣) والتأثير • وفي حالة توفر هذه الميزات بالخبر الاذاعي فان تأثيره ، لاشك ، على المستمع مؤكد ، وهو يتسلل الى المخدع أو السيارة ••• أو أي مكان يوجد فيه انسان يستمع الى ما يذاع •

على ان هنالك اسئلة خمسة ، يجدر ان يجيب عنها المحرر قبل ان يشرع في تحرير الخبر ، هي: (١) من ؟ (٢) أين ؟ (٣) كيف ؟ (٤) متى ؟ (٥) لم ؟ وان اغفال احد هذه الاسئلة يعني أن الخبر غير مكتمل لكل صفاته الطبيعية، وبالتالي لا يؤدي دوره الاعلامي الاساس ، وهو : التأثير •

تعتمد الصحف ــ عادة ــ على العناوين البارزة ، كيما تلفت نظر القارئ : اما الاخبار المذاعة على أمواج الاثير ، فانها تهتم بالمقدمة ، ويطلق عليها غالبا « الموجز » • وأهمية المقدمة في الاذاعة ، مثل أهمية العناوين البارزة (المانشيتات) في الصحف • وفي الوقت الذي تعتمد فيه الصحيفة اليومية على طريقة الحقائق الثلاث : وهي تجزئة الخبر الى اقسام ثلاثة ، تبدأ بما حدث فعلا ، والقسم الثاني يشمل أسباب ما حدث • والثالث تفسير لما حدث ، لا يعتمد الخبر الاذاعي على هذه الطريقة المتبعة في تحرير الخبر الصحفي • ففي الوقت الذي يهتم محرر الخبر الصحفي بالحقائق الثلاث ، تولي الاذاعة اهتمامها بالموجز (مقدمة النشرة الاخبارية) وبالالقاء الاذاعي ، ونبرات صوت المذيع ، وقوته واعتداله ، وسرعته ، أو بطئه • فعندما قطعت اذاعات العالم برامجها لتذيع نبأ اغتيال الرئيس الامريكي جون فيتزجرالد كندي ، أولت اهتمامها على القاء المذيع • فالالقاء المشهدي يعرض المأساة ، ويصورها أتم تصوير • أما الصحافة فكان اعتمادها عند صياغة النبأ على العنوان المثير ، والتفاصيل المجزأة ، والصورة الفوتغرافية •

على أن أهم ما يعن لنا ، ونحن بصدد الحديث عن الخبر الاذاعي ــ هو ضرورة الموضوعية وعدم التحيز • لا سيما وان وسيلة المستمع المباشرة هي تحويل المؤشر الى جهة أخرى • كما يجدر مراعاة صحة الخبر ــ قبل البدء بتحريره ــ وذلك بالاتصال بالشخصيات المسؤولة • على ان الاذاعة لا تذيع كل ماهو (خبر) ، على العكس من الجريدة • ففي الصحيفة اليومية حقل خاص للوفيات، والافراح• بينما تستبعد الاذاعة الاخبار الاجتماعية، لكونها شخصية أولا ، ثم لانها لا تهم المستمع في بلاد أخرى • يستثنى من ذلك الشخصيات السياسية والثقافية البارزة ، أو العلمية •

وهناك اضافة إلى ذلك عدة فروق بين الخبر الاذاعي ، والخبر الصحفي منها[٨] :

١ ـ ان الجريدة تعتمد على الذوق الهندسي ، بينما الاذاعة على الـذوق الموسيقي •
٢ ـ ان الخبر في الصحيفة يتمثل في العنوان ، وطريقة تقديمه ، ونوعية الحروف الطباعية (دقيقة ، حروف ١٤ ، ١٦ ، ٢٠ ٠٠ الخ) • بينما يعتمد الخبر الاذاعي على ترتيب دوره في نشرة الاخبار ، وعلى الالقاء ، ونبرات الصوت •

أما التعليق والحديث الاذاعيان ، فلا يقلان أهمية عن الخبر الاذاعي نفسه • ففي الوقت الذي تهتم الاذاعة بالاخبار وكيفية تحريرها وتقديمها ، تهتم في الوقت نفسه بالتعليق والحديث الاذاعيين • وهنالك نوعان للتعليق الاذاعي (١) تعليق ضمن النبأ المذاع ، وهذه طريقة غير مرغوب فيها و(٢) تعليق منفصل يعقب برنامج الاخبار ، وهو المتبع في أغلب الاذاعات• وتنطبق شروط الخبر الاذاعي على التعليق السياسي أيضا : فالموضوعية أهم شرط ، لان التعليق يصدر من طرف واحد ، وان احتمال عدم الاحتفال به مؤكد ، اذا تضمن خطابية مباشرة • اضافة الى ذلك ، فيشترط في التعليق الاذاعي أن يكون اجابة وافية عن الاسئلة التي تشغل الرأي العام ، وان يشبع ـ في الوقت ذاته ـ فضول المستمع في معرفة أشياء خافية عنه ، شرط الا يمس معتقده الديني والسياسي • لان الاصل في التعليق هو الاقناع ، وليس التنديد بافكار المستمع •

ويصنف الحديث الاذاعي العادي الى ثلاثة : (١) القسم الاول يشمل الاحاديث المتصلة بحياة الافراد (٢) القسم الادبي و(٣) القسم العلمي • ويختلف الحديث الاذاعي عن الحديث الصحفي من عدة وجوه : فالمحدث الاذاعي يراعي الجانب الزمني ، فمثلا : قد يستمع المرء الى الحديث فجأة ، وقد مضى عليه قرابة عشر دقائق ، عندئذ يكون من الاهمية بمكان مراعاة ذلك مسبقا ، ومحاولة جعله واضح العبارة ، غير معقد التركيب ، يسهل الاحاطة به ـ ولو بشيء مختصر ـ اذا استمع المرء فجأة الى القسم الاخير منه ، وكأنه وقد تابعه منذ البدء • أما الحديث الصحفي ، فالحال تختلف، فبامكان القاريء الاحتفاظ بالجريدة المنشور فيها الحديث الى وقت آخر ، أو اعادة قراءته ، أكثر من مرة •

ويشترط في المحدث الاذاعي ان يكون مقبول الصوت والالقاء ، لانهما عماد نجاح الحديث الاذاعي •

٥ ـ ميزات الكلمة المذاعة وعيوبها

ثمة صفات تتميز بها الكلمة المذاعة ، تفوق بها ـ في بعض الاحيان ـ وسائل الاتصال بالجماهير الاخرى ، جعلتها في مكان بارز من الامكنة التي

تحتلها أجهزة الاعلام الاخرى • ويمكننا ذكر بعضها وهي كما يأتي :

١ ــ الكلمة المذاعة واللغة : بما ان الصحافة تتصل بالجماهير المركزة ــ كما اسلفنا ــ ، لذلك فهي تستعمل اللغة السليمة ، مفترضة معرفة القراء لها • أما الكلمة المذاعة ــ عبر الاثير ــ فلا تتطلب ذلك ، لانها كلمة موجهة ــ أصلا ــ للجماهير غير المركزة أولا ، بيد أنه من الممكن ان تلتقي الجماهير المركزة وغير المركزة ، للاستماع الى الكلمة المذاعة ــ وهذا ما يحدث غالبا ــ • وعلى العموم فان الكلمة المذاعة تفترض مستمعين غير مثقفين ، بينما لا تفترض الصحافة ذلك ــ ابتداء ــ ، لذلك فهي تستعمل اللغة البسيطة ، الخالية من الاستعارات والمجازات ، بينما تتجه الصحافة ــ في أحيان كثيرة ــ الى مثل هذه اللغة • وهكذا •• يتسنى لنا القول ان الكلمة المذاعة أحدثت ثورة في تطور اللغة ، فغدت على يدها أكثر وضوحا وبساطة •

٢ ــ الكلمة المذاعة والعلوم والفنون والآداب : كانت الجماهير غير المتعلمة تعاني مشكلة عدم امكان متابعة التقدم العلمي والنشاطات الفنية والادبية • ولكن الكلمة المذاعة استطاعت أن تهيء مجالا واسعا للجماهير ، للاطلاع على ما وصل اليه التقدم العلمي ، والنشاط الفني ــ الادبي • ان اغلب اذاعات العالم تخصص برامج مختلفة للعلوم ، الى جانب برامج خاصة للفنون والآداب • وذهبت بعض الدول المتقدمة في ميدان الاعلام أبعد من ذلك ، فخصصت اذاعات للعلوم والآداب والفنون • ك « البرنامج الثالث » في المملكة المتحدة ، و « البرنامج الثاني » في الجمهورية العربية المتحدة • وتقدم هاتان الاذاعتان روائع الادب العالمي ، والفن الرفيع والعلوم الانسانية الى ذوي الثقافات الرفيعة على وجه الخصوص •

٣ ــ وسيلة اتصال مباشرة : بامكان الكلمة المذاعة الاتصال بالجماهير اتصالا مباشرا ، سريعا • فهي تدخل المنزل والجامعة ، والمعمل ، دون استئذان ، في الوقت الذي تدخل المخدع ، والمطبخ ! ، في حين تتطلب الصحيفة من يتوجه الى بائعها • أما المسرح والسينما فتتطلبان من يعقد النية على الذهاب اليهما ، ويأخذ مكانه أمام بائع التذاكر ، ومن ثم متابعة المسرحية أو المشهد السينمائي • وهكذا تكون الكلمة المذاعة وسيلة اعلامية فعالة للتأثير في الرأي العام ، قياسا على ما تقدم(٩) •

٤ ــ أرخص الوسائل الاعلامية : ليس من شك ، ان الكلمة المذاعة أرخص الوسائل الاعلامية ، فبامكانك سماعها وانت أمام بائع السجائر ، وأنت في المقهى ••• أو المنزل ••• الخ • أما الصحافة ، فتتطلب مبلغا تتفاوت درجة ارتفاعه من ٢٠ فلسا بالنسبة للصحيفة اليومية الى (٦٠) فلسا للمجلة الاسبوعية ، الى (١٥٠) أو أكثر للمجلة الشهرية ، ويرتفع المبلغ بالنسبة للمجلة الفصلية والسنوية •

وفي الوقت نفسه تتطلب دور المسارح والسينما مبالغ مختلفة ،

وكذلك جهاز التلفزيون الذي يرتفع ثمنه في كثير من البلدان ، ويجد سكان الدول النامية صعوبة مالية كبرى في الحصول على واحد منه • ازاء كل ذلك لا يتطلب سماع الكلمة المذاعة مبلغا ما ، الا اذا افترضنا شراء جهاز الراديو نفسه ، وما أبخس ثمنه هذه الايام !

٥ ــ الاماكن النائية : هنالك أماكن نائية ، لايمكن لوسائل الاعلام الاخرى الوصول اليها ، كالقرى والمدن النائية ، اما لسوء المواصلات ، أو لعدم وجود مواصلات نشطة تربطها بالمدينة الرئيسة • لذلك تعجز الصحيفة عن الوصول اليها كما ان المسرح والسينما لا يمكنهما مواجهة الاقوام التي تحيا حياة شبه بدائية • الا الكلمة المذاعة فتقف أمام وسائل الاعلام الاخرى مرفوعة الرأس ، حيث يمكنها الاتصال بالاماكن النائية ، دون قيد يعترضها •

٦ ــ الكلمة المذاعة أسرع : اذا افترضنا امكانية وصول وسائل الاعلام الاخرى الى الاماكن البعيدة ، فأيها أسرع اتصالا بجماهيرها ؟ • تتطلب الصحيفة وقتا معينا لايصالها الى أيدي (القراء) ، وعادة ، تستعمل الصحف وسائل النقل البرية والجوية • وفي القرى والمدن التي لا تربطها بالعاصمة طرق معبدة صالحة أو خط جوي ، يتطلب ايصال الكلمة المقروءة وقتا طويلا يتراوح بين ساعات معينة الى عدة أيام ، بينما لا تتطلب الكلمة المذاعة أي وقت يذكر كيما تصل الى جماهيرها •

٧ ــ الصفة الدرامية والمؤثرات : من أهم صفات الكلمة المذاعة كونها ذات صفة دراميه - وهذا ما يميزها عن الكلمة المقروءة التي تتطلب تهيئة جو لقارئها • أما الكلمة المذاعة فعليها واجبان مزدوجان : ١) تهيئة الجو ٢) التأثير • وتساعدها في ذلك المؤثرات الصوتية ، والموسيقى والاغاني • وهكذا فباستطاعة الكلمة المذاعة مخاطبة الوجدان والشعور والعقل؛ حقا •• ان بامكان الكلمة المقروءة مخاطبة الوجدان والشعور والعقل ، ولكن اسلوبها في ذلك يختلف عن أسلوب الكلمة المذاعة ، ففي الوقت الذي يكون الانسان فيه مجهدا ، لا يتسنى له قراءة المادة المكتوبة ، تلاقي الكلمة المقروءة صعوبات في مخاطبة الوجدان ثم التأثير في اتجاه القارىء ، بينما يمكن للكلمة المذاعة ، باللحن الدافيء ، والكلمة الرقيقة ، والمؤثرات الصوتية أن تدخل شعور المستمع ، وهو مسترخ على فراشه مجهدا • أما السينما والمسرح فتتطلبان وقتا يتراوح بين الساعة والنصف الى الثلاث ساعات ، كيما يستطيع المشاهد تقبل المادة ، ولكنه أمام الكلمة المذاعة غير مضطر للبقاء طيلة هذه المدة ، فهو يستمع الى المادة في مدة تتراوح بين خمس دقائق الى ثلاثين دقيقة على أقصى تقدير •

٨ ــ الاعلان السياسي والتجاري : بامكان وسائل الاعلام جميعها ، تقديم الاعلان السياسي والتجاري ، ولكنها تختلف من واحدة الى أخرى في

اسلوب تقديمها ، بيد انه بالامكان القول ان الاعلان السياسي بواسطة الكلمة المذاعة ، أنجع اسلوبا ، لتوفر الصفة الدرامية المؤثرة • وكمثال للاعلان السياسي الناجح(١٠) ــ برنامج « حول العالم » الذي يذاع ــ يوميا من القسم العربي من اذاعة صوت أمريكا • ان هذا البرنامج اعلان سياسي تام ؟ ولكن لنتساءل : كيف يقدم ؟ يبدأ البرنامج بتقديم موجز قصير لآخر الانباء العالمية لا يتعدى الدقائق الخمس ، يليه فاصل من الموسيقى الخفيفة المنوعة ، ثم تقدم الانباء المفصلة ، وبانتهاء آخر خبر يقدم البرنامج منوعات من الاغاني الجذابة العالمية تستمر خمس عشرة دقيقة • وفي هذه الحال يكون المستمع في حالة نفسية تؤهله لسماع التعليق السياسي الذي يرمي اليه البرنامج ويجند امكاناته له • وعندما يحين موعد التعليق السياسي ، يبدأ المـــذيع بالقائه بهدوء تام ، ويحاول ــ وفق أحدث الاساليب الاعلامية ــ التأثير على المستمع ، وبخاصة في الدول الموجهة اليهـــا الاذاعة ، ويتجنب أي سبب لاثارة المستمع سلبا ، قدر الامكان •

أما الاعلان التجاري : فانصافا ، لا تستطيع الاذاعة منافسة التلفزيون والسينما في هذا المجال (أي الكلمة المرئية) • ولقد قلنا سابقا ان التلفزيون كان ولا يزال ، ناقوس الخطر ، للكلمة المذاعة ، وان لم يؤد هذا الناقوس ، بعد ، دوره كاملا • ان كثيرا من الشركات مازالت تثق بالاعلان الاذاعي ، لان بث الكلمة المذاعة أوسع انتشارا ، وان مستمعيها أكثر كثافة من التلفزيون والسينما(١١) •

ازاء هذه الصفات الرئيسة التي تتمتع بها الكلمة المذاعة ، فان ثمة عيوبا منها :

عدم امكان سماع البرنامج المذاع ، في حالة التباس فهم احدى مواده• ولقد أحست بعض الاذاعات بهذا العيب ، فحاولت أن تتلافاه ، عندما عملت على أن تكون برامجها مبسطة ، ومركزة أيضا •

كذلك ، فانه يصعب علينـــا سماع برنامجين مختلفين (كل منهما يعرض رأيا مختلفا) من اذاعتين في وقت واحد • بينما يتيسر لقـارىء الكلمة المقروءة مطالعة مقالين في صحيفتين مختلفتي الرأي أو أن يعيد قراءة ما يهمه أكثر من مرة •

وعندما تعوز البرنامج ، الحيوية ، ينفر منه المستمع ، أو يمل • ولقد أحست بعض الاذاعات المتطورة بذلك ، فعمدت الى تنويع برامجهـا ، بل وقدمت اذاعات مختلفة ذات اختصاص ، كما هي الحال في بريطانيا التي تقدم اذاعة باسم « البرنامج الداخلي Home Service » واذاعة اخرى باسم « البرنامج الخفيف Light Service » وثالثـــة باسم « البرنامج الثالث Third Programme » الذي سبق ذكره •

وعندما يصغي المستمع بكليته لسماع الكلمة المذاعة ، فان أي حدث

في دائرته يعرقل عملية الاتصال الاعلامي • فمثلا اذا رن جرس الهاتف ، فات المستمع سماع البرنامج ، كذلك قدوم زائر فجأة •• الخ • أما الكلمة المقروءة فانها تتيح مجالا واسعا لقارئها ، فبامكانه تأجيل القراءة الى وقت آخر اذا دعت الضرورة •

٦ ـ مبادىء عامة في العمل الاذاعي :

لابد ان تكون أمام رجل الاعلام والدعاية ـ في كل جهاز اعلامي ـ قواعد وأصول أولية عامة ، كيما يكون عمله متكاملا • وقبلا كانت الدول التي تعتنق عقيدة ما ، تعمل وفق مخطط دقيق • فالاتحاد السوفياتي ـ كنموذج لهذه الدول ـ يرى ان مسؤولية وسائل الاعلام جميعها من واجبات الحزب الشيوعي ، ومعنى ذلك أنها تخضع للمراقبة والتوجيه الدقيقين • وهكذا تكون الكلمة المذاعة ـ كوسيلة اعلامية ـ ذات هدف سياسي على العموم • اما البرامج الثقافية والفنية فتخضع لهذا المفهوم أيضا • وهكذا نفهم من ذلك لماذا لا تستجيب برامج الاذاعة لاذواق المستمعين المتباينة ، ولماذا يعمل هؤلاء على الاتصال بالاذاعات الاجنبية الاخرى • وهذه هي نقطة الضعف في جهاز الاعلام الشيوعي ، والى حد ما أجهزة الاعلام في الدول التي تأخذ بنظام الحزب الواحد ، علما بأن الحزب هو الذي يقر صلاحية مادة اعلامية ما • هذا في المجال التطبيقي الشيوعي ، اعلاميا ، أما الجانب النظري ، فان لينين يرى ان تكون المادة الاعلامية موجهة الى المستقبل على قاعدة « التأثير في التفكير والتأكيد على الآمال العميقة التي تخالج النفوس عن طريق الجدل العقلي لمبدأ الثورة لنصرة دكتاتورية الطبقة العامله وبناء المجتمع الشيوعي »(١٢) ، بينما كانت الدعاية النازية في عهد هتلر وغوبلز « عملا سياسيا نفعيا يجتث المعارضة من جذورها ولا يترك سوى الفزع الفعلي »(١٣) أما في الدول اللاعقائدية ، التي لا تتبنى عقيدة سياسية متحكمة مركزيا ، فيندر أن تكون ثمه قواعد اعلامية دقيقة الشدة • أما في الدول النامية ، فان اجهزة الاعلام تتجاذبها أطراف الارتجال وعدم التخطيط ، بيد أن هناك مبادىء عامة في العمل الاذاعي منها(١٤) :

١ ـ مراعاة الدوافع الفردية والاجتماعية والموضوعية في العمل الاذاعي الاعلامي •

٢ ـ وجوب مراعاة النواحي النفسية التي تتضمن الاتجاهات والصفات المتباينة بين مستقبلي المادة وان يعرف مدى الاستجابة •

٣ ـ عنصر الترغيب ، وذلك بضرب الامثلة والادلة •

٤ ـ تكرار المادة في أوقات مختلفة ، والتنويع ، وتقديم المادة الاعلامية بأساليب متنوعة ، لأن التكرار يقوي الصلة بين الاعلامي والمستقبل ، أما التنويع فانه يرغب ويقوي ادراك الناس للدعاية أو المادة الاعلامية •

٥ ـ اختيار الوقت المناسب لتقديم المادة الاعلامية ٠
٦ ـ الكلمات المحفزة ، التي تحفز مستقبلي المادة على أداء عمل ما
٧ ـ مراعاة البساطة والوضوح في الاسلوب ٠
٨ ـ استخدام العوامل المساعدة ، كالتمثيلية ، والموسيقى ، والاغنية ، أو أثارة غرائز انسانية ، كحب الاستطلاع ٠٠٠ الخ
٩ ـ اذاعة أصوات أو أقوال الشخصيات المشهورة ، لأن ذلك يضمن تقبل المستقبل للمادة ٠
١٠ ـ الايمان بفكرة التأثير في أكبر عدد ممكن من الناس وليس جميعهم ، وهي فكرة التدريج ٠
١١ ـ يجب التمييز بين شعب البلد الموجه اليه البرنامج ، وبين قادته ٠ لأن مهاجمة البلد كله يؤدي الى خيبة أمل مؤسفه ٠
١٢ـ الاشارة الى اسم العدو تكون عندما تتوفر الأدلة الدامغة أو الرد المفحم ، أما في حالة الشعور بالضعف أمام قوة العدو ، فلابد من اذاعة اسم الزعيم المعادي ، وخاصة اذا كان له مؤيدون ، والعكس صحيح ٠
١٣ ـ يجب ان ترتكز وظيفة المادة المذاعة على قاعدة تشجيع الاصدقاء ، وتقديم النصح لهم ، أو بث نزعة التفرقة بين الاعداء ٠

٧ ـ الاذاعة الموجهة :

يقصد بالاذاعة الموجهة ، أو البرنامج الاذاعي الموجه الى شعب دولة ما ، بلغتها القومية ٠ وغرضها نقل المادة الاعلامية المخططة اليه ولأغلب دول العالم اليوم ، اذاعات موجهة أو ـ على الاقل ـ برامج موجهة ٠ وقد اهتمت انكلترا اهتماما واضحا أكثر من غيرها بالاذاعات الموجهة ، ويرجع سبب ذلك الى سيطرتها على أجزاء كبيرة من العالم ٠ وقد بدأ اهتمامها منذ العقد الثالث من هذا القرن ٠ وكان أول عمل اذاعي اعلامي ، هو العمل الاذاعي الموجه الى دول الكومنويلث سنة ١٩٣٢ ٠ وكان الغرض منه ايجاد صلة متينة بين المملكة المتحدة ودول الكومنويلث الاخرى ، وعرض سياستها وتوثيقها معها ٠ وفي عام ١٩٣٨ أوجدت الاذاعة البريطانية اذاعة خاصة موجهة الى البلاد العربية ، الغرض منها : مواجهة معارضي وأعداء بريطانيا في هذه المنطقة من العالم المهمة ، ثم وجهت « باريس » سنة ١٩٣٨ اذاعة باللغة الاسبانية والبرتغالية لدول أمريكا اللاتينية ، وفي سنة ١٩٣٨ خصصت برامج اذاعية محدودة لدول أوربا ، باللغات الفرنسية والالمانية والانكليزية ٠ وعندما انفجرت الحرب العالمية الثانية ، أثر هذا الانفجار على نشاط الاذاعة البريطانية بمختلف برامجها واذاعتها الموجهة ، فنشطت نشاطا كبيرا ، وهكذا غدت برامجها الموجهة من أقوى البرامج المتخصصة في العالم ، تليها اذاعة صوت أمريكا ٠ وفي منطقة الشرق الاوسط تقف

اذاعات القاهرة الموجهة في الطليعة ، وغدت اليوم ثالث اذاعة من حيث القوة والارسال والتأثير الاعلامي في العالم ٠

يشترط في الاذاعة الموجهة مراعاة الصدق فيما يذاع ٠ وليس هذا الشرط مطلقا ، بيد ان الصدق فيما يذاع ضرورة ملحة اذا شئنا لعملنا الاعلامي الشيوع والانتشار ٠ ثم ان الناس عادت تميز ــ بفضل وسائل الاعلام والدعاية الكثيرة ــ بين الاخبار الصحيحة ، والكاذبة ٠

كذلك يشترط في الاذاعة الموجهة نقلها صورة واضحة للسياسة التي تتبناها باطار لا خطابي ٠ مثل حشر الكلمات الدعائية المباشرة بدون مناسبة ٠ وبالنسبة للاخبار ، فيشترط في الاذاعة الموجهة ان تقدم شؤون الدولة الموجه اليها الاعلام أولا ، ثم الاخبار العالمية البارزة ، وأخيرا أنباء الدولة المرسل منها العمل الاذاعي ٠

ويخطأ من يظن ان واجب الاذاعة الموجهة سياسي بحت ٠ فهناك غايات واهداف أخرى : اجتماعية ، وثقافية ، وعلمية ٠ وهكذا تساهم الاذاعة الموجهة في تقريب أواصر الاخوة والصداقة بين الشعوب المختلفة ٠

وفي هذا المجال أيضا ، هنالك ثلاثة أنواع من الدعاية الموجهة(١٥) :

١ ــ فدعاية ايجابية ترمي الى أن يأتي الشخص الموجهة اليه المادة عملا معينا ٠

٢ ــ ودعاية سلبية ترمي الى الحيلولة بين المستقبل وبين سلوك مسلك معين ٠

٣ ــ ودعاية مضادة ، وهي ترمي الى منع المستقبلين للمادة من القيام بأعمال تدفعهم اليها دعاية اخرى ٠

الخلاصة :

كنا في حديثنا عن دور الكلمة المذاعة الاعلامي ، نتحدث عن أهمية الصوت الذي ينطلق من غرفة صغيرة الى انحاء العالم كله ٠ فانتهينا الى ان الكلمة المذاعة وسيلة اعلامية فعالة ، لم يأفل نجمها بعد ــ كما توهم البعض اذ ظهرت الكلمة المرئية وتطورت السينما ــ ٠ فلم يزل التلفزيون ضيق النطاق لا يصل بثه الا الى مناطق محدودة ، اضافة الى ارتفاع سعره ، وصعوبة الحصول عليه وخاصة في الدول المتخلفة ٠ أما اذا جاء اليوم الذي تصل فيه الصورة والصوت كل مكان ، فلا شك ان دور الكلمة المذاعة سيشرف على الانقراض نسبيا ، ولا نجزم في ذلك ، لان الكلمة المذاعة لا تتطلب تكاليف كتلك التي يتطلبها التلفزيون « تسجيل ٠٠ ديكور ٠٠ تحميض ٠٠ طبع ٠٠ الخ » ٠ فلا تتطلب الكلمة المذاعة غير شخص ذي صوت مقبول يتلوها ، لتصل أنحاء المعمورة كلها ٠

لقد أثبتت الحوادث أهمية الكلمة المذاعة ٠ ولقد سبق وبينا قوتها

في هز أركان الكلمة المقروءة ـ الصحافة ـ (وان لم تستطع دحرها كلية لان للصحافة المقروءة جمهورها الخاص) • لذلك لا نحسب أن دور الكلمة المذاعة انتهى بمجرد ظهور التلفزيون بما لديه من وسائل مغرية • هل فاتنا ، أنه في أيام الاضطرابات والثورات يلجأ الناس الى المذياع ، وأنفاسهم اللاهثة تعلو رويدا •• رويدا ، ليستمعوا الى ما آلت اليــه الامــور ؟ • فلا زال مركز الكلمة المذاعة محترما ، ولما يزل تأثيره في الرأي العام قويا كبيرا • ودونها الاذاعات الموجهة التي تصرف عليها ملايين العملات الصعبة ان السر في كل ذلك يكمن في كون الكلمة المذاعة أرخص الوسائل الاعلامية ، فالصحيفة لها ثمن ، وتتطلب شراءها كل يوم برتابة مملة • والسينمــا تتطلب ثمن التذكرة الباهض • والتلفزيون : ارتفاع ثمنه • أما الــراديو فلا يتطلب شيئا ، سوى اصاخة السمع الى ما يذاع • فبامكان المرء سماع الكلمة المذاعة وهو في النادي ، وهو في طريقه الى شراء حاجياته ، وحتى في بيته اذا افترضنا تكاليف الجهاز الزهيــد ، التي قلت بفضــل انتشار الترانزستور •

ولعل ذكر « الترانزستور » ذلك الجهاز المدهش ، لعله يقربنا الى ما نود ذكره • فلقد غدا بفضله سماع الكلمة المذاعة ميسورا ، أنى كان المرء ، وحيثما حل • ومع ذلك فيمكننا تصنيف أجهزة الاعلام الرئيسة على طبقات المجتمع :

١ ـ الصحيفة : يقرأها عادة الجمهور المركز • وتتطلب عادة ثقافة ترتفع بارتفاع مستوى الصحيفة نفسها •

٢ ـ الكلمة المذاعة : يتابعها الجمهور غير المركز على الاغلب • ولكن ذلك لا يمنع استماع الجمهور المركز لها بفضل انتشار الاذاعات الثقافية : كالبرنامج الثالث في لندن ، والبرنامج الثاني في القاهرة •

٣ ـ التلفزيون : يقبل عليه عادة صــغار السن اقبالا شــديدا ، ويتأثرون بأعلامه ، بصورة خاصة • أما اذا كان اعلاما اجتماعيا وثقافيــا فيقبل عليه ذوو الثقافات المتوسطة والعالية •

٤ ـ السينما : يرتادها عادة مختلف الفئــات • ولكن روادهــا يختلفون بحسب ما يقدم ومدى سموه ، فاذا كان الاعلام اجتماعيا وفلسفيا كرواية (The Trail) لفرانز كافكا ، التي تنــاقش باسلوب متشــكك مشكلة الوجود والموت ، يقل روادهــا ، وقد يقتصــر على المثقفين ذوي الدراسات الرفيعة الى درجة ما •

مما تقدم ، يتضح ، ان بمقدور الكلمة المــذاعة لم شــعث الفئات الاجتماعية ، وذلك بتنويع موادها • وهذه ميزة أخرى تنفرد بها ، تضاف الى ما أشرنا اليه سابقا لدى الحديث عن ميزات الكلمة المذاعة •

الا اننا ونحن نسوق كل هذه المزايا ، نشير الى ناحية جديرة بالانتباه :

وهي مسألة اللغة ، وماذا جنت الاذاعة عليها عموما ٠

في البدء ، تجدر الاشارة الى مسألة مهمة ٠ تلك هي الحضـــارة ، وسير الزمن ٠ فعندما استعبدت الامم الغربية القـــوية الشأن ، الامــم الصغيرة أوالضعيفة ، انتصرت الحضارة والثقافة الغربية على حضارة وثقافة الامم المستعبدة ٠ ولقد أدى هذا اللقاء الى تغذية القلوب والعقول على حد سواء ، فظهر أثر ذلك في التعبير ٠ فان أدت انتصارات الدول الغربية الى نصـر عسكري واقتصادي كبيرين ، فلا شك انه نصر حضاري وثقافي ، أدى الى أزمة بدت واضحة في شعوب الامم المغلوبة ، متمثلة في (أزمة التعبير) ٠ وواضح ان قضية التعبير التي يعانيها انساننا المتخلف المعاصر واضحـة ــ أشد الوضوح ــ في اللغة ، وتتضح شيئا فشيئا في الركاكة اللغوية ٠

هذه مسألة لا نريد التعمق فيها ٠ فلهذا البـــاب بحث حضـــاري وفلسفي الاجدر معالجته في بحث خاص ٠ بيد اننا نود التنويه عنه ، قبل التطرق الى أثر الاذاعة في اللغة ٠

عندما قلنا ، ان جمهور الكلمة المذاعة ، على العموم ، جمهور غـــير مركز ، فاننا أغفلنا متعمدين ، اللغة التي تستعملها الاذاعة في مثل هــذه الحال ٠ لقد قلنا انها تستعمل الكلمة الواضحة البسيطة ، ولكننا لم نشر الى الركاكة والعامية ٠ ونرى ذلك واضحا لدى الاذاعات العربية ، خاصة ٠

عندما تصل الغاية الى نقطة مهمة ، بحيث تضطر الكلمة المذاعة الى الولوج الى مشاعر المستمع ، ومحاولة تغيير مفاهيمه ، فانها تلجأ الى اللغة التي يفهمها ، وعندما تكون اللغة التي يفهمها لغة عامية ذات طابع خاص ، فبامكاننا الحكم على الاذاعة بأنها تعمل وفق قاعدة « الغاية تبرر الواسطة » ولو في مجال اللغة على الاقل ٠

ان ذلك يساعد على نشر الركاكة واللهجات المحليـــة ، ودحر اللغة الأم ٠ ونظرة واضحة الى الدول العربية تدلنا الى مدى ما وصلت اليه من تشجيع مؤلم للهجات الاقليمية ، ومن دحر للغة العربية الاصيلة ٠ ولعل السبب في انشاء اذاعة « البرنامج الثاني » في القاهرة ، يبدو الآن واضحا ٠ وهي الاذاعة الموجهة الى المثقفين بالعربية الفصحى ٠

ولعل ذكر الدول المتخلفة يقودنا الى مأساة الكلمة المذاعة فيها ٠ فالذي يجده المرء ، أول مايجد : اللاتنظيم ٠ والواقـــع ان افتقاد عنصر التنظيم في هذه الدول لايقتصر على الكلمة المذاعة ٠ ان هذا العنصر المفقود يتضح أيضا في افتقاد التنظيم الاقتصادي والاجتماعي والسياسى الدقيق ٠

ان مشكلة الاذاعات المتخلفة تنحصر في عدم وجود عناصر كفوءة ذات خبرة ومفهوم اعلاميين ٠ وان حل معضلتها الاولى ، انما في ارسال المزيد من العناصر الكفوءة بأوليات علم الاعلام والدعاية ، للتخصص في هذا الحقل بصورة عميقة وجدية ، كيما يكون لهم ــ أثناء عملهم ــ مفهوم وآيديولوجية

اعلامية ترسم لهم الطريق

ثمة كلمة أخيرة تقال في الختام ، هي ان الكلمة المذاعة ، كلمة لهـا دورها في العمل الاعلامي ، لذلك فهي تشترط الـكفاءة ، والتخصص ، والتخطيط . فكما يشترط في الاذاعي حسن الصـــوت ، ومتانة اللغة ، تشترط فيه العقلية الاعلامية الفذة ، كيما يتم له الاندماج مع ما يقولـه وهو يجلس ـ في غرفة صغيرة ـ أمام المايكروفون وذلك الصندوق المغلف الصغير الذي ينقل الكلمة بواسطة أمواج الاثير حول العالم مرات عديدة .

لم يعد الاذاعي رجلا يعمل ليجني المـادة ، انه اليوم رجـل يؤدي رسالة - وهي بلا شك الرسالة الاعلامية الفعالة التي غدت ميزة بارزة في مجتمعنا الدولي المعاصر ، هذه الايام .

---

(١) فن العلاقات العامة والاعلام ـ ص١٩ .

(٢) فن العلاقات العامة والاعلام ـ الدكتور ابراهيم امام . ص١٧٩ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) انظر مقدمة وديع فلسطين وحسين خليفة لكتاب « العلاقات العامة فن » تأليف ادوارد ل. بيرنز وآخرون ، وفيها يقولان : « ... ولو ان الدعاية في حد ذاتها أداة محايدة يمكن استعمالها في نواحي الخير والشر ، والخير أساسا لا الشر » ص ١١ .

(٥) « الاتصال بالجماهير » ص٦٠ .

(٦) المصدر السابق ص٧٤ .

(٧) « الكلمة المذاعة ـ الدعاية ـ الخبر ـ الحديث » ص٥٥ .

(٨) المصدر السابق ص ٨٦ ـ ٨٧ .

(٩) وكذا الامر بالنسبة (للتلفزيون) - فيتطلب الامر تهيؤا بدنيا وذهنيا . اذ يجب الجلوس أمام الجهاز ، وفي حالة تركه لفترة ، فاتنا الإعلام المرئي .

(١٠) لا يهمنا ما يقدم في هذا البرنامج من دس رخيص ، ولكن الذي يشغلنا التخطيط الاعلامي الناجح المتبع في هذا البرنامج .

(١١) في حالة التلفزيون ، تكون كثافة مشاهدية محدودة بقوة البث . أما السينما فتقتصر شاشتها البيضاء على روادها وهم بضع مئات . ولكن الكلمة المذاعة لا حدود لها ، لانها تنقل بواسطة الاثير الى العالم كله .

(١٢) « الرأي العام والدعاية وحرية الصحافة » ص٢١٠ .

(١٣) المصدر السابق - ص ٢٤٠ .

(١٤) انظر : المصدر السابق . و « الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم » .

(١٥) « الدعاية السياسية » ص١٢ .

المراجع الانجليزية والعربية :

1. Baus, Hexbert M. "Publicity in Action".
2. Swedlen, Verne S. & Crawford, Golda M. "Manin Society".
3. Harbow, Rox F. & Black, Marvin M. "Practical Public Relations".

٤ ــ بيرنز ، ادوارد ل • وآخرون • ترجمة وديع فلسطين وحسنين خليفة:
« العلاقات العامة فن » •
٥ ــ الدكتور امام ، ابراهيم : « فن العلاقات العامة والاعلام » •
٦ ــ فريز ، لندلي • ترجمة عبدالسلام شحاته ، ومراجعة عثمان نويه :
« الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم » •
٧ ــ الدكتور عبدالقادر ، حسنين : «الرأي العام والدعاية وحرية الصحافة»
٨ ــ محمد ، محمد اسماعيل : « الكلمة المـــذاعة ــ الدعاية ــ الخبر ــ الحديث » •
٩ ــ بارنو ، ارك • ترجمة : صلاح عزالدين وآخرون «الاتصال بالجماهير» •
١٠ــ الدكتور حسين ، عادل • « العلاقات العامة فن » •
١١ــ الدكتور سعفان ، حسن شحاته : « التلفزيون والمجتمع » •
١٢ــ الدكتور فهمي ، محمود : « الصوت والصورة » •
١٣ــ مقالات الدكتور عبداللطيف حمزة والدكتور حسين عبدالقادر في مجلة « المجلة المصرية للعلوم السياسية » لسنة ١٩٦٤ •



رقصة الفلاحة

عبد الجبار كاظم العاشور

أفــراح السوســن أفراحــي
وكــــؤوس النرجس أقــداحي
والنبــع يشعشــع لــو تــدري
للفجــر
ويغفــو مصبــاحي

أطيــاف تلــك ضبابيــه
تهتــز وترســل أغنيــه
والــدف يثــرثر بالنقــر
كالسحــر
لرقصة « چوبيه »

فهنــا داري وهنــا غنمــي
ووليــد يرضــع من شــممي
والبهجــة تمــرح في صــدري
كالطــير
وانهــل من نعمــي

بالنــاي ، بغنــوة « بوذيه »
بلحــاظ شــهل عربيــه

بلسان يلهج بالشكر
كالبدر
يناجي أمسيه

وتناغي المنجل والبذرا
فالبؤس على فمها ذكرى
والخضرة جنات تجري
بالخير
بأشياء أخرى

البلبل غازل أنجمها
ويقبل مزهوا فمها
ويحوم بينهما شعري
كالزهر
يلون مبسمها

في قلب البيدر مجرفتي
أسراب الطير محدثتي
والسنبل يزهو لو تدري
كالتبر
يهدهد أمنيتي

البيدر يضحك جذلانا
والصحو يعود كما كانا
والجدول رقراق يسري
بالبشر
يغذي الأغصانا

النتاج الجديد

المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف

تأليف : عبدالله الجبوري ، ٤١٢ صفحة من القطع المتوسط ، الطبعة الاولى ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م مطبعة المعارف ـ بغداد

تعريف : خليل ابراهيم العطية

الاستاذ عبدالله الجبوري واحد من شبابنا الناهض الغياري على تراثنا الخالد ؛ ما يزال يتحف المكتبة العربية بين آونة وأخرى بكتاب مؤلف أو محقق(١) وهو في كل ذلك مشهود له بالفضل ٠

وأولاء الذين تصفحوا نتاجه باركوا هذه الاطلالة التي رسخ كيانها في ظرف وجيز واثبت للملأ على ما يتمتع به أديبنا الشاب من علم واسع وتواضع ودأب ؛ وهي لعمري أمور يحتاجها من رسم لنفسه طريقاً لاحبة لا تخلو من عقبات ولا تعدم من ضنى وجهد ٠

وآخر ما صدر لاستاذنا الجبوري كتاب « المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف » اظهر فيه مقدرة فائقة في وصف المخطوطات الجديدة التي وردت الى مكتبة الاوقاف العامة او تلك التي فاتت المرحوم محمد أسعد طلس (المتوفى ١٩٥٩م) فلم يذكرها في طي مصنفه (الكشاف عن مخطوطات خزائن الاوقاف) المطبوع ببغداد ١٣٧٢هـ/١٩٥٣ أو تلك التي فهرس لها ووهم في نسبة بعضها الى غير مؤلفه ٠ اذ وجد الاستاذ الجبوري وهو يتسلم مهام أمانة مكتبة الاوقاف العامة ببغداد ١٩٦٣ عظم المهمة الملقاة على عاتقه وأن (الكشاف) لا ينجد الباحثين في أحايين كثيرة ؛ وخوفا من ضياع مخطوطات خلف صدأ الايام ؛ عزم على سد تلك

---

(١) للاستاذ في مجال التحقيق : ديوان رشيد الهاشمي ١٩٦٤ بغداد ، ديوان ديك الجن بمشاركة الدكتور احمد مطلوب بيروت ١٩٦٥ وديوان ابن النقيب دمشق ١٩٦٣ وفي مجال الشعر والنقد : اشباح وظلال بغداد ١٩٦٢ ونقد وتعريف ١٩٦٢ بغداد وفي مجال الفهرسة غير كتابنا هذا : فهارس البدء والتاريخ بغداد ١٩٦٥

الثغرات الموجودة في الكشاف بما توافر له من بصر بالمخطوطات وفهرستها وبما وهب به من صبر ودأب على مراجعة المظان والمراجع التي قد تزيل عقبة أو تزيد ايضاحا أو تصحح وهما ، فكان له ما أراد واذا بالمستدرك فكرة ثم عمل وجهد ومنهج بين الملامح واضح السمات ٠

وكان المنهج الذي ارتضاه لمؤلفه خير دليل له وللباحثين فكان أن :

١ ـ وضع لكل مخطوط رقما متسلسلا ابتداء من (١ ـ ٤٠٧) وجعل رقمه الذي به يستخرج من خزائن المكتبة أسفل الرقم ٠

٢ ـ ذكر عنوانات المخطوطات بحروف بارزات كما وردت في صدر المخطوطات أو اثنائها ٠

٣ ـ ولم ينس وهو يفهرس ذكر وصف المخطوط : عرضه وطوله وعدد ورقاته واسطره ٠

٤ ـ وجد ان بعض تراجم المرحوم طلس لا تنفع غلة الباحث فالتزم لنفسه : التفصيل فيما يحتاج ذلك ، وذكر أسماء المظان التي استشارها مع كل ترجمة ليسهل ذلك للباحثين الاهتداء بوساطتها الى ما يبتغون ٠

٥ ـ وكان له وهو يفهرس من ذكر المطبوع من المخطوطات ومحل الطبع وسنته وفي هذا تيسير للباحثين والمحققين ٠

٦ ـ لقد كان وصف المرحوم طلس للمخطوط مبتسرا فالتزم الجبوري بذكر كل ما يمكن ذكره عن المخطوط : من حيث ورقه ، خطه ، تجليده ، اسم ناسخه ، وهو امر مفيد لمعرفة المجهول من المخطوطات ٠

٧ ـ اختزل وصف بعض المخطوطات المشهورة ، واهمل التي لم تتحقق نسبتها مكتفيا بوصفها ماديا وذكر اسم مؤلفها وسنة الوفاة ٠(٢)

ومن يتصفح المنهج المذكور يكبر الرجل اذ لابد لكل كتاب يلتزم به صاحب مثل هذا المنهج ان يكون دقيق العرض مفيدا ٠٠٠ وهذا يظهر بجلاء عند قراءة الكتاب ومتابعة فصوله المقسمة حسب الموضوعات وهي :

١ ـ القرآن الكريم ص ٢٥ ـ ٢٦ وصف فيه ست مخطوطات من القرآن الكريم ٠

٢ ـ القراءات والتجويد ص ٢٧ ـ ٢٩ وصف فيه ثلاث مخطوطات في هذا الباب ٠

٣ ـ تفسير القرآن وعلومه ص ٣٠ ـ ٣٩ تناول فيه وصف اثني عشر مخطوطا ٠

٤ ـ الحديث وعلومه ص ٤٠ ـ ٥٢ ذكر فيه وصف ست عشرة مخطوطة ٠

---

(٢) تنظر مقدمة المؤلف ص١٧

٥ ـ السيرة النبوية وقصص الانبياء ص ٥٣ ـ ٦١ وصف فيه سبع مخطوطات .
٦ ـ الفقه ص ٦٢ ـ ١٤٤ وصف فيه ستا وتسعين مخطوطة .
٧ ـ المواعظ والحكم ص ١٤٥ ـ ١٥١ وصف فيه ثماني مخطوطات .
٨ ـ الحكمة والفلسفة والكلام ص ١٥٢ ـ ١٥٩ وصف فيه سبع مخطوطات .
٩ ـ الكلام والفرائض والتوحيد ص ١٦٠ ـ ١٧٥ ذكر فيه وصف اثنتين وعشرين مخطوطة .
١٠ ـ الردود والفرق ص ١١٦ وصف فيه مخطوطا واحدا .
١١ ـ التصوف والاخلاق الدينية وما اليهما ص ١٧٧ ـ ١٨٩ وصف فيه خمس عشرة مخطوطة .
١٢ ـ الآداب وما اليها ص ١٩٠ ـ ٢٠٠ ذكر فيه اثنتي عشرة مخطوطة .
١٣ ـ الشعر وما اليه ص ٢٠١ ـ ٢٢٠ : عشرون مخطوطة .
١٤ ـ اللغة وما اليها ص ٢٢٦ ـ ٢٣٠ : ست مخطوطات .
١٥ ـ النحو ص ٢٣١ ـ ٢٥٣ : ثمان وثلاثون مخطوطة .
١٦ ـ علم الصرف ص ٢٥٤ ـ ٢٥٩ : ثماني مخطوطات .
١٧ ـ البلاغة ص ٢٦٠ ـ ٢٨١ : ثلاث وثلاثون مخطوطة .
١٨ ـ الرياضيات ص ٢٨٢ ـ ٢٨٨ : ثلاث مخطوطات .
١٩ ـ الهيأة والفلك وما اليهما : ص ٨٢٩ ـ ٣٠٤ : اربع وعشرون مخطوطة .
٢٠ ـ علم الطب والكيمياء : ص ٣٠٥ ـ ٣١٧ : ثلاث عشرة مخطوطة .
٢١ ـ البلدان والجغرافية : ص ٣١٨ ـ ٣١٩ : ثلاث مخطوطات .
٢٢ ـ موضوعات مختلفة : ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ : مخطوطتان .
٢٣ ـ المجاميع : ص ٣٢٢ ـ ٣٧٢ : وصف احدى واربعين مخطوطة .

من هذا الاجمال تعلم انه وصف سبعة واربعمائة مخطوط مشيرا الى موضوعه ومحتوياته ومؤلفه واسم ناسخه وعدد أوراقه فكان خير ملتزم بمنهج واضح السمات جلي القصد .

وكان مسرد التصويبات ص ٣٧٣ ـ ٣٨٢ خير ختام للجهد المضني الذي اضطلع به المؤلف فقد جلا فيه الاستاذ الجبوري أوهام الكشاف الطباعية وسواها فدلل بذلك على علم جم ومصابرة في استشارة المراجع لتقويم معوج وابانة مبهم .

ويحتاج مثل هذا الكتاب الى فهارس تساعد الباحثين على اكتناه محتوياته فكانت فهارس دقيقة : للاعلام وآخر للكتب وثالث للموضوعات .

---

(٣) المقدمة ص٨

ولا يفوتنا ونحن نوشك أن نضع القلم جانبا من الاشارة الى المقدمة النفيسة التي قدم بها الكتاب الدكتور صالح أحمد العلي عميد معهد الدراسات الاسلامية العليا تلك المقدمة العميقة التي جلا فيها أهمية ظهور الاسلام للعرب وكيف استطاع الدين الحنيف من الانتشار في اصقاع الارض وما صحبه من انتشار العربية مع الفاتحين و (ما افادها في انتشارها غناها بالمفردات ، وخاصة ما يتعلق بالحياة الانسانية منها ، ومرونتها وقابليتها على الاشتقاق(٣) ٠

وخلص من ذلك الى الكلام على التاليف لدى العرب والمسلمين وما خلفوه من كنوز في حقول المعرفة واومىء الى اهمية المخطوطات المكنوزة وضرورة فهرستها مشيرا الى اولئك النفر الذين جمعوا المخطوطات أو نشروا فهارس لها والضنى الذي يحتاجه مفهرس المخطوطات وعرج وهو ينهي مقدمته الى القول (٠٠٠ والسيد عبدالله الجبوري من الباحثين الدؤبين ملأ الله قلبه بالايمان بقيمة التراث العربي والاسلامي فاندفع متحمسا لخدمة وتيسير العمل للباحثين وكان له من صبره واناته وسعة اطلاعه وامانته خير معين على انجاز هذا العمل الذي اعتقد ان كل من يطلع عليه سيطرى صاحبه وسيشكره) ٠

وبعد : فان الحديث عن أهمية الكتاب لا يقدره الا كل مشتغل بهذا الفن عارف بمقدار الجهد الذي يبذل في سبيل تأليفه وتبويبه فأحر بالمحققين والقومة على هذا التراث تشجيع أولى الكفاءة والاخذ بناصرهم ليبدعوا وينتجوا والى المجمع العلمي العراقي الذي ساعد على طبع الكتاب خالص التهنئة على مساعدة امثال هذه الكتب القيمة المفيدة ٠

شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه

بقلم : سامي مكي العاني

من آن لآخر يطلع علينا رجال العلم والفن والادب بآخر ما دبجته يراعاتهم وتفتقت عنه أذهانهم ، وسمت اليه خيالاتهم ، فينيرون لنا سبل المعرفة ، ويفتحون مغاليق أبوابها ٠

ومن كتب الموسم الجديرة بالاهتمام ، الحرية بالمطالعة كتاب « شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه » للسيد يحيى الجبوري ٠

وتكمن أهمية هذا الكتاب في أكثر من جانب ، ومن هذه الجوانب :

١ ــ قدسية الفترة التي يبحث فيها ، وشرفها بالنسبة لنا ــ معشر

العرب والمسلمين – فهو يبحث في عصر النبوة والرسالة ، الذي تقرر فيه وجودنا ورسمت أهدافنا ، وارسيت قواعد نهضتنا .

٢ – تفرد المؤلف في موضوع الكتاب ، فلم يسبقه الى النشر احد من الباحثين ، ولا يوجد كتاب يغني عنه في بابه – لحد الآن على الاقل –(١).

٣ – غزارة معلوماته ، ودقة ترتيبه ، وجمال تنسيقه ، واناقة طبعه .

ومع كل هذه المزايا فلي على الكتاب ملاحظات أود ان اعرضها فقد تكون فيها فائدة للقارىء الكريم ، وهي وجهات نظر لا تنال من قيمة الكتاب ككل متكامل . وليس لي من ورائها غير اظهار الحقيقة ، وخدمة الادب ، وانصاف التاريخ .

(١) جاء في ص ٢٣ قول المؤلف :

الاحباش : وهم الرقيق الاسود المستورد من افريقية ، وقد عرف اولئك (بالاحابيش) .

والمعروف ان الاحابيش هم غير الاحباش . فحبشي بالضم جبل باسفل مكة ومنه احابيش ، لانهم تحالفوا بالله أنهم ليد على غيرهم ما سجا ليل ووضح نهار ومارسا حبشي(٢) . اما الاحباش فهم كما عرفهم المؤلف .

(٢) جاء في ص ٢٤

قوله بان كثيرا من الجاهليين كانوا يسخرون ويهزأون من اصنامهم ، وضرب مثلا ولائك الجاهليين بالاعراب . والاعراب كما نعلم لايمكن ان يكونوا مقياسا للجاهليين ، منهم رقيقوا الدين ، ضعيفوا الايمان حتى بعد اسلامهم . والمؤلف ذكر ذلك في اكثر من موضع من كتابه ، وكان بودي ان يكون مثاله بغير الاعراب .

(٣) جاء في ص ٢٨

لم يكن لاتباع اليهودية والنصرانية كبير أثر في الجزيرة ، وهذا غير صحيح من الوجهة التاريخية ، فالمعروف انهم سيطروا على مدن وقرى بكاملها . ذكر اليعقوبي : « شهود قوم من الاوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير »(٣) وقد تنصر كثير من العرب قبل الاسلام ايضا (٤) والقرآن الكريم زاخر بالآيات التي تجادل أهل الكتاب لا من اجل اقناعهم فحسب – كما اتصور – بل لرفع ما قد ترسب في افكار العرب من هذه الاثار ، اما تأثيرهم الاقتصادي فلا حاجة للتدليل عليه هنا فانه اشهر من ان نعرف به .

(٤) في ص ٤١

يعزي المؤلف الحكمة في تنزيه الرسول عليه السلام عن قول الشعر وعن أن يكون شاعرا الى ان الله سبحانه وصف الشعراء بالطيش

والسفه ، وبأنهم قوالون غير فعالين ، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى « والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون » • ولكنه لايذكر تمام الايام التي تستثني الشعراء الصالحين المؤمنين وهي « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتقدوا من بعد ما ظلموا •• » فالنعوت التي وصف بها الشعراء لا تشمل جميع الشعراء لينزه الرسول عن قول الشعر • هذا من ناحية ، اما من ناحية اخرى فاني أرى ان الحكمة هي اثبات نبوة محمد عليه السلام ، وان قوله وحي وليس شعرا كما زعم المشركون ، وقد ردد القرآن الكريم على زعم المشركين بقوله : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين » • فالرسول اذن ليس شاعرا لان ما جاء به قرآن •

(٥) وفي ص ٤٢

ذكر بشأن موقف الرسول من الشعر الحديث المشهور « لان يمتلىء جوف احدكم قيحا حتى يريه ، خير له من ان يمتلىء شعرا » وأهمل استدراك السيدة عائشة ، فقد جاء انها رفضت هذه الرواية وارتاعت لها عندما سمعتها وقالت : لم يحفظ ابو هريرة الحديث ، انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير له من ان يمتلىء شعرا هجيت به »(٥) • والاستدراك يوضح الموقف الحقيقي للرسول من الشعر ، فقد نهى عن لون معين منه ، وموضوعات خاصة ، لا تتعدى هجاءه الذي يعني هجاء الدعوة •

(٦) في ص٤٦

جاء في الفقرة الثالثة عنوان جانبي هو : انصراف الشعراء عن قول الشعر • وهو عنوان ضخم يوحي بأن المؤلف قد عثر على عدد من هؤلاء الشعراء • ولكن الحقائق لم تسعفه ، فاقتصر على شاعر واحد ظن ان نظريته قد صحت عليه • وهو لبيد بن ربيعة • وهو شاعر لم تؤيد الشواهد التأريخية ما ذهب اليه المؤلف من انصراف عن قول الشعر • ولا أريد ان اثقل على القارىء بعرض تلك الشواهد • وانما اكتفي بما كتبه المؤلف من هذا الموضوع في كتابه ــ لبيد بن ربيعة العامري ــ فقد اختار عنوانا طريفا لهذه الحادثة سماه ــ اسطورة هجرة الشعر ــ (٦) ومما جاء تحت هذا العنوان قوله في ص ٥٠ « وبين يدي الباحث تركة ليست بالهينة من شعر لبيد الذي قاله في الاسلام » • وقوله « الا انه قال في الاسلام غير بيت » وقوله : « على ان الشعر الذي نطمئن الى انه قاله في الاسلام ليس بالقليل » •

واظن ان بعض هذا كاف لان يخرج الشاعر الوحيد الذي اتى به شاهدا على من انصرف عن قول الشعر في الاسلام • اما ضعف شعر حسان فهو ليس مما يدعم رأيه لان الضعف ليس الانصراف •

(٧) وفي ص ٦٧

اورد في الهامش عن حسان بن ثابت « لقد كان جبانا لا يشـــــهد الحروب » واظن ان كلمة جبان لا تليق بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الجبن والايمان لا يجتمعان · وحتى مدلول الكلمة لاينطبق على حسان لانه لم يقعد عن الحروب جبنا وانما لقطع اكحلة وعدم استطاعته مسك السيف او نحوه للقتال · فقد انشد الزبير قول حسان :

أضر بجسمي مر الدهـــــور وخان قراع يـــدي الاكحـــــل
وقد كنت اشهد وقع الحروب ويحمـــــر في كفي المنصـــــل

وروي عن الاصمعي انه قال : الدليل على ان حسانا لم يكن جبانا انه كان يهاجي خلقا فلم يعيره أحد منهم (٧) ·

(٨) في ص ٧٢

ذكر ان رسول الله عليه السلام آخى بين كعب بن مالك وبين طلحة ابن عبيد الله · واغلب المصادر تشير الى مؤاخاته مع الزبير بن العوام · اما طلحة فكان اخا للزبير في مؤاخاة المهاجرين فهو أخو أخيه (٨) · وعن هشام بن عروة عن ابيه قال : اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الزبير وبين كعب بن مالك · قال الزبير :

فلقد رأيت كعبا اصابته الجراحة بأحد فقلت لو مات فانقلع عن الدنيا واهلها لورثته ، فنزلت هذه الآية : « واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله » فصارت المواريث بعد للارحام والقرابات ، وانقطعت تلك المواريث في المؤاخاة (٩) ·

(٩) في ص ٧٣

في معرض حديثه عن مناقب كعب بن مالك ، قال : الا انه تخلف عن غزوة تبوك · وافاض في قصة هذا التخلف وموقف الرسول منه كما هو مدون في كتب التاريخ · الا انه أهمل ذكر سبب تخلفه مع انه موجود في جميع الكتب التي تناولت حديث تخلفه ، وقد ينصرف ذهن القارىء الى ان الشاعر تخلف نفاقا او ضعفا ، مع انه قد ابطأت به النية عن رسول الله من غير شك ولا ارتياب · وهذا موجود في سيف ابن هشام ايضا ، وهو المصدر الذي اعتمد عليه في سرد قصة تخلفه ولا ادري سبب اغفاله ·

(١٠) في ص ٨٨

في تعليل قلة شعر عبدالله بن رواحة ذكر المؤلف فرضين ·

اولهما : ضياع شعره ·

وثانيهما : ان شعره قل بعد الاسلام ·

اما الحقيقة التاريخية التي يمكن ان تكون اولى الفروض وهي انه توفي في السنة السابعة للهجرة اي قبل صاحبيه بحوالي نصف قرن . فلم تخطر للمؤلف على بال .

(١١) ص ٨٨

قال عن ابن رواحة ان كتب السيرة والادب لم تنقل الا بضعة مقطوعات من شعره . وكلمة بضعة كما هو معروف تعني . ما بين الثلاث الى التسع .

واقل استقصاء يثبت عدم صحة ما ذهب اليه المؤلف . فهو نفسه روى في كتابه سبع مقطوعات ، ولو رجع الى سيرة ابن هشام والاصابة والاستيعاب وهي على رأس قائمة مصادره ، لتردد في اطلاق حكمه السابق . فقد روى ابن هشام اربع مقطوعات غير التي ذكرها المؤلف(١٠) وصاحب الاصابة(١١) مقطوعة زيادة على ما ذكر وكذلك صاحب الاستيعاب(١٢) . ولو عدنا الى مصادر اخرى لوجدنا اكثر من هذه الثلاث عشرة مقطوعة .

(١٢) في ص ١١٨

ذكر انه عليه السلام كان لا يرضى ان ينال شعراؤه من اعراض القرشيين او ينتقصوا من احسابهم ويعيروهم بضعة الشأن والنسب وفق السنن الجاهلية .

اما النيل من الاعراض فنحن مع المؤلف بانه مما لا يرضاه رسول الله ونهى عنه شعراءه ، ولكنه لم يثبت اطلاقا انه نهى شعراءه عن تعيير المشركين بالاحساب والانساب ، وهجاء حسان بمجموعه لم يخرج عن هذا النهج ، وكان الرسول ينصحه بان يذهب الى ابي بكر ليحدثه حديث ايامهم واحسابهم .

والذي ثبت عكس ما ذهب اليه المؤلف فقد روي انه عليه السلام كان يخاطب شعراءه : « قولوا لهم مثل ما يقولون لكم »(١٣) لان هذا النهج هو الذي كان يؤثر في المشركين ويخوفهم ، اما التعيير بعبادة الاوثان والشرك فهو ما لم يكن يأنفه القرشي ولم ير فيه عيبا لانه دينهم الذي ارتضوه .

(١٣) ص ١٣٦

ذكر المؤلف : حتى قالوا ضرار بن الخطاب فارس قريش وشاعرهم . ولم يشر الى مصدر هذا القول .

ولا ندري من قال ذلك ؟ واين ورد هذا القول ؟ .

(١٤) ص ١٨٤

جاء قوله : ويزعم بروكلمان ان اكثر ما روي من شعر امية بن ابي

الصلت منحول عليه • ما عدامرثيته لقتلى بدر •

وقد مر المؤلف على هذا الرأي دون اي تعليق تأييدا له أو تفنيدا مع انه افاض في الحديث عن شعر امية حتى استغرق ست صفحات ، واستشهد بغير المرثية وابدى رأيه في شعر امية فقال : ان شعر امية عامة فيه ضعف ولين ، ولم يكن شعره حجة على الكتاب فهل جاءت هذه الاحكام بالنسبة للشعر المنحول ، ام الاصيل ؟ ومـا موقف المؤلف من نظريـة بروكلمان ؟

(١٥)

ذكر بشأن مقتل كعب بن الاشرف : فاستأذن نفر من المسلمين رسول الله (ص) في قتله فاستدرجوه فقتلوه • والتاريخ يذكر بان رسول الله عليه السلام هو الذي طلب الى المسلمين ان يخرج منهم من يقتله فاستجاب نفر من المسلمين واستدرجوه فقتلوه • وقول كعب بن مالك الذي استشهد به المؤلف :

بأمر محمد اذ دس ليلا   الى كعب اخـا كعب يسـير

يؤيد ما ذهبنا اليه •

جاء في سيرة ابن هشام بعد ان شبب كعب بنسـاء المسلمين قال رسول الله عليه السلام من لي بابن الاشرف ، فاجابه محمد بن مسلمة فاجتمع في قتله مع سلطان بن سلامة وعباد بن بشر والحارث بن اوس وابو عبس فاستدرجوه الى حيث قتلوه(١٤) •

(١٦) ص ٢١٤

نقل عن صاحب الخزانة قوله ان العباس بن مرداس هو ابن الخنساء الشاعرة •

وارى انه على المؤلف ان يقف عند هذا الخبر لاكثر من سبب منها : ان البغدادي قد انفرد بهذا الخبر ، وهو متأخر ، فلا يمكن ان يقول عليه في خبر لم يتفق معه فيه احد قبله ، وقد اورد ابن حجر في الاصابة عبارة توحي بشكه في الموضوع فقال : وزعم ابو عبيدة ان الخنساء الشاعرة المشهورة امه • ووصية الخنساء الشهيرة لم تذكر العباس بين ابنائهـا الاربعة • وجميع من ترجم للخنساء المحدثين لم يذكر لها سوى اربعـة اولاد ، هم عبدالله وامعاوية ويزيد وعمر(١٥) •

وارى ان البغدادي ذكر هذا الخبر لان العباس كان ابنا لمرداس من غير الخنساء فسماها امه تجوزا •

(١٧) في ص ٢١٣

اتى المؤلف على ذكر شعر القبائل ، ولم يذكر عمرو بن معدي كرب

الا مستشهدا له ببيتين في الردة مع انه من كبار الشعراء البدو وقد ذكر ابن هشام قصيدة رائعة يتحدث فيها عن اسلامه(١٦) واخرى في عصر عمر رضي الله عنه ، وكتب الادب زاخرة بشعره ·

(١٨) في ص ٣٤٩

حين اراد ان يعلل ارتباط الشعراء المخضرمين بالمثالية الجاهلية ذكر ان اكثرهم كان نضجهم الفني والعقلي في الجاهلية وقال ان كعب بن مالك ادرك الاسلام وهو كبير ، واذا كان هذا جائز بالنسبة لحسان فهو لا يمكن ان يقال بالنسبة لكعب فحسان اسلم وهو في العقد الثامن اما كعب فلم يتجاوز الخامسة والعشرين ·

(١٩) ص ٣٤٨

جعل عنوانا : خصائص شعر المخضرمين ، وكان المفروض ان نرى براعة المؤلف في هذه الصفحة وما بعدها ، ولكن الذي يلاحظ هو غير ذلك فقد جاءت خلوا من اية دراسة فنية لهذا الشعر فليس هناك خصائص لمعانيه والفاظه ولا صوره واخيلته ولا اوزانه وقوافيه انما هو سرد تاريخي لفنون شعر المخضرمين · مع ان هذه الصفحات هي الميدان الذي يتجلى فيه ابدع المؤلف ويتضح جهده ·

(٢٠)

من الاصول المتفق عليها بين الباحثين ان يكون ترتيب المصادر زمنيا عندما يشار اليها في الهامش · ولكن المؤلف خرج على هذه الاصول اكثر من مرة · فقد ذكر في ص ٨٢ السيرة النبوية فحماسة ابن الشجري ثم مغازي الواقدي · وفي ص ٨٦ ذكر طبقات ابن سلام ثم طبقات ابن سعد · وفي ص ٩٢ ذكر السيرة النبوية فامتاع الاسماع ثم عاد الى مغازي الواقدي وهكذا في ١٠٤ و١٣٥ و٢١٣ ·· الخ ·

(٢١) في ص ٥٣

اورد المؤلف الاراء التي حددت معنى الخضرمة · وقد كان موفقا في جمعها وتنسيقها · ولكن يؤخذ عليه انه لم يحاول ان يبدي رأيه او يرجح احد تلك الاراء · مع ان دراسته كلها قائمة على شعر تلك الفترة ، وارى ان البت في مثل هذه الامور من مستلزمات البحث العلمي ·

(٢٢)

مما يحمد عليه المؤلف في كتابه هذا الجهد الكبير الذي بذله في اخراج فهارس الكتاب حتى اوصلها الى خمس وسبعين صفحة ، ولكنه

ضن على القارىء بصفحة واحدة يفردها لما وقع في الكتاب من اخطاء مطبعية شوهت اخراجه ، اعرض لبعضها على سبيل المثال •

ص	الخطأ	الصواب
٣٥	مصالهم	مصالحهم
٨١	ردت	وردت
١٢٧	يكون	يكن
١٥٠	بين	بن
١٨٧	شاهر	شاعر
١٩٩	المسلون	المسلمون

واخيرا ارجو الا اكون قد اثقلت على القارىء ، واني عند رأي الذي اثبته في صدر الكلام بان هذ الملاحظات لا تقلل من قيمة الكتاب وجهد المؤلف •

---

(١) سبق ان اعد الدكتور حامد متولي الخولي رسالة دكتوراه موضوعها (شعر المخضرمين) نوقشت في اداب جامعة القاهرة سنة ١٩٥٦ ولم تنشر •

(٢) انظر القاموس المحيط مادة (الحبش) •

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢٩٨/١

(٤) الواحدي : اسباب النزول ٥٨

(٥) الزركشي : الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ٦٧

(٦) يلاحظ ان المؤلف نفسه نفي انصراف لبيد عن قول الشعر في كتابه شعر المخضرمين ايضا وردد ما سبق ان قاله في كتابه لبيد • انظر ص ٢٣٤ ـ ٢٣٨

(٧) المبرد : الفاضل ص ١٣

(٨) تفسير الطبري ٥٥٥/١٥

(٩) السيوطي : لباب النقول ص ١١٤ وانظر الزمخشري : الفائق ٤٥٩/١ •

(١٠) انظر السيرة ٦٥٥/١ و ٣٧٤ و ٣٧٥ •

(١١) ابن الاثير : الاصابة ٢٩٩/٢

(١٢) ابن عبد البر : الاستيعاب ٢٨٧/٢

(١٣) انظر سيرة ابن هشام ٥٤/٢ •

(١٤) انظري كتابي الخنساء لبنت الشاطىء ولمحمد جابر الحيني •

(١٥) ابن هشام ٥٨٣/٢

(١٦) ابن هشام ٤٠/١

آراء وتعقيبات

لغة هذيل أيضا

غسان نورالدين

المقال الذي نشرته الاقلام (العدد ١١) بعنوان (لغة هذيل) بقلم الاستاذ خليل ابراهيم العطية فيه اثارة وطرافة فالبحث في لغات القبائل طريف ومجد ، ولقد دأبت منذ اعوام طويلة على تجميع ما يخص كل قبيلة على حدة مقدرا ان هذا يوفر على اللغويين وقتا وجهدا كبيرين • وقد حصلت لدي طائفة صالحة من ذلك وان كنت اقدر ان وقت نشرها لم يحن فما زالت مظان كثيرة لم اراجعها ، فاما وقد بادر الاستاذ العطية الى نشر بحثه فاني لم اجد بدا من التعقيب •

ولقد اشار الاستاذ الباحث في اكثر من موضع من مقاله الى انه سيعود الى هذا البحث ثانية وكان علي ان انتظر • على انني رأيت فيما اورده في مقاله المنشور مسائل تستدعي التعليق والتصحيح فآثرت ان اجمع كل ما لدي في مقال يجيء تاليا لمقاله الاول وربما كان لي كلام حول مقاله الثاني بعد نشره •

واستدركت على الباحث بما تيسر لدي على ندرة المصادر وبعدي عن دفاتري وجزازاتي •

ولا أجد بأسا في أن اورد اولا الحوظة حول عنوان المقال قبل الدخول فيه فان كلمة (لغة) جاءت في النصوص القديمة تعني ما نعنيه الان حين نقول (لهجة) واقترح المرحوم الدكتور محمد مندور كلمة (لغوة) لتدل على ذلك •

اما ملاحظاتي عن المقال نفسه فتتلخص في ان الاستاذ الباحث لم يتقص المصادر فيما اثبته ، خذ مثلا انه لم يراجع (الاقتراح للسيوطي) حيث يجد دعما لما اورده عن الفحفحة (ص٨٣ من الطبعة الثانية) ولم يراجع مغني اللبيب (باب متى) لتثبيت رأيه في (متى الهذلية)

ولي وقفة عند ما اسماه (الانطاء) وسماه السيوطي (الاستنطاء) ــ الاقتراح ٨٣ ، ٨٤ ــ واظنه الاصوب •

فقد نوقشت هذه الظاهرة اللغوية في دروس فقه اللغة التي كان يلقيها الدكتور ابراهيم السامرائي في كلية الاداب وخرجنا من ذلك بأن (اعطى) و (انطى) ليسا لغتين وانما هما وجهان لتطور صوتي دخل على الفعل (اتى) وثبت رأينا في هذا التطور ان شاهدا آخر على الاستنطاء لم يرد وان هـــذا التطور سار في سبيل معروفة ٠

فالفعل (اتى) في احد مساريه قلبت تاؤه طاء لقرب مخرجي الحرفين فانهما عند الخليل ابن احمد من الحروف النطعية وقد حدد مخرجهما مـع الدال بانه نطع الغار الاعلى ، وجعل سيبويه الحروف الثلاثة من مخرج واحد بين طرف اللسان واصول الثنايا ٠ وخالفهما المحدثون فجعلوا الطاء فيطائفة والدال والتاء فيطائفة اخرى على أنهم لم يبعدوا في تحديد المخارج اذ جعلوا الطاء من بين طرف اللسان وحافة الاسنان والدال والتاء من بين طرف اللســـان والاسنان العليا (الخليل بن احمد الفراهيدي ـ الدكتور المخزومي ص١٠٣) ولدينا من شواهد اللغة على صحة ما تذهب اليه ما يـكاد يكون ترادفـا في الافعال (مطـ ـ مد ـ مت)

والعوام يحولون التاء طاء في (ترهات) فيقولون (طرهات) ٠

وقلبت همزة (اتى) عينا في احد التطورات وذلك ليس غريبا فكـلا الحرفين من حروف الحلق وما زلنا الان نسمع البدو يقولون (اســـعل) ويريدون (اسأل) وقد سمعنا عجائزنا يقســـمن بـ (اهد الله) ويردن (عهد الله) ٠

وفي كتب اللغة ان (عن) لغة في (ان) (الاقتراح ٨٣ ومغني اللبيب مادة عن) ٠

وعدي الفعل (عطى) بعد ذلك بالهمزة فاصبح (اعطى) ٠

اما في المسار الاخر للتطور فقد شددت تاء (اتى) وهذا معـروف في مزيدات الافعال وقلبت التاء طاء وقد اسلفنا القول في ذلك وما زال العوام الى اليوم يستعملون (اطى) بالتشديد بمعنى اعطى ٠

وقد فك التضعيف بابدال النون باول الحرفين المدغمين وهذا معروف في مثل (جدل وجندل ورز ورنز) فاصبح الفعل (انطى)

واشار الاستاذ العطية نقلا عن مصادره ان (هذيل) لاتنبر ولدينا من شعر هذيل الكثير فلو تقصاه ليرى ان كان عدم النبر خاصا بالشواهـــد الواردة ام انها ظاهرة مطردة ٠

ولقد وضع الاستاذ الباحث (تخذ) في بـاب (التاء) واري ان يضعه في باب الهمزة وان يكن صاحب المنجد قد وضعه في باب التاء ايضا ٠

وسأورد الان اضافات على المواد التي جاء بها الاستاذ العطيه في بحثه وكل هذه الاضافات مأخوذة عن كتيب طبع على هامش تفسير الجـــلالين بجزئيه ٠ والكتيب للامام ابي القاسم بن سلام بعنوان (رسالة جليلـــة

تتضمن ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل) .

وفي خاطري ان الاستاذ المنجد قد طبع هذه الرسالة مستقلة على انني هنا سأعتمد المنشور على هامش تفسير الجلالين مشيرا الى الجزء فالصفحة فاسم السورة فرقم الاية فالمعنى .

(أ)

آناء الليل ١/٦٦	الاعراف ١١٣	ساعاته
أواب ٢/١٥٥	ص ٣٠	مطيع
الأمد ٢/٢٣٥	الحديد ١٦	الامل

(ب)

بدن ١/١٩٩	يونس ١٩٢	درع
المبذرين ١/٢٥٦	الاسراء ٢٨	المسرفين
بالهم ٢/١٩٩	محمد ٢	حالهم
برد ٢/٢٨١	النبأ ٢٤	نوم

(ث)

ثاقب ٢/١٤٤	الصافات ١٠	مضيء

(ج)

الاجداث ٢/١٤١	يس ٥١	القبور

(ح)

حرض ١/١٧٢	الانفال ٦٥	حض
حصيد ١/٢١٠	هود ١٠١	ما سوي من الارض

(خ)

يخرصون ٢/١٨٣	الزخرف ٢٠	يكذبون

واورد ابن سلام هذا ان (الخراصون) في سورة الذاريات الاية ١٠ في ص ٢/٢١٤ بمعنى (الكذابون) بلغة قيس عيلان وكنانه .

(د)

مدرارا /١٢٨	الانعام ٦	متتابعا

دسر ٢/٢٢٤	القمر ١٣	المسامير
دهاق ٢/٢٨١	النبـأ ٣٤	ملأى

(ذ)

ذنوب ٢/٢١٧	الذاريات ٥٩	نصيب

(ر)

مراغما ١/٩٤	النساء ٩٩	متفسحا
رجما ٢/٥	الكهف ٢٢	ظنـــا
يرجون ٢/١٩٢	الجاثية ١٣	يخافون

وفي ٢/١٥ الكهف ١١١ (فمن كان يرجو لقاء ربه .. الاية) يعني يخاف بلغة هذيل .

اما الاستاذ الباحث فقد اثبت (لم ارج) بمعنى (لم ابال) نقــلا عن مصادره وخرج قول ابي ذؤيب

اذا لسســعته النحل (لم يرج) لســـعها
وخالفهــــا في بيـــت نـــوب عواســـل

على هذا المعنى ولا ارى ما يمنع تخريجه بالمعنى الذى اورده ابن سلام. على اننا مدعوون في مثل هذه الدراسات الى التأني

ارجاء ٢/٢٦٢	الحاقة ١٧	نواحي

(ز)

زرابي ٢/٢٩٤	الغاشيه ١٦	الطنافس

(س)

السوء ١/٢٠٦	هود ٥٤	الجنون
السائحون ١/١٨٧	التوبة ١١٢	الصائمون
مسغبة ٢/٢٩٦	البلد ١٤	مجاعة

(ش)

اشتروا ١/١٥	البقرة ٩٠	باعوا
شاكلته /٢٦١	النحل ٨٤	ناحيته

(ص)

صلدا ١/٤٧	البقرة ٢٦٤	نقيا

(ط)

اطوارا ٢/٢٦٦	نوح ١٥	الوان

(ظ)

ظل /٢٤٥	النحل ٥٨	صـــار
ظنين ٢/٢٨٦	التكوير ٢٥	متهـــم
على قراءة من قرأها بالظاء		

(ع)

العنت ١/٣٨	البقرة ٢٢٠	الاثم
عزم ١/٣٩	البقرة ٢٢٧	حقق
عيلة ١/١٧٧	التوبة ٢٩	فاقة

(غ)

غمة ١/١٩٧	يونس ٧١	شبهة

(ف)

فورهم ١/٦٧	عمران ١٢٥	وجوههم
فرقان ١/١٦٨	الانفال ٢٩	مخرج
تفاوت ٢/٢٥٦	الملك ٣	عيب

(ق)

قرية ٢/٣٩	الانبياء ٩٥	أمـة
اقصد ٢/١١٤	لقمان ١٩	اسرع

(ك)

كبد ٢/٢٩٦	البلد ٤	شـــدة

(ل)

ملتحد ٢/٦	الكهف ٢٧	**ملجأ**

(م)

منوك ١/١١٠	المائدة ٢٢	احراز

(ن)

تنفروا ١/١٧٨	التوبة ٤٩ ، ٤٠ ، ٤٢	تغزوا

(هـ)

هضما ٢/٢٠	طه ١١١	تقصا
هامدة ٢/٤٢	الحج ٥	مغبرة
يهجعون ٢/١١٤	الذاريات ١٧	ينامون

(و)

وليجة ١/١٧٦	التوبة ١٧	بطانة
وزر ٢/٢٧٥	القيامة ١١	ولد الولد

نظرة في قصائد العدد الاول من الاقلام

عطا عبدالله العطار

انقضت سنة كاملة من عمر مجلة الاقلام الذي نرجو ان يطول ويثمر ، ونحن لا نقرأ نقدا للقصائد التي تنشر فيها • ولما كان النقد عاملا رئيسا من عوامل النهضة الادبية ، ولما كنت اتمنى واترقب ومعي الكثير من القراء ان نرى لهذا الفن الجميل بابا في أحسن مجلة تعنى بشؤون الفكر والادب في العراق ، فقد رأيت ان ابدأ هذه التجربة ، آملا أن ارى ما ينفعنا من النقد في كل عدد جديد ••

وها انذا اكتب عن القصائد مبتدئا من حيث التسلسل المكاني لها في صفحات المجلة •

١ ــ قصيدة : الحسين

بقدر ما يحمل اسم الحسين من معاني البطولة والتضحية والفداء ،

فهو يبعث في النفس لواعج الحزن وبوادر الشجن · وفي هذا الموضوع مجال كبير للابداع والتحليق ، ولكن الشاعر الدكتور زكي المحاسني لم يكن موفقا في عرض تجربته الشعرية بحيث يدفع القارىء الى الانفعال بقصيدتـــه والتحسس بها · ولما كان الحسين رضي الله عنه ، ملحمة خالدة من ملاحم التاريخ العربي والاسلامي في الشهادة والبطولة ، فقد كان جديرا بالشاعر ان يحلق في رحاب هذه الشخصية العربية الفذة ويبين للجيل ما تنطوي عليه من معالم التضحية والبطولة ، ليكون قدوة ومدرسة تعلمنا كيف ننافح عن الحق ونكافح في سبيله ·

والقصيدة بعد هذا من بحر الرمل ومطلعها :

عاطني دمعا وخذ مني عينا واحسينا ، واحسينا ، واحسينا

وقد جاء الشاعر فيها بأبيات تامة الاعاريض في حين ان القصيدة كلها محذوفة العروض · ويعتبر هذا الامر في نظر علماء العروض خطأ وشذوذا ، لان الابيات التي جاءت في هذا الشكل لم تكن مقفاة كما هو الحال في المطلع ، وهذه الابيات هي :

انا في الشـــام وتيار حناني ينتحي من ذكرك المحزون حينا
يسأل الريح اذا هبت رخـــاء في البوادي عن هوى قد كان دينا
يا مهادا في العراقين اجيبي اين مثوى ذلك المحبـوب أينــا

وقال بعد ذلك بأبيات :

ناصح قال له يا ابن مطيع لا تكن كبشـا على المنحـر هينـا

وقال ··

بابي انت وامي تلـــك روح غير ما تفديك فيهـا ما اقتنينـا

وعلى هذا فان الاذن المرهفة لتحس باضطراب في موسيقية القصيدة بفقدها النغمة الرتيبة ويحدث فيها بعض النشاز ·

والقصيدة في جملتها اقل من المستوى المتوسط ، وهي تعتمد على السرد التاريخي الذي يكاد يكون مملا ·

وحبذا لو ان الشاعر حذف ابياتها الضعيفة واعفانا من بعض الاحساس بالملل ·· مثل قوله :

كـــربلاء لفحـــة قهـــرية حملت في صفحة التاريخ شينا
هي لا ذنب لها عن بلـــدة من دعا الاحجار ان تلبس زينا

وقوله :

تلك همـــدان انت في مذحج وتميـــم ، وبأقدار طوينــــا

ابن عدي حجـــر دين وتقي   قتلوه ، قطعوا منـــه رديتـــا
فانبرى الصخب على عرض الملا   معشر الثأر يصيحون افتدينـــا

وفي ختام ملاحظاتي على هذه القصيدة اتمنى للدكتور حظا أكثر توفيقا في قصائده الجديدة ·

٢ ـ قالت لي ··

« قالت ساوصد باب قلبـــي دون الـــذي يغري ويسبي »

وهذه هي قصيدة الاستاذ الشاعر منير الذويب ، وهي من مجزوء البحر الكامل المرفل ، ويعتبر من اجمل المجزوءات وارقها ، ولكنه مع هذا يحتاج الى اذن موسيقية رهيفة للتمكن من ضبطه ·

بدأ الذويب قصيدته بمطلع جميل وتلاه بيت اجمل :

دون العيـــون الناعســات قـــد رعتهـــا ســـود هـــدب

لولا انه وقع في هذا البيت خطآن · الاول ، واظنه خطأ مطبعيا ، هو سقوط حرف « الواو » قبل كلمة « قد » اذ لا يستقيم الوزن بدونه · اما الخطأ الثاني فهو قوله « سود هدب » والصحيح ان يقال « سود اهداب » بصرف النظر عن القافية ، لان كلمة « سود » بصيغة الجمع بينما كلمـــة « هدب » مفردة ، ولا يمكن الجمع بينهما في مثل هذا الموضوع ، وهنـــا يكمن الخطأ ·

وقد ضمت القصيدة ابياتا رائعة فيها حرارة ودفء محببان :

دون اللقـــاء ودون همـــــــس الحب من بعد وقرب
دون الاكـــف وفي حـــــرارة لمســـــها الشـــوق الملبـــي

وابياتا صادقة الاحساس في معاناة مرارة الخيبة والاسى :ـ

حتـــى الذيـــن محضـــتهم ودي وبحـــت لهـــم بحبـــي
لم يسبـــروا غـــوري ولـــم يتحسسوا بهـــواي أو بـــي

كما ان القصيدة لا تخلو من ابيات لا تتناسب ورقتها ، وكان بامكان الشاعر ان يستغني عنها دون ان تؤثر في القصيدة شيئا : مثل ··

قالـــت ساوصـــد واعـــــلن هدنة من بعد حرب
كـــم ذقـــت من نكـــد بساحتهـــا ومـــن هـــول وخطـــب

ولكن يظهر ان الروح العسكرية للشاعر لا تزال تؤثر عليه لكونه ضابطا سابقا في الجيش ، فهو يستهويه ذكر الحرب والهدنة وساحات القتال ··

وبرغم هذه الملاحظات الصغيرة فان القصيدة لا تزال جيدة وجميلة .

٣ ــ قصيدة مؤتمر الادباء العرب .

قصيدة بمناسبة انعقاد مؤتمر الادباء العرب الاخير وهي تحية له :

اهتف به مكرما يا مرحبا　　مؤتمرا بجمع شمل الادبا

هذه هي قصيدة الشاعر عبدالغني الخضري ، وهي من بحر الرجز . واول ما يلاحظ عليها ، هو هذا الافتعال وهذه الخطابية التوجيهية التي يتسم به شعر المناسبات في كثير من الاحيان . ولكن هذا الافتعال وهذه لا ينفي كون السيد الخضري شاعرا ترفرف على قصيدته روح الشعر وتكاد تلثمها في قوله :

كونوا يدا كجذوة لاهبة　　تكن عداكم لسناها حطبا

وجميل منه ان ذكر الاعداء بصيغة المؤنث كناية عن ضعفهم ، واني كنت أود لو انه ابدل كلمة « لسناها » في البيت المذكور بكلمة « لظاها » لان السنى ضوء النار بينما اللظى ما يحرق منها ولذلك وجب ان يكون الحطب له .

وبعد ذلك فاني ارى انه من الحق علي ان أقر للشاعر بمتانة القصيدة كبناء وان احكم لها فاضعها في المكان الذي وضعت فيه قصائد المؤتمر الجيدة .. والممتازة .

واني لاهتف مع الشاعر بكل احاسيسي وهو يختم قصيدته بهذا التمني الرائع الملهوف :

فليت ماضي العزمات ما نبا　　وليت بركان الجهاد ما خبا

٤ ــ قصيدة « نــداء »

لا اكون مغاليا اذا قلت انقصيدة الشاعر حميد سعيد والتي مطلعها :

يرين على ملامحك الذبول　　وحسبي قد امض بك النحول

هي أحسن قصائد العدد واجملها ، لما يشيع فيها من رقة واشراق ، ولعل لتنوع القافية اثرا في تمكن الشاعر من بلورة فكرته وتجربته بهذا الاسلوب الشيق الجميل الذي لا يحس معه القارىء بافتعال او تكرار ، وبالتالي لا يحس بهذا الملل الذي كان يجثم على انفاس قصيدة الدكتور المحاسني ــ برغم اختلاف الموضوع بينهما ــ فكاد يخنقها .

ومع هذا فلا تكاد هذه القصيدة الرائعة ان تخلو من بعض المآخذ ولا أظنني مخطئا اذا قلت ان الشاعر لم يتعب نفسه في تنقيح القصيدة

ومراجعتها • ولو كان فعل للاحظ ان كلمة « قد » في المطلع لو وضع مكانها « أن » لكان الكلام أكثر استقامة وطلاوة •

القصيدة من البحر الوافر المقطوف ، وهي مجزأة على شكل مقاطع تتغير القافية في كل مطلع فيها •

يقول الشاعر في البيت الاول من المقطع الثاني :

اريدك كانطلاق العطر نشـوى   بانغـــام الحيـــاة لتسـمعيني

فهو يريد من حبيبته ان تكون مثل انطلاق العطر ، منتشية بأنغام الحياة لتسمعه ، وكأنها لو لم تكن كذلك لما سمعته ، وهذا معنى لا يستقيم لان العطر المنطلق لا يسمع • ولو قال « لتألفيني » بدل « لتسمعيني » لكان معنى البيت اقرب الى الواقع ولاصبح « اريدك كانطلاق العطر المنتشى بانغام الحياة لتأليفني وتعرفي احاسيسي ومشاعري لاني مثل هذا العطر » •

وقال في البيت الاول من المقطع الثالث :

افاتنتي أيظهر بي شحوب   وقد عصفت بشاعرك الدروب

واظنه كان يريد ان يقول : « افاتني الا يظهر علي الشحوب وقد عصفت الدروب بي » فاضطره الوزن ان يحذف « لا » ويستعمل حرف « الباء » بدل حرف الجر « على » فلم تسعفه الموهبة فوقع في الخطأ • لان الشحوب يظهر على الوجه ولا يظهر به •

وفي البيت الثاني من المقطع نفسه يقول :

اعيش ورغم مأساتي اغني   هنـــاك بقريتي ابدا طروب

وقد رفع كلمة « طروب » كما هو واضح في البيت ، بينما هي في الاصل منصوبة لانها حال من الفعل « اغني » فيكون توجيه المعنى حينئذ :

« انني اعيش هناك بقريتي وبرغم مأساتي اغني طروبا » •

ولست ادري ما الذي سوغ للشاعر ان يرفع هذه الكلمة ؟ هل اعتبرها خبرا لمبتدأ وقدر له في مخيلته الضمير « أنا » وكأنه يريد ان يقول : « وانا هنا بقريتي ابدا طروب » ؟

اذا كان ذلك ما اراد فهو تحميل للمعنى لا يمكن قبوله او الاقتناع به •

اما المقطع الرابع من القصيدة فقد بدأه :

وجدتك عبر دربي عين ماء   بصحرائي تنوز لي طريقي

وكان بمقدوره ان لا يجيء بكلمة « بصحرائي » لانها تكاد تكون تكرارا ثقيلا لكلمة « عبر دربي » ولو قال مثلا :

وجدتك عبر دربي عين ماء   مشعشعة تنـور لي طريقي

واحسبني لا أجد غضاضة في ترداد المقطع الاخير من القصيدة • اردده اعجابا بهذه الاغنية الموسقة :

فاتنتي اريدك لي ربيعـــا ، وينبوعا ونهرا من اغـــاني
وبيتا فاغما بالطيب انسى ، به الدنيا واوهـــام الزمان
وروضا عابقـا عطر الحنايا ، ولي في روض وجهك زهرتان
تسح على الدنى عطرا وحبـــا ، والحانا وفجـــرا من حنان

مع لفت نظر الشاعر الى انه كان يجب ان يقول في البيت الاخير : « تسحان على الدنى » مع مراعاة الوزن بعد ذلك ، لانه متحدث عن زهرتين •

واخيرا اقدم للشاعر تهنئتي واعجابي وارجو له التقدم والابداع •

٥ ــ قصيدة « رائعة »

لقد أكثر الشاعر في قصيدته من النداءات الرتيبة المتتالية رددها وهو يدور في مجال يكاد يكون واحدا ، فهو يرد بالحاح :

يا زهرة في روضتي ، يا غنوة ، يا نغمـــة ، يا انشودتي ،
يا حلما ، يا أحـــلامي ، يا امنيتي ، يا بســـمة الامال ،
يا نغمتي ، يارمز حبي •••

والقارىء برغم كـل هـذه النـداءات ، لا يفقـد لـذة الخدر الشعري ، وهو يهيم مع الشاعر عبدالستار في روضته المزهرة الرائعة ، أو وهو يتضرع الى حبيبته ويناديها بأرق النداء •
والقصيدة وان كانت تهيمن عليها روح شعرية حساسة ، الا انهـــا تفتقد الى الصور المتجددة اذ تكاد الابيات تتشابه من حيث الفكرة والاسلوب• كما اود ان ابدي ملاحظتي على البيت الثامن منها وهو قوله :

والبلبل الغريد في وكنه ، غنى فحيا النجمة الساطعه

فالبلبل لا يطلق تغريده في الليل وهو في وكنه ليحيي النجمة الساطعة ، وانما يطلقه مع أول خيط ذهبي ترسله الشمس وهي تغازل الارض • وكان باستطاعة الشاعر ان يستغني عن هذا البيت الـذي فصـــل بين بيتين متكاملين هما :

وقد تغنى الروض في زهوه ، اذ كنت فيه الباقة اليانعه
وصفقت نشوى على لحنـــه ، راقصة اغصانك الفارعـــه

وفي ختام تعليقي اود أن انبه على خطأين مطبعيين لا يغيبان عن القارىء

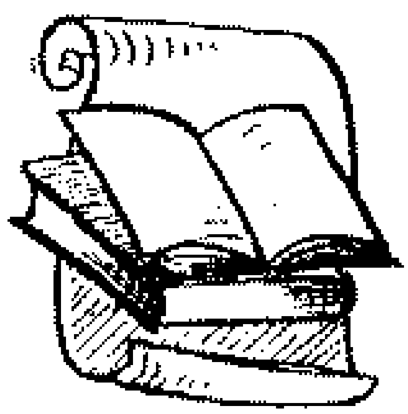
اللبيب ، وهما كلمة « الآسي » في البيت السادس والصحيح « الاس » و «يارمز انشودتي» في البيت الحادي عشر ٠٠ والصحيح «يارمز يا انشودتي» ٠

٦ ــ « نشيد العلم »

تغني الشاعر عبدالامير جمال الدين في نشيده بالماضي المشرق لبلادنا ٠ الماضي الذي شمخ صرحه على أسس العلم والمعرفة ، منذ عصر الاشوريين والبابليين ، حتى ازدهر واينع في عهد العباسيين ٠ والشاعر من هذا المنطلق يدعو الجيل الجديد للتسلح بالعلم ليصرع به الجهل ويقضي على التخلف ويستعيد امجاد الماضي ٠ والشاعر جمال الدين يرى في ثورة تموز العربية ، الامل المضيء الذي ينير لنا الدروب للوصول الى غاياتنا الكبيرة ٠

النشيد من بحر الهزج الغنائي الجميل ٠٠ نشيد رائع في تحية العلم ٠

هذه المامة سريعة ونظرة عجلى في قصائد العدد الاول من مجلة الاقلام وهي تخطو خطوتها الثابتة الثانية ، فارجو أن اكون قد خدمت بها الادب والشعر ، كما ارجو وانا أختم ملاحظاتي ان لا تحمل على أنها انتقاد ، وانما أحب ان تعتبر ــ كما اردتها ــ نقدا ، لا يحمل مجاملة ولا حقدا ٠



كتب الشهر

أبنية الصرف في كتاب سيبويه

تأليف الدكتورة خديجة الحديثي
٥٧٦ صفحة من القطع الكبير
منشورات مكتبة النهضة – بغداد

هذا الكتاب هو الرسالة التي تقدمت بها الدكتورة خديجة الحديثي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية من كلية الاداب بجامعة القاهرة .

وموضوع البحث هو الابنية التي تدرس في علم الصرف ، وذلك ان موضوع الصرف يشمل أبنية المفردات العربية وهي الأسماء المتمكنة والافعال المتصرفة من حيث البحث عن كيفية صياغتها لافادة المعاني المختلفة ، او من حيث البحث عن احوالها العارضة من صحة واعلال ، وابدال ، وابدال وادغام ، ووقف ، ونحوها .

والابنية جمع بناء ، والمراد به هيئة الكلمة التي وضعت عليها ، والتي يمكن ان يشاركها فيها غيرها . وهذه الهيئة هو ما تشترك فيه الكلمات من عدد الحروف المرتبة ، والحركات ، من فتحة وضمة وكسرة ، والسكنات مع اعتبار الحروف الاصلية والزائدة ، كل في موضعه . فالابنية على هذا الاساس تشمل الاسماء المتمكنة والافعال المتصرفة .

وتأتي اهمية هذا البحث من كونه يدرس جانبا من كتاب سيبويه الذي لا يختلف اثنان – كما يقول الاستاذ الدكتور شوقي ضيف – مقدم البحث – في انه أروع كتاب صنف قديما في النحو والصرف ، لا لان سيبويه بناه على غير مثال سابق فحسب ، بل ايضا لانه استوفى فيه قوانينها واستقصاها استقصاء بهر معاصريه ومن خلفوهم على مر العصور ، حتى اطلقوا عليه جميعا اسم (الكتاب) عنوانا يتفرد به دون غيره من الكتب التي عاصرته او ألفت بعده ، لما امتاز به من كمال في وضع اصول الصرف والنحو وضعا نهائيا بحيث لم يترك فيها للعصور التالية شيئا تضيفه الا بعض التفريعات والزوائد الطفيفة مما جعل صاعد بن احمد الاندلسي يقول « لا اعرف كتابا ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها اشتمل على جميع ذلك العلم واحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب ، احدها (المجسطي) لبطليموس في علم

هيئة الافلاك والثاني كتاب ارسططاليس في علم المنطق والثالث كتاب سيبويه البصري النحوي ، فأن كل واحد من هذه لم يشذ عنه من أصول فنه شيء الا ما لا خطر له » .

وقد قسمت الدكتورة الحديثي البحث الى تمهيد وثلاثة ابـــواب . تحدثت في التمهيد عن معنى الصرف ونشأته وتطور التاليف فيه وتكلمت على سيبويه وكتابه بصورة عامة وعلى عمله في الصرف بصورة خاصة .

وفي الباب الاول في « الميزان الصرفي » تكلمت في القسم الاول منه على معناه وفي القسم الثاني على كيفية وزن الابنية المجردة ، ثم على حروف الزيادة وانواعها ومواضع زيادتها وكيفية وزن الابنية المزيدة . وكان القسم الثالث من هذا الباب في « القلب المكاني » المقصود منه وعلاقة الميزان بـــه وتأثير القلب فيه .

وفي الباب الثاني في (ابنية الاسماء) بحثت في الفصل الاول منه أبنية الاسماء المجردة والمزيدة بصورة عامة وفي الفصل الثاني تكلمت على ابنيـــة المصادر وقسمتها الى مصادر قياسية وسماعية . وفي الفصل الثالث تحدثت عن أبنية المشتقات وهي اسما الفاعل والمفعول وصيغ المبالغة والصفة المشبهة واسما الزمان والمكان ، واسم الالة واسم التفضيل . وخصصت الفصـــل الرابع لبحث جموع التكسير وقسمتها الى قياسية وسماعية والى جمـوع كثرة وقلة وكان الفصل الاخير من هذا الباب يتعلق بالتصغير وصيغه .

وكان الباب الثالث في (ابنية الافعال) وقد قسمته الى فصلين تحدثت في الاول منهما عن « ابنية الافعال المجردة والمزيدة » . وفي الثاني عن (ابنية الافعال اللازمة والمتقدمة) كما تكلمت فيه على كيفية صوغ المبنى للمجهول من هذه الافعال . وقد وضعت في خاتمة البحث ملحقا لشرح الالفاظ الغريبة وزودته بثبت لفهارس الكتاب .

خيري الهنداوي
حياته وشعره

تأليف ــ الدكتور يوسف عزالدين

٣٢٠ صفحة من القطع الكبير

اصدار ــ معهد الدراسات العربية العليا بجامعة الدول العربية

خيري الهنداوي ــ كما يقول المؤلف « شاعر من شعراء العرب لم يكتب عنه ما يستحق ولم يعرف حق المعرفة ، شاعر من شعراء الطليعة العربية الواعية ــ قست عليـــه الايام التي عاش فيها وحالت دون خدمتـــه لامتـــه

ووطنه ، وقد ظلم من الباحثين والكتاب فما درس الدراسة الحقة ولم ينشر شعره بما يليق ومكانته الادبية وقيمته الفكرية ٠ »

وقد درس الكاتب في مؤلفه التيارات الادبية في العراق ثم تناول في الفصل الثاني حياة الشاعر وافرد الفصل الثالث لدراسة السياسة والوطنية في شعره ثم تحدث في الفصل الرابع عن الخمرة في شعر الهنداوي وفي الفصل الخامس عن اثر المرأة في شعره وفي السادس عن الرثاء ٠ وفي الفصل السابع تناول بقية الفنون الاخرى التي تناولها الشاعر خيري الهنداوي ٠

كما اشتمل الكتاب على عدة ملاحق اضافية في ادب الشاعر وفنه ٠

مؤلفات ابن الجوزي

تأليف ـ عبدالحميد العلوجي

٢٩٠ صفحة من القطع الكبير

منشورات مديرية الثقافة العامة ـ وزارة الثقافة والارشاد

يقول مؤلف هذا الكتاب في تمهيده « لقد هداني الاستقراء الى اعتقاد ان المسرد العام لمؤلفات ابن الجوزي يسور مع اكثر من اربعمائة كتاب استقر منهما مخطوطا اكثر من ١٣٩ كتابا في خزائن الكتب الشرقية والغربية المنتشرة في اوربا وامريكا والاتحاد السوفياتي والوطن العربي وايران والهند وتركيا وقد ضاع اكثر من ٢٣٣ كتابا وهو العدد الذي وصلت الينا عناوينه ، وطبع منها ٣٠ كتابا في القاهرة وحيدراباد ودمشق ولايبزك بالمانيا والقسطنطينية وليدن بهولندا وبومبي وبغداد ٠ وانني بعد هذا لا استطيع الادعاء بانني استنفذت الطاقة في ملاحقة ابن الجوزي وحسبي ان استدرك او يستدرك غيري عليه في يوم ات » ٠

وهو بعد ذلك يستعرض حياته واثاره ٠ وقد ذيل الكتاب بفهرس للاعلام وبمختصرات وشروح آثار ابن الجوزي وسائر الكتب المذكورة لغيره وبعنوانات كتب ابن الجوزي ٠

علي محمود طه
الشاعر والانسان

تأليف ــ انور المعداوي
١٩٦ صفحة من القطع الكبير
منشورات مديرية الثقافة العامة ــ بوزارة الثقافة والارشاد

« على الفنان لكي يكون واقعيا وملتزما في الوقت نفسه ان يعيش تجربة عصره ، وتجربة كل عصر من العصور انما تستمد كيانها الموضوعي من قضية الانسان ، سواء اكانت في اطارها الاجتماعي الخاص أم في اطارها الاجتماعي العام • ومعنى الواقعية الالتزامية في مجموعها شكل التجربة ، بحيث يترتب على هذا التفاعل ان يكون للفنان وجهة نظر ايجابية في قضية الانسان الذي يعاصره ، وان يكون صاحب موقف من حاجاته ومطالبه »

ولقد كانت التجربة الكبرى بالنسبة الى العصر الذي عاش فيه (علي محمود طه) هي تجربة الحرية •• حرية الانسان العربي في اختيار كل مستويات الحياة التي يبغي بارادته •

على اساس هذه النظرة الواقعية الى قضية الانسان المعاصر نستطيع ان نقول ان علي محمود طه قد عاش تجربة عصره •• تجربة الجموع العربية المكافحة في سبيل هدف واحد رئيسي هو التخلص من المستعمر ، لنتخلص بعد ذلك من كل ما ينبثق عنه من الوان الاعاقة لحركة التطور »

تلك فقرة من كتاب علي محمود طه ، الشاعر والانسان الذي يدرس فيه مؤلفه الاستاذ انور المعداوي عصر الشاعر وشعره ويسلط الاضواء على مجالي فنه المميز في دنيا الشعر العربي •

ديوان الصاحب بن عباد

تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين
٣٢٤ صفحة من القطع الكبير
منشورات مكتبة النهضة ــ بغداد

الصاحب هو اسماعيل بن عباد بن العباس بن احمد بن ادريس ولقبه بالاضافة الى الصاحب « كافي الكفاة » •

كان في شبابه كاتبا لابن العميد وزير ركن الدولة بن بويه وقد تقدم في مناصب الدولة حتى تولى الوزارة في عهد مؤيد الدولة وفخر الدولة بن ركن الدولة ٠

ولقد اتيح له من الحظ والشهرة ما لم يتح لاكثر العلماء والادباء من معاصريه فكان له من ماله ونفوذه وقوته وجاهه وغناه وسلطانه وغروره وعجبه بنفسه ما يحمل الناس على ذكره والتحدث عنه بين مدح وقدح وثناء وذم واكبار وثلب ٠

والشيء الذي يستخلص من مجموع النصوص القديمة والحديثة المتحدثة عن أدبه انه اديب كبير يتمثل فيه منهج الادب في عصره والخصائص التي كانت تطبع الادب بطابعها آنذاك ٠

وقد عني الشيخ محقق الديوان بشعر الصاحب واستدرك عليه بالشعر الذي عثر عليه لابن عباد في كتب الادب المطبوعة والمخطوطة وذيل تحقيقه بفهارس للقوافي والاعلام والاماكن والبلدان والمراجع ٠

نظرية الاحالة في القانون الدولي الخاص

تأليف ـ الدكتور غالب الداودي

١٣٠ صفحة من القطع الكبير

دار الطباعة الحديثة في البصرة

في العلاقات القانونية التي يشوبها عنصر اجنبي لابد قبل كل شيء من معرفة القانون الواجب التطبيق على هذه العلاقة ، وهذا يستلزم تفضيل احد قوانين الدول التي ينتمي اليها اطراف العلاقة والتي تبدو ان كلا منها تتصل بسبب ما بهذه العلاقة القانونية ٠

ومعرفة وتعيين هذا القانون شيء ضروري وأمر لابد منه ولحل هذه المسألة هناك قواعد قانونية تسمى بقواعد تنازع القوانين يمكن بواسطتها تعيين القانون الاجنبي الواجب التطبيق على العلاقة المشوبة بعنصر اجنبي إما لماذا لا تطبق المحاكم الوطنية قوانينها الخاصة فقد اختلف الفقهاء في الاجابة على هذا السؤال وفي تبرير مبدأ تطبيق القانون الاجنبي ٠

وعند قبول مبدأ تطبيق القانون الاجنبي في العلاقات المشوبة بعنصر اجنبي تظهر مسألة اخرى ، وهي ان القانون الاجنبي الواجب التطبيق يحوي احكاما داخلية واحكاما متعلقة بتنازع القوانين ٠

وفي حالة تطبيق الاحكام المتعلقة بالقانون الدولي الخاص من القانون الاجنبي الواجب التطبيق ، فانها قد تحيل حل النزاع الى قانون الحاكم مرة اخرى او الى قانون دولة ثالثة ٠

فالشيء الذي يولد الاحالة هو اختلاف القواعد المتعلقة بتنازع القوانين في القانون الدولي الخاص لمختلف الدول ٠

والمؤلف في كتابه ـ الذي هو اطروحته التي نال بها الدكتوراه من كلية الحقوق بجامعة انقرة ـ يدرس ماهية الاحـــالة وتعريفها ومنشأها والادلة التي جاء بها خصومها وانصارها ومكانة الاحالة في قوانين واحكام محاكم دول الشرق الاوسط وبعض الدول الاخرى وآراء فقهاء القانون فيها

* * *

× كتب وردت الى المجلة

× محافظة حلب

تاليف ـ الدكتور عبدالرحمن حميدة

× الحياة العسكرية عند العرب

تاليف ـ احسان هندي

× الثورة الجزائرية والقانون

تاليف ـ محمد البجاوي

وهي من منشورات مديرية التاليف والترجمة في وزارة الثقافـــــة والارشاد القومي في الجمهورية العربية السورية ٠

× من واقع الاسلام

تاليف ـ عبدالمحسن عاني

× مجلة معهد المدرسين العالي ـ جامعة بغداد ـ

العدد الثاني حزيران ـ ١٩٦٥

اضواء على السياسة العالمية

السيد رئيس الوزراء يتحدث الى الشعب بصراحة

تحدث السيد رئيس الوزراء الاستاذ عبدالرحمن البزاز حديثا صريحا الى أبناء الشعب من محطتي الاذاعة والتلفزيون معلنا بأنه قد تولى المسؤولية لخدمة الشعب كله ومن أجل الفئات جميعها دون تفريق أو تمييز وقال السيد رئيس الوزراء ان المشاكل القائمة لا يمكن أن تحل بين عشية وضحاها وأكد على ان الامور يجب أن تحل بعد الدرس والتدقيق لكي لا تقع الحكومة في الاخطاء نتيجة الارتجال والتعجل ·

ووضح بأن من اولى أهداف الحكومة هي اعادة الثقة بينها وبين الناس وذكر ان هذه الثقة اذا عادت ستعاون كثيرا في وضـــع الحلول للمشاكل القائمة ·

وأكد السيد رئيس الوزراء على النواحي الاقتصادية والمالية وقال ان الاوضاع الاقتصادية والمالية تحتاج الى علاج ولابد أن تتظافر الجهود للتغلب على المصاعب التي تعاني منها الآن ·

وحذر السيد رئيس الوزراء في حديثه هذا من الشائعات التي يروجها الدساسون والمغرضون ودعا المواطنين الى عدم الاكتراث بها وعدم تصديقها ·

وذكر في حديثه عن الاشتراكية وقال انه يؤمن بالاشتراكية العادلة التي تؤدي الى زيادة الانتاج والتي تهدف الى الخير والى التعاون بين القطاعين العام والخاص ·

وألقى السيد رئيس الوزراء بعض الضوء على الاجراءات التي سبق ان مارستها فئات من الشعب ضد فئات فقال « ليس هناك كما كانوا يزعمون بعض الوجهاء الذين يجب أن يسحقوا أو يهانوا فلا نريد أن نسحق أحدا ولا أن نهين أحدا » و « ليس من واجب الحاكم الرشيد المدرك لمسؤولياته أن يثير الفتنة والبغضاء بين أبناء الشعب » ·

وذكر السيد البزاز ان الميزانية مرهقة بتكاليف باهضة ولابد من بذل قصارى الجهد من أجل تهيئة وسائل العيش لجميع أفراد الشعب · ثم ذكر بعض وجوه الانفاق التي ازدادت بشكل يلفت النظر ووعد باعادة النظر فيها ·

وقد أعلن السيد البزاز عن نية الحكومة في تقليل عدد الوزارات بدمج بعضها مع الآخر وفعلا اعلن عن الغاء وزارة الاوقاف والاكتفاء بديوان عام لمديرية الاوقاف ·

وتحدث رئيس الوزراء عن امكانيـــــة التعويض لمن يملكون أسهما في

الشركات المؤممة تزيد عن الحدود التي شمل أصحابها التعويض وتساءل لماذا لا يعوض من يملكون أكثر من تلك الحدود وبنفس المقدار الذي عوض به غيرهم ! وقد اتخذت الخطوات اللازمة بتعويضهم فعلا ..

العراق واجتماعات هيئة الامم المتحدة

حضر الاستاذ عبدالرحمن البزاز جانبا من اجتماعات هيئة الامم المتحدة وألقى خطابا سياسيا أوضح فيه وجهة نظر العراق في الاحداث السياسية العالمية وأكد بصورة قاطعة على انتصار العراق لكفاح الشعوب عامة والشعب العربي خاصة وتناول كفاح الشعب العربي في عدن والجنوب وأعاد أمام الهيئة العالمية الى الاذهان حق العرب في فلسطين المحتلة ٠

لم يكن حديث الاستاذ البزاز مقتصرا على القاء خطابه في الجمعية العامة للامم المتحدة بل تجاوزه الى الاتصال الشخصي فقد عقد السيد رئيس الوزراء عدة اجتماعات بوزراء الخارجية العرب واتصل هناك كذلك بوزراء الخارجية للدول غير العربية وأجرى بصورة خاصة حديثا مع دين راسك وزير خارجية الولايات المتحدة وكان السيد البزاز في زيارته الى لندن قد أجرى محادثاته مع المسؤولين البريطانيين وشرح لهم وجهة نظر الجمهورية العراقية في القضايا العربية بصورة خاصة ولا شك ان مثل هذه الاحاديث التي أجراها السيد رئيس الوزراء تعود بالنفع على العراق والامة العربية كما انها تعبر تعبيرا صادقا عن وجهة النظر العربية ٠

بيان مشترك عن محادثات القاهرة

كان السيد رئيس الوزراء قد زار القاهرة خلال الفترة الواقعة بين ١٩ و ٢١ من تشرين الاول الماضي وقد تمت في هذه الفترة عدة اجتماعات بين السيد البزاز رئيس الوزراء والسيد زكريا محي‌الدين نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة ورئيس وزرائها فصدر على أثر ذلك بيان مشترك اذيع في كل‌من بغداد والقاهرة٠ تطرق الى أن الاجتماعات قد تمت لاستعراض الامور التي تهم الامة العربية والمسائل التي تهم الدولتين الشقيقتين ٠

وذكر البيان بأن رئيسي الحكومتين يشعران ان الوحدة الوطنية هي الاساس الطبيعي للوحدة القومية الشاملة ٠ وذكر فيه ان الجمهورية العربية المتحدة تساند الجمهورية العراقية في مسعاها للحفاظ على وحدة أراضيها والقضاء على جميع المحاولات التي ترمي الى المساس باستقلال العراق وحريته ووحدة أراضيه ٠ ووصف البيان ان هذه المحاولات لا تهدف الانتقاص من كيان العراق فحسب بل من أمن الامة العربية بأكملها ٠

وأكد البيان على تعاون القطرين في مجالات التعليم والثقافة والاعلام

لتدعيم القومية العربية وتأكيد مبادئها ومفاهيمها ومقوماتها على أسس علمية واقعية نابعة من تاريخ الامة العربية وتراثها ونضالها وكانت وجهات النظر متفقة على ان الوحدة العربية ليست صورة دستورية واحدة لا مناص من تطبيقها ولكنها طريق طويل قد تتعدد عليه الاشكال والمراحل وصولا الى الهدف الاخير .

وقد استعرض رئيسا الحكومتين ما نصت عليه مقررات القيادة السياسية الموحدة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة وأكدا العزم من جديد على المضي قدما في تنفيذ هذه المقررات واتخاذ كافة الخطوات التي يصبو اليها شعبا البلدين تحقيقا لهدف الامة الكبير في الكيان العربي الواحد.

وذكر البيان ان انعقاد القيادة السياسية سيتم في أقرب وقت وتطرق البيان كذلك الى موضوع التضامن العربي الذي تجلى بصورة فعالة في مؤتمر القمة العربي الثالث وأكد الطرفان عزمهما على التمسك بقرارات المؤتمر المذكور .

وذكر البيان أخيرا عن متابعة الجهود في الاتحاد الاشتراكي في كل من القطرين وفي اللجان التي عينتها اتفاقية القيادة السياسية الموحدة لتحقيق الهدف المنشود .

السياسة العربية

اعتقال أكرم الحوراني بتهمة الاتصال بدولة أجنبية

اعلن في العاصمة السورية ان السلطات هناك ألقت القبض على السيد أكرم الحوراني نائب رئيس الجمهورية في عهد الوحدة وعلى اثنين من الوزراء السابقين هما مصطفى حمدون وخليل الكلاس بتهمة الاتصال بدولة أجنبية.

وقد أثارت هذه الاخبار موضوع الخلافات التي تناقلتها الصحف والتي جاء ذكرها على لسان وزير الاعلام السوري ونشرت في احدى المجلات اللبنانية

ان المتتبع للاوضاع السياسية في القطر السوري يحار في تفسير الاحداث هناك فقد ذكرت الانباء ان السيد أمين الحافظ قد اعتكف في داره فترة من الوقت لخلاف بينه وبين الجيش الذي يسيطر عليه أو على جزء كبير منه كتلة العلويين والدروز وهؤلاء على خلاف مع كتلة الحوراني وكتلة الحوراني هذه لها أطماعها الخاصة واتجاهاتها التي لا تتفق مع كتلة أمين الحافظ ، وهذه الكتلة تجد معارضة شديدة من الكتل الحزبية ، فهناك كتلة للقيادة القطرية وكتلة للقيادة القومية لحزب البعث كل مجموعة تناحر المجموعة الاخرى وتكيد لها ، ومجموعة كبيرة من الجيش في الجبهة بقيادة فهد الشاعر الذي نقل مؤخرا الى منصب آخر في القيادة . وهكذا وهكذا .

ان المخلصين الذين يجدون في سوريا وفي شعبها العربي الاصيل حصنا

عربيا في وجه الصهيونية والاستعمار ليسوءهم أن يروا الحزبية التي تلعب دورها الخبيث في بث الفرقة بين أبناء البلد الواحد تنتقل الى أخطر حصن من حصون الـــدولة ألا وهو الجيش ، ان الخصومة التي تنتقل من أفراد الحزب الى الجيش تترجم الخصومة الى معارك دموية لا يستفيد منها الا أعداء الامة العربية والمتربصين بها ٠

ان سورية وجيشها تقاسي من الحزبية البغيضة التي نرجو أن تبتعد ـ على الاقل ـ عن الجيش فان الجيش في كل امة لا يدافع عن الحزب وانما يدافع عن الوطن وهو ملك لجميع أبناء الامة ٠

السياسة العالمية

انقلاب في اندونوسيا

طغت أنباء الانقلاب الذي استهدف الاطاحة بالرئيس أحمد سوكارنو رئيس جمهورية اندونوسيا على معظم الانباء العالمية في الشهر الماضي فقــد اعتقلت فئة عسكرية برياسة قائد الحرس الجمهوري في اندونوسيا عددا من جنرالات الجيش الاندونوسي في محاولة للسيطرة على الحكم الا أن هذا الانقلاب ما فتيء أن أعلن عن فشله بعد أن سفكت الدماء هنــاك وقتل الشيوعيون الذين دبروا هذا الانقلاب ـ كما جاء في الانباء ـ عددا غير قليل وبضمنهم قادة الجيش المذكورين ٠ وتبع ذلك رد الفعل لدى السكان فهوجمت بعض ممتلكات الشيوعيين ونكل بعدد غير قليل منهم كما ان الحزب الشــيوعي الاندونوسي أصدر تعليماته الى أتباعه بمقاومة الحكومة والجيش فنتج عن ذلك مذابح أهلية وخسائر في الممتلكات والارواح لا مبرر له ٠ ومن المعلوم ان أيادٍ أجنبية لعبت دورا كبيرا في الاضطرابات التي وقعت في بلاد اندونوسيا ويبدو ان الامور لم تهدأ ولن تهدأ في وقت قريب نظرا للنفوذ الذي يتمتع به الشيوعيون والتأييد الذي يلقونه من الخارج ٠

انباء الفكر

- **(التعليم الثانوي المقارن) عنوان الكتاب الذي الفه الدكتور محمد جواد رضا والذي سيصدر قريبا .**

- اكتشفت بعثة الحفريات (مديرية الآثار العامة) اسس وجدران بوابة أثرية قرب نينوى ، وتعود تلك البوابة الى عهد احد الآلهة الاشوريين وهو (شمش) ، ومما يجدر ذكره ان اكتشافات أثرية اخرى قد تمت قرب تلعفر .

- **الاستاذ عبدالجبار عريم عميد كلية الحقوق دفع الى الطبع كتابه (نظريات في علم الاجرام) .**

- (تاريخ قطر العام) عنوان الكتاب الذي انتهى من وضعه العميد المتقاعد محمود بهجة سنان ومن المنتظر صدوره خلال فترة قصيرة .

- **الدكتور زكي صالح ، دفع الى المطبعة بكتابه (العراق وبريطانيا) باللغة الانكليزية .**

- فرغ الشيخ محمد ال ياسين من تحقيق كتاب (شرح مساويء المتنبي) للصاحب بن عباد .

- **انجز الاستاذ محمد البريفكاني وضع قاموس للجيب باللغتين العربية والكردية ويتضمن ١٨ الف كلمة .**

- زار العراق جماعة من تلفزيون المانيا لتصوير جنائن بابل المعلقة كجزء من فلم طويل عن عجائب الدنيا السبع .

- **بوشر بطبع كتاب (بغية النبلاء في تاريخ مدينة كربلاء) تأليف الحاج السيد عبدالحسين آل طعمة سادن الروضة الحسينية .**

- (هدير الشلال) عنوان المجموعة الشعرية التي ستصدر قريبا للشاعر المرحوم عباس ابو الطوس مع مقدمة بقلم الاستاذ سلمان هادي الطعمة .

- **سيصدر قريبا ديوان شعر باسم (الركب الضائع) للشاعر علي محمد الحائري .**

- تجرى الاتصالات للتوسط لـدى المقـر الرئيس لمنظمة اليونسكو في باريس لطلب المعونة الفنية لتأسيس معهد للبحوث التربوية والنفسية ببغداد . وقد طلبت جامعة بغداد الى المنظمة ارسال بعثة من خبرائها في حقـول التخطيط التربوي والاختبارات والمناهج الدراسية وذلك لاجراء المشاورات اللازمة حول المشروع .

- **(ابنية الصرف في كتاب سيبويه) عنوان الكتاب الذي صدر مؤخرا بقلم الدكتورة خديجة الحديثي . ويقع الكتاب في أكثر من (٥٠٠) صفحة .**

- اصدر الدكتور غالب الداودي كتاب (نظرية الاحالة في القانون الدولي الخاص وتطورها في قوانين دول الشرق الاوسط خاصة) ويقع في (١٣٠) صفحة .

- **قرر مجلس الوزراء مساعدة المؤسسة الثقافية الاسلامية في سيلان .**

- من المؤمل ان يفتح فرع لجمعية المؤلفين والكتاب العراقيين في البصرة .

- **ارسلت وزارة الثقافـــة والارشــاد مجموعة من مطبوعاتها الثقافية والسياسية الى وزارة الثقافة والارشاد القومي في سوريا .**

- صدر مؤخرا كتاب (المخدرات : بحث في الادمـان وطرق علاجـــه) للدكتورة سانحة امين زكي .

- **(البقعة الداكنة) مجموعة قصصية تأليف الاستاذ فهد اسماعيل فهد صدرت مؤخرا ضمن منشورات مكتبة النهضة .**

- صدر كتاب (مع الشرقي الصغير) للاستاذ موسى الكرباسي ومما تجدر الاشارة اليـــه ان الاستاذ الكرباسي انتهى ايضـــا من كتاب اخر عنوانه (الاسر الادبية في كربلاء) .

- **(لمحات من تاريخ القرآن) عنوان الكتاب الذي وضعه الاستاذ المحامي محمد علي الاشيقر .**

- (مخطوطات مكتبة السيد الكاشاني في كربلاء) عنوان الكتاب الذي وضعه الاستاذ حميد مجيد هدو ودفع به الى المطبعة .

- **قررت وزارة الثقافة والارشاد اهداء الحكومة الجزائرية (١٥) نسخة من كل عدد من مجلة الاقلام ، مشاركة منها في خدمة الثقافة العربية في الجزائر .**

- افتتح في بغداد معرض الكتب السوفياتية باللغات الاجنبية وذلك في مقر المركز الثقافي السوفياتي ٠

- **افتتح السيد وزير الثقافة والارشاد الدكتور محمد ناصر المعرض السنوي الثاني لجماعة المعاصرين الذي اقيم في قاعة المتحف الوطني للفن الحديث ٠**

- دفع الدكتور حمودي الجاسم الى المطبعة بترجمته لكتاب (نظـام وواجبات الادعاء العام) ٠

- **(٩ أشهر في المسرح) عنوان الكتاب الجديد الذي سيصدر قريبـا من تاليف الاستاذ احمد حمروش ٠**

- رواية (الرجل الذي فقد ظله) التي وضعها الاستاذ فتحي غانـم تطبع الان باللغة الانكليزية في احدى دور النشر في لندن ٠

- **صـدر في بلغراد كتاب جـديد عن كفاح الجنوب المحتل من تأليف (ملاوين جافريلوفتش) ٠ وقد استعرض فيه المؤلف التطور التاريخي والسياسي للجنوب العربي وركز بصورة خاصة على كفاح الشعب العربي في عدن ٠**

- ترجمت الى اللغة الفيتنامية مؤلفات محمود تيمـور وسعيد العريان وعبدالرحمن الخميسي ومحمد صدقي وعبدالرحمن الشرقاوي ٠

- **تشكلت لجنة تضم عمداء الكليات لاعادة النظر في القوانين واللوائح الخاصة بالمعاهد العليا كي تساير اهداف المرحلة الجديدة التي تمر بها العربية المتحدة ٠**

- افتتح وزير التعليم العالي معرض كلية الفنون الجميلة في القاهـرة لمشروعات طلبة البكالوريوس الحاصلين على تقدير امتياز في اقسـام الفنون والعمارة ويضم المعرض (٣٠٠) لوحة في مختلف الفنون ٠

- **اسبوع الكتاب العربي الثالث تقيمه مصلحة الاستعلامات على أرض المعارض في الجزيرة ٠ سيشارك المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب بـ (٤٠) كتابا ٠**

- يستعد المجلس الاعلى للفنون والاداب لاقامة المهرجان السابع للشعر ٠ المهرجان السادس سبق عقده في بغداد ٠

- **تزور الجمهورية العربية المتحدة فرقة (الفولكس أوبرا فينا) وستقدم عدة حفلات في القاهرة والاسكندرية ٠**

- فرقة الباليه اليوغسلافية (سارابيفو) المؤلفة من ٦٠ راقصا وراقصة ستصل الاسكندرية لتقديم بعض الحفلات ٠

- **(الدون الهادىء) رواية الكاتب الروسى شولوخوف والفائزة بجائزة نوبل لهذا العام ، تترجم الى العربية من قبل الاساتذة : اسماعيل المهدوي ، مصطفى كمال ٠**

- ترجمت الى اللغة الروسية مسرحية (وحيد القرن) تأليف يوجين يونيسكو ٠

- **قالت المستشرقة ستيفانوفا عضو وفد الادباء السوفيات الـذي زار لبنان للاشتراك في احياء ذكرى امين الريحاني : ان افضل اديب معاصر في رأيها هو يوسف ادريس ٠**

- يصدر قريبا كتاب (امام اليمن : احمد حميدالدين) من وضع الاستاذ احمد محمد الشامي وتقديم احمد محمد النعمان وتقريض الاستاذ عبدالرحمن الارياني ٠

- **قرر المتحف القبطي التوسع في ابحاثه في مدينة (مينا) الاثرية في منطقة مريوط بالاشتراك مع بعثة المعهد الالماني للاثار ٠ المدينة المذكورة تضم بعض الاثار المسيحية الهامة ٠**

- يصدر في القاهرة كتاب (تاريخ الانسانية) للاستاذ احمـد حسين المحامي ٠ الكتاب عصارة شاملة لتاريخ الانسانية لاول مرة في اللغة العربية على طريقة ويلز ، والتاريخ الانساني عند المؤلف ليس تاريخ الحروب والثورات والفتن او قيام الدول وسقوطها وسير الغزاة ، ولكنه تاريخ العقائد والافكار والعلوم التي ابدعت الحضارة الانسانية على قاعدة الايمان بوحدة التاريخ الانساني حيث يدين المؤلف بوحدة الجنس البشري ٠

- **اعد (انور الجندي) حلقة جديـدة لموسوعته العربيـة الاسـلامية تحت عنوان (الشرق في فجر اليقظة) الحلقة ترسم صورة للعصر كله في الشـرق ولمجالس جمال‌الدين وحلقـات محمـد عبـده في الرواق العباسي ، واندية الادب والصحف وحياة المجتمع العربي في اوائل القرن العشرين في مجال المحاماة والطب والازهر والمرأة ، تصدر هذه الحلقة اول الشهر القادم ٠**

- صدر في القاهرة كتاب (الطالق وعودة الفتاة) في ٣٠٤ صفحة وهو من تأليف السيد الياس عكاوي ٠

- **وصدرت كذلك الكتب التالية : (تنظيم وادارة الاعمـال) للاستاذ**

عبدالغفار يونس ويقع في ٥٢٨ صفحة وكتاب (الوجيز في النظـــم الادارية) للدكتورين محمد طه بدوي ومحمد طلعت الغنيمي ويقع في ٣٣٢ صفحة و (الادارة العامة وتنمية المجتمع) للدكتور علي عبد العليم محجوب ويقع في ١٠٢ صفحة .

- يدرس الدكتور سليمان حزين وزير الثقافة في العربية المتحدة مشروعا يقضي بانشاء جامعة للفنون تضم جميع الكليات والمعاهد الفنية ذات الرسالات المتشابهة . وصرح الدكتور عوض كامل عميد كلية الفنون الجميلة بان الغرض من انشاء هذه الجامعة هو ايجاد الجو الفني المتكامل لطلاب هذه المعاهد .

- **صدر كتاب (آباء الصناعة) دراسة عن رواد الصناعة والجهود التي** التي بذلوها في هذا المضمار . تأليف ليئارد فانتك ترجمة الدكتور محمد مصطفى العلايلي ، نشر مؤسسة سجل العرب .

- **صدر عن الدار القومية للطباعة والنشر في القاهـــرة في السلسلة السياسية كتاب (صور من مصر) تأليف اثيل مانين تعريب وتعليق خيري حماد .**

- صدر في القاهرة كتاب (مذكرات طالب بعثة) تأليف الدكتور لويس عوض ، يقع في ٣٢٠ صفحة . عن سلسلة الكتاب الذهبي .

- **صدر عن دار المعارف بالقاهرة كتاب (مبادىء علم التشريح ووظائف الاعضاء) تأليف الدكتور شفيق عبدالملك استاذ ورئيس قسم التشريح بكلية طب جامعة عين شمس سابقا . ويقع في ٤٧٨ صفحة من القطع المتوســـط .**

- انتهت السيدة علياء الصلح كريمة السيد رياض الصلح رئيس وزراء لبنان السابق من تأليف كتاب عن حياة والدها وقد تحدثت عن احداث لبنان التاريخية والوطنيـــة . وسينشر الكتاب باللغتين العربيـــة والانكليزية .

- **الدكتور محمد يوسف نجم رئيس قسم اللغات الشرقية بجامعـــة بيروت الامريكية يؤلف الان كتابا كبيرا عن المطرب المصري سلامة حجازي . سيصدر الكتاب بعد ١٥ شهرا بمناسبة مرور ٥٠ سنة على وفاة المطرب المذكور .**

- يحقق الدكتور محمد ابو الفرج الاستاذ بكليـــة الاداب بالاسكندرية كتاب (ضرائر الشعر) في الضرورات اللفظية والمعنوية للشعراء تأليف محمد بن جعفر القزاز القيرواني المتوفي عام ٤١٢هـ ــ ١٠٢١م .

● نال الدكتور يوسف ادريس الاديب المصري المعروف جائزة حوار الادبية ومقدارها عشرة الاف ليرة لبنانية تقديرا لرواياته الحرام ، والعيب ، والفرافير وغيرها ، ومن الجدير بالذكر ان الدكتور محمد مندور كان قد ابدى رأيه في هذه الجائزة قبل وفاته ووافق على منحها للدكتور يوسف ادريس .

●

المحتويات